أولو العزم من الرسل ﷺ

محمد رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم
وخاتم النبيين

تأليف
عمر أحمد عمر

المجلد الثاني

الجزء الخامس

أولو العزم من الرسل

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

دار حسّان
للطباعة والنشر
دمشق - ص.ب ٣٢١٨
عبد الهادي حرصوني

تمهيـــــد

لا يمكننا أن نستخلص حياة محمد ﷺ من القرآن الكريم كما فعلنا في قصص ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، لأن الآيات التي ذكر فيها اسمه لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة(١)، أما الآيات التي تخاطبه وتصفه وتفصل دعوته للناس وموقفهم منه مصدقين أو مكذبين فكثيرة تشمل كـل جوانب الإسلام من عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاق •

ولهذا فإنا نعتمد على مصادر أخرى في استعراض مراحل حياته•ولا أريد أن أضع كتاباً في السيرة ففيما كتبه الأقدمون والمحدثون غناء لكل طالب علم• ولكني أريد التعريف برسول الله ﷺ الى جانب ما قدمته عن إخوانه المرسلين، ليكتمل عقد أولي العزم من الرسل الذين جعلهم الله هداة للبشرية على طريق السعادة والفلاح •

والسيرة ضرورية لمعرفة الجهود العظيمة التي بذلها الرسول ﷺ لتأسيس المجتمع المسلم والقضاء على الوثنية والشرك ، كما إنها تمكننا من فهم مبادىء الإسلام ، وتبين مراحل الدعوة إليه ، وتمهد لمعرفة أحكام الدين والعمل بها •

قال الامام العلامة علي بن برهان الدين الحلبي : « إن سـيرة المصطفى ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ من أهم ما أمر به العلماء الأعلام وحفاظ ملة الإسلام • كيف لا وهو الموصل لعلم الحلال والحرام ، والحامل على التخلق بالأخلاق العظام(٢) » •

---

(١) ورد اسم محمد ﷺ في الآيات التالية : (سورة آل عمران : ١٤٤) ، (سورة الأحزاب : ٤٠) (سورة محمد : ٢ ؛ (سورة الفتح : ٢٩) • وورد اسم أحمد في سورة الصف : ٦ •

(٢) السيرة الحلبية ج١ ص : ٢ •

وقد راعيت في كتابي جانب القصد والاعتدال،وتوخيت الايجاز والعبارة السهلة الواضحة ما استطعت . وأعرضت عن معظم القصائد والأشعار التي تذخر بها بعض السير . ولم أسرف في ذكر المعجزات التي جاء بها النبي ﷺ حيث لم تكن سبباً في اعتناق الاسلام ، ولا يمكننا الاعتماد عليها في الدعوة .

وعزفت عن ذكر الوقائع التي حدثت بعيداً عن الرسول ﷺ في الزمان والمكان ، أي وقعت قبل حياته أو بعد مماته ، أو أثناء حياته ولم يكن له يد فيها ، وليس لها أثر على الدعوة . ولم أضع تعريفاً مسهباً للأشخاص الذين صحبوا رسول الله ﷺ أو وقفوا في طريق دعوته ، مما هو مذكور ومفصل في بعض السير ، ولم أهتم بكثير مما فعلوه بعيداً عن أنظار الرسول ﷺ .

وقد اجتنبت التكرار الممل ، فكثير من الوقائع التي تصلح أدلة على أخلاقه ﷺ اكتفيت بذكرها في موضعها ، وذكرت أدلة غيرها ، مع أن دلالتها واضحة لكل متأمل .

وقد اعتمدت أولا على القرآن الكريم وتفاسيره، فاستخلصت منه الآيات المتعلقة بالسيرة ، واستنبطت منه بعض الموضوعات المتعلقة بالدعوة . ثم اعتمدت على صحيحي البخاري ومسلم ، فحيثما وجدت حديثاً فيهما أو في أحدهما قدمته على غيره . ثم اعتمدت على غيرهما من كتب السنة وشروحها مما هو مبين في قائمة المراجع .

ولم أبحث طويلا في الأسانيد للترجيح بين الروايات ، فكنت أختار ماهو أقرب الى الواقع وأكثر قبولا من غيره ، وما أراه متفقاً مع روح الدين ونظام الإسلام .

وفوق ذلك رجعت الى أهم كتب السيرة التي دونت في العصور القديمة والحديثة .

وقد أذكر الروايات المختلفة دون ترجيح بينها ليطلع القارئ عليها جميعاً.

وحين لا نعثر على الروايات الصحيحة يكون لزاماً علينا الاعتماد على الروايات الضعيفة ، لئلا يفوتنا ما تتضمنه من الحوادث . قال ابن سيد الناس : « الذي ذهب إليه كثير من أهل العلم الترخص في الرقائق وما لا حكم فيه من أخبار المغازي وما يجري مجرى ذلك ، وأنه يقبل فيها ما لا يقبل في الحلال والحرام لعدم تعلق الأحكام بها[1] ».

ولا يحط من قيمة السيرة أن تحوي روايات متعددة وضعيفة لأن الوقائع التاريخية لا يمكن الاقتصار على الروايات الصحيحة فيها . وذكر الروايات المختلفة يدل على ما امتاز به العلماء المسلمون من حرية البحث وسعة الأفق ، ويشهد على حرصهم في تحري الحقيقة ، مما جعل سيرة الرسول ﷺ أصح وأدق ما كتب عن العظماء والأبطال .

---

(١) المرجع السابق .

١ ـ نسبه الزكي

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب(١) بن هاشم(٢) بن عبد مناف(٣) بن قصي(٤) بن كلاب(٥) بن مرّة بن كعب بن لؤي(٦) بن غالب بن فِهر(٧) بن

(١) اسمه شيبة لشيبة كانت في رأسه ، ويقال له : شيبة الحمد لجوده · وسمي عبد المطلب لأنه لما جاء به عمه المطلب بن عبد مناف من يثرب موطن أمه سلمى بنت عمرو النجارية الى مكة ظنه أهلها عبداً له · وكان جسيماً حسن المنظر ، وكان سيد قريش وشريفها · وهو الذي جدد حفر زمزم التي كان قد درس رسمها بعد طم جرهم لها الى زمانه · وكانت إليه السقاية والرفادة بعد المطلب ·

(٢) اسمه عمرو ، سمي هاشماً لأنه هشم الثريد مع اللحم لقومه ولأهل الموسم في سنة المجاعة ·وهو أول من سن رحلتي الشتاء والصيف · مات بغزة ·

(٣) اسمه المغيرة ، ومناف اسم صنم ·

(٤) اسمه زيد ، لقب قصي لأن أمه تزوجها رجل من عذره بعد موت أبيه ، وخرج بهما الى بلاده · ثم قدم قصي مكة وهو شاب ، وصارت إليه ولاية البيت بعد أن كانت لخزاعة · وكان في قومه سيداً رئيساً مطاعاً معظماً · وهو الذي بنى دار الندوة ·وكان يطعم الحجيج ويسقيهم وكانت بيده راية الحرب ، فحاز شرف مكة كله · وقطع مكة أرباعاً بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة · وبعد موته أصبحت الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار ، والرفادة والسقاية لبني عبد مناف · (السيرة النبوية لابن كثير ج١ ص ٩٤ ـ ١٠١) ·

(٥) اسمه حكيم ، وقيل عروة · ولقب بكلاب لأنه كان يكثر الصيد بالكلاب ·

(٦) لؤي : تصغير لأي · واللأي هو الثور الوحشي ·

(٧) الفِهر : الحجر الأملس يملأ الكف · وكان كريماً · وفهر هو قريش في قول الأكثرين ·

مالك بن النضر بن كنانة بن خزَيمة بن مدركة[1] بن الياس بن مضر[2] بن نزار[3] بن معد بن عدنان . (البخاري) .

ونسبه الى هاهنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين، وما فوقه مختلف فيه . وكان النبي ﷺ إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معدبن عدنان. ولا خلاف بينهم ان عدنان من ولد اسماعيل علية السلام .

فهو من صميم قريش التي كان لها القدم الأولى في الشرف وعلو المكانة بين العرب . ولا تجد في آبائه إلا كراماً . وكلهم سادة قادة . وكذلك أمهات آبائه من أرفع قبائلهن شأناً . ولم يلوث نسبه الشريف بشيء من سفاح الجاهلية[4] .

قال ﷺ : « خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي . ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء[5] » .

وقال : « إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم وخير الفرقتين ، ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة . ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم. فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً[6] » .

---

(١) اسمه عمرو أو عامر ، لقب مدركة لأنه أدرك إبلا نفرت .

(٢) مشتق من اللبن الماضر وهو الحامض ، سمي بذلك لبياضه . وكان جميلا حكيماً . ولابن سعد من مرسل عبد الله بن خالد رفعه : « لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم » . وهو ضعيف .

(٣) من النزارة ، وهي القلة ، وهو أجمل أهل زمانه وأرجحهم عقلا .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ج١ ص ١٨٣ ــ ١٩٦ ، فتح الباري ج٧ ص ١٦٣ ــ ١٦٤ ، تهذيب سيرة ابن هشام ج١ ص ١٣ ، نور اليقين ص ٧ ــ ١٠ .

(٥) رواه ابن عدي والطبراني في الأوسط عن علي ، وهو حديث حسن .

(٦) أخرجه أحمد والترمذي عن العباس بن عبد المطلب وصححه .

وقال : « إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم[1] » •

ولابن سعد عن جعفر عن أبيه محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب :

« ثم اختار العرب من الناس ، ثم اختار قريشاً من العرب ، ثم اختار بني هاشم من قريش ، ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم ، ثم اختارني من بني عبد المطلب[2] » •

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٢٧٦ والترمذي عن واثلة بن الأسقع •

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص ٢ •

٢ ـ ولادتـــه

كان عبد الله من أحب أبناء عبد المطلب إليه ، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب • وأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبـد الدار بن قصي بن كلاب • وهي يومئذ من أفضل نساء قريش نسباً وحسباً •

وبعد أن بنى بها خرج في تجارة الى الشام • ثم توفي أثناء عودته بالمدينة• ودفن في دار النابغة عند أخوال أبيه من بني النجار ، وله خمس وعشرون سنة• وكانت آمنة حاملاً برسول الله ﷺ ، فولدته يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلـة خلت من شهر ربيع الأول[1] •

وفي ذلك العام صد الله أبرهة الحبشي الذي جهز جيشاً عظيماً،واستصحب معه فيلاً كبيراً لهدم الكعبة ، لكي يجعل العرب يحجون الى الكنيسة[2] التي بناها بصنعاء ، فأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ترميهم بحجارة من سجيل أمثال الحمص والعدس ، فاندحروا مهزومين ، وهلكوا شر مهلك• وأصيب أبرهة في جسده فمات •

وكان أمر الفيل ارهاصاً وتقدمة للنبي ﷺ الذي خرج من مكة، وتعظيماً للبيت الحرام • وذلك من نعم الله وفضله على قريش • وفي التذكير بهـذه النعمة نزل قولـه تعالى :

---

(١) هذه هي الرواية المشهورة • وهناك روايات أخرى لتاريخ ولادته • فقد قيل ولد لليلتين خلتا من ربيع الأول ، وقيل : لثمان خلت منه ، وقيل : لسبع عشرة ، وقيل لثمان بقين منه • وقـد حقق العالم الفلكـي محمود باشا ان ولادته صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول الموافق ٢١ نيسان سنة ٥٧١ م • (الوفا لابن الجوزي ص٩٠ ، السيرة الحلبية ج٣ ص٣٦٦ ، نور اليقين ص١٠)

(٢) سميت القُلَّيس لارتفاع بنيانها وعلوها • ومنه القلانس لأنها في أعلى الرأس•

« ألمْ ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل • ألمْ يجعل كيدهم في تضليل • وأرسلَ عليهم طيراً أبابيل(1) • ترميهم بحجارة من سجيل(2) • فجعلهم كعصف(3) مأكول » •

(سورة الفيل)

فلما وضعته أمه أرسلت الى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه• فأقبل مسروراً ، وحمله ودخل به الكعبة، وقام يدعو الله ويشكره• ثم دفعه الى أمه وسماه محمداً(4) •

ولما سأله الناس لِمَ رغب عن أسماء آبائه قال : أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض • (ذكره البيهقي في الدلائل بسند مرسل)(5) •

---

(1) الأبابيل : الجماعات •

(2) السجيل : الشديد ، الصلب •

(3) العصف : ورق الزرع الذي لم يقضب •

(4) قيل : إنه سماه بعد ما ختنه في يومه السابع • وقيل : إن أمه أتيت وهي حامل به وقيل لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع الى الأرض فقولي : اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ! ثم سميه محمداً ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام •

(5) وقد سمي قبله بهذا الاسم خمسةعشر مولوداً طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر رسول الله ﷺ أن يكون ولداً لهم • (فتح الباري ج٦ ص : ٥٥٦) •

(6) تهذيب السيرة ج١ ص ٢٤ ـ ٣٧ ، تفسير ابن كثير ج٤ ص ٥٤٩ ـ ٥٥٢ ، نور اليقين ص ١٠ •

٣ - الرضـــاع

كان من عادة العرب أن يلتمسوا المرضـــع لمواليدهم في البوادي لصفاء هوائها واعتدال مزاج أهلها وفصاحة ألسنتهم . وجاءت المراضع من قبيلة بني سعد ، فأعرضن عن محمد ليتمه وفقره . وما بقيت امرأة إلا أخذت رضيعاً غير حليمة بنة أبي ذؤيب ، فقالت لزوجها الحارث بن عبد العزى : إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ، ولـــم آخـــذ رضيعاً ، والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه ! قال : لا عليك أن تفعلي . فلما وضعته في حجرها أقبل عليه ثدياها بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشرب معه أخوه[1] حتى روي ، ثم ناما . وما كان في ثديها قبل ذلك ما يغنيه . ثم قام زوجها الى شارف[2] لهم ، فإذا هي حافل[3] ، فحلب منها ما يكفيهما ، وما كانت قبل ذلك تبض بقطرة . وباتا بخير ليلة ، وما كانا ينامان قبل ذلك من بكاء صبيهما من الجوع .

ثم خرجت وركبت أتانها[4] ، وحملته معهـــا ، فإذا هي تسبق الركب ، وكانت حين قدومها ضعيفة بطيئة . فلمـــا قدموا منزلهم كانت غنمهـــم تروح شباعاً حوافل باللبن ، وما يحلب أحـــد غيرهم قطرة لجدب أرضهم في تلك السنة . وما زالت الخيرات والبركات تدر عليهم حتى مضت سنتاه وفصلته ، وصار غلاماً جَفْراً[5] . فقدمت به على أمه ، وهي تحرص على مكثه فيهم لما رأت من بركته ، فقالت لها : لو تركت بني عندي حتى يغلظ فإني أخاف عليه وباء مكة . ولم تزل بها حتى ردته إليها[6] .

---

(١) اسمه عبد الله بن الحارث .
(٢) ناقة مسنة .
(٣) مملوءة الضرع لبناً .
(٤) الأتان : أنثى الحمار .
(٥) الجَفر : الغليظ الشديد .
(٦) تهذيب سيرة ابن هشام ج١ ص ٣٧ ـ ٣٩ .

٤ ـ شق الصدر

بينما كان محمد مع أخيه من الرضاعة في بَهم[١] لهم خلف بيوتهم أتاه ملكان بهيئة رجلين ، عليهما ثياب بيض ، فأخذاه وشقا عن قلبه ، واستخرجا منه علقة سوداء ، فطرحاها ، ثم غسلاه في طست من ذهب حتى أنقياه ، ثم أعاداه الى مكانه[٢] فجاء أخوه يشتد ، وأخبر أبويه ، فخرجا نحوه ، فوجداه قائماً منتقعاً وجهه فالتزماه وسألاه : مالك يا بني ؟ فأخبرهما بما حدث له ٠ فقال أبوه : لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فالحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ٠

فقدمت به على أمه ، فقالت لها : ما أقدمك به يا ظئر[٣] وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ؟ فأجابتها : لقد قضيت الذي علي ، وتخوفت

---

(١) البهم : الصغار من الغنم ٠

(٢) ورد شق الصدر في حديث صحيح ، وإليك نصه :

« عن أنس أن رسول الله ﷺ جاءه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ٠ ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ٠

وجاء الغلمان يسعون الى أمه فقالوا : إن محمداً قد قتل ٠ فاستقبلوه وهو منتقع اللون ٠

قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره » ٠ (رواه مسلم برقم ٢٦١ ـ (١٦٢) وأحمد) ٠

(٣) الظئر : المرأة ترضع ولد غيرها ٠

الأحداث عليه . قالت : ما هـــذا شأنك فاصدقيني خبرك . فلــم تدعها حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : نعم . قالت : كلا ، والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لبني لشأناً . دعيه عنك وانطلقي راشدة .

وقد بقي في بني سعد سنتين وثلاثة أشهر . وقيل : أربع سنوات[1] .

---

(1) تهذيب سيرة ابن هشام ج١ ص ٣٩ـ٤١ ، السير والمغازي لابن اسحق ص ٥٠ ، السيرة النبوية لابن كثير ج١ ص ٢٢٧ ، نور اليقين ص ١٢ .

٥ ـ كفالته

لما بلغ محمد ﷺ ست سنين خرجت به أمه الى يثرب لتزور قبر أبيه ، وأخواله من بني النجار ، ومعها أم أيمن أمة أبيه عبد الله . وبقيت عندهم نحو شهر ثم رجعت . فتوفيت بالأبواء[1] . فعادت به أم أيمن الى مكة . وكفله جده عبد المطلب .

وزادت مشاعر الحنو في قلب عبد المطلب نحوه . فكان يوضع له فراش في ظل الكعبة ، ويجلس بنوه حوله ، لا يجلس عليها أحد منهم إجلالا له ، فكان محمد يأتي ويجلس عليه ، ويأخذه أعمامه ليؤخروه عنهم ، فيقول جده: دعوا ابني ، فوالله إن له لشأناً ! ثم يجلس معه ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

فلما بلغ محمد ثماني سنين مات جده[2] ، بعد أن عهد بكفالته الى عمه أبي طالب[3] ، فضمه أبو طالب إليه ، وكان أرفق به وأكثر حدباً عليه من أولاده[4] .

وقد فجع الله رسوله بأمه ثم بجده بعد أن حرمه من عطف الأب ، وأذاقه كأس الحزن مرة بعد مرة ، ليكون رقيق القلب مرهف الشعور . فالأحزان

---

(١) قرية تبعد عن المدينة ٢٣ ميلا على طريق مكة .
(٢) مات عن ١٢٠ سنة .
(٣) اسمه عبد مناف .
(٤) تهذيب السيرة ج١ ص ٤١ ـ ٤٢ ، نور اليقين ص ١٣ ، فقه السيرة لمحمد الغزالي ص ٦٧ .

تصهر النفوس وتخلصها من أدران القسوة والكِبْر والغرور ، وتجعلها أكثر رقة وتواضعاً ولطفاً .

وليست وفاة والديه في العشرينات من حياتهما ناشئة عن هزالهما وضعف بنيتهما . ولم يكن محمد ﷺ سليل أبوين سقيمين . وإنما توفاهما الله بعد أن قاما بالمهمة التي وجدا من أجلها ؛ ليتأسى بمحمد ﷺ كل من فقد والديه أو أحدهما وهو صغير ، وليكون أدبه وخلقه مع يتمه دليلا على أن الله تولى رعايته وتأديبه ، وحتى ينشأ قوي الارادة ماضي العزيمة غير معتمد على أحد في شؤونه ، وحتى لا يكون لأبويه أي أثر في دعوته .

٦ - السفر الى الشام

خرج أبو طالب في ركب تاجراً الى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صب به[١] رسول الله ﷺ ، وكان في الثانية عشرة من عمره ، فرق له وأخذه معه .

فلما أتوا بصرى نزلوا قريباً من صومعة راهب يقال لـه : بحيرا ، فصنع لهم طعاماً ودعاهم إليه ، وكانوا كثيراً ما يمرون بـه فلا يدعوهم لشيء . وحين رأى محمداً جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر الى أشياء في جسده ، ويسأله عن حاله في نومه وهيئته وأموره . ثم نظر الى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه .

ثم قال لأبي طالب : ما هذا الغلام منك ؟

قال : ابني .

قال : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً .

قال : فإنه ابن أخي ، مات أبوه وأمه حامل به .

قال : صدقت ، فارجع به الى بلدك ، واحذر عليه يهود ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم .

فأسرع به الى بلده[٢] .

وقد انتهز بعض المستشرقين والمغرضين لقاء محمد بهذا الراهب ليزعموا أنه تلقى منه القرآن والاسلام، مع أن هذا اللقاء لم يستغرق غير ساعة الجلوس الى المائدة ، ومع الفرق الكبير بين عقيدة التوحيد التي جاء بها القرآن وعقيدة التثليث عند النصارى ، وغير ذلك من العقائد والأحكام[٣] .

---

(١) أي مال إليه ، والصبابة : رقة الشوق وحرارته .

(٢) أخرج هذه القصة مع بحيرا الترمذي من حديث صحيح لأبي موسى الأشعري .

(٣) تهذيب السيرة ج١ ص ٤٢-٤٤ ، فقه السيرة للغزالي ص ٦٨ ، السيرة النبوية للندوي ص ٨٩ - ٩٠ .

٧ ـ رعـــي الغنـــم

عاد محمد ﷺ الى مكة ، ورأى أن أحسن ما يعمله ليخفف عن عمه عبء النفقة أن يرعى الغنم مقابل دريهمات يدفعها إليه أصحابها •

ويؤدي ذلك العمل الى تنشئة النفس على الصفاء والهدوء ، والانطلاق في ربوع الأرض الفسيحة وشعاب الجبال وبطون الأوديـــة ، وتعليمها اليقظـــة والحذر ، واكتساب الحلم والصبر ، وتعويدها على الوداعة والشفقة • فكان رعي الغنم دربة ومرانا على سياسة الأمم • وقد سبقه الى هذا العمل الجليل موسى وداود وغيرهما من الأنبياء •

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم •

فقال أصحابه : وأنت ؟

فقال : نعم ، كنت أرعاها على قراريط[١] لأهل مكة »[٢] •

---

(١) يعني كل شاة بقيراط ، وهو جزء من الدرهم أو الدينار •
وقيل : قراريط اسم موضع بمكة •

(٢) رواه البخاري برقم ٢٢٦٢ •

٨ ـ حرب الفِجار

نشبت هذه الحرب بين قريش ومن معهم من كِنانة وبين هَوازن • وسببها أن عروة الرحال بن عتبة••• ابن هوازن أجار لطيمة[1] للنعمان بن المنذر الى سوق عكاظ • فقال له البرّاض بن قيس ••• ابن كِنانة : أتجيرها على كنانة ؟ قال : نعم وعلى الخلق •

فخرج فيها عروة،وخرج البراض يطلب غفلته حتى قتله • وعلمت كنانة فارتحلوا ، وهوازن لا تشعر بهم • ثم بلغهم الخبر ، فاتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن • ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً •وعاونت قريش كنانة[2] • وشهد محمد ﷺ بعض أيامهم ، أخرجه أعمامه معهم • وقال : « كنت أُنبِّل على أعمامي » • أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها • وكان حينئذ ابن أربع عشرة أو خمس عشرة سنة ، وقيل ابن عشرين • ويرجح الأول أنه كان يجمع النبال ، ويناولها لأعمامه ، مما يدل على حداثة سنه •

وبذلك اكتسب الجرأةوالشجاعة ، وتمرن على القتال منذ ريعان شبابه•

وقد سميت حرب الفجار لما استحل فيها الحيان المتقاتلان من المحارم بينهم ، ولأن عروةقتل في الشهر الحرام[3] •

وهذه الحرب تدل على الفرقة والحماقة لدى العرب في الجاهلية ، فكثيراً ما كانت تنشب بينهم الحروب لأتفه الأسباب •

---

(١) اللطيمة : الجِمال التي تحمل الطيب والبز للتجارة •

(٢) قريش فرع من كنانة •

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ق١ ص ١٨٤ ـ ١٨٧ ، السيرة الحلبية ج١ ص ١٢٧ ـ ١٢٩ •

٩ ـ حلف الفضول

كان حلف الفضول بعد رجوع قريش من حرب الفجار • وسببه ان رجلا من زَبيد[١] قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل ، وحبس عنه حقه • فاستعدى عليه الزبيدي أشراف قريش ، فلم يعينوه لمكانة العاص فيهم ؛ فوقف عند الكعبة واستغاث بآل فهر وأهل المروءة • فاجتمع بنو هاشم وبنو المطلب ابني عبد مناف ، وبنو أسد بن عبد العزى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرّة في دار عبد الله بن جُدعان ، وتعاقدوا على ألاّ يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم إلا قاموا معه حتى ترد إليه مظلمته • ثم مشوا الى العاص بن وائل واستخلصوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه •

وسمّت قريش هذا الحلف حلف الفضول • وقد شارك محمد ﷺ مع عمومته في هذا الحلف ، وقال بعد بعثته :

« لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النَّعم[٢] • ولو دعيت به في الاسلام لأجبت »[٣] •

واشتراكه في هذا الحلف يدل على حبه للعدل وتأييده للحق ومناصرته للضعيف ووقوفه بجانب المظلوم من قبل أن يوحى إليه[٤] •

---

(١) أي من اليمن •

(٢) الابل الحمراء ، وهي أنفس أموال العرب •

(٣) رواه البيهقي وابن اسحق وأحمد والحاكم ، وهو صحيح •

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ق١ ص ١٣٣ ـ ١٣٤ ، الطبقات لابن سعد ج١ ص ٨٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ج١ ص ٣٥٧ـ٣٥٩ ، نور اليقين ص١٧ •

١٠ ــ تجارته في مال خديجة وزواجه

كانت خديجة بنت خويلد[١] أرملة[٢] ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال ليتجروا بمالها . فلما بلغها عن محمد صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه عرضت عليه أن يخرج في مالها الى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار . فقبل وسافر معه غلامها ميسرة . وقدما الشام ، وباع محمد سلعته التي خرج بها ، وأشترى ما أراد من السلع . فلما رجع الى مكة وباعت خديجة ما أحضره لها تضاعف مالها .

وقد حصل محمد ﷺ في هذه الرحلة على فوائد عظيمة بالاضافة الى الأجر الذي ناله ، اذ مر بالمدينة التي هاجر إليها من بعد وجعلها مركزاً لدعوته وبالبلاد التي فتحها ونشر فيها دينه . كما كانت رحلته سبباً لزواجه من خديجة بعد أن حدثها ميسرة عن سماحته وصدقه وكريم أخلاقه ، وأنه كان يرى ملكين يظلانه في الشمس اذا اشتد الحر ، وأنه نزل في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب اسمه نسطورا ، فسأله : من هذا الرجل ؟ فقال : هذا رجل من قريش من أهل الحرم . فقال : ما نزل تحت هذه الشجرة[٣] إلا نبي .

فبعثت الى محمد وقالت له : يا ابن عم ! إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك[٤] في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك . فذكر ذلك

---

(١) هو خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الجد الرابع لرسول الله ﷺ . وقد مات قبل الفجار .

(٢) تزوجها وهي بكر عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وولدت له هندا بنت عتيق ثم هلك عنها ثم تزوجها أبو هالة النباش بن زرارة التميمي ، وولدت له هنداً وهالة ، ومات أيضاً .

(٣) يعني ما نزل الآن . (٤) السِّطة : الشرف .

لأعمامه ، فخرج معه أبو طالب وحمزة الى عمها عمرو بن أسـد فتزوجها • وكان صَداقها عشرين بَكرة • وكان محمد في الخامسة والعشرين من عمره ، وهـي في الأربعين[1] • وكانت أوسط نسـاء قريش نسباً وأعظمهن شرفـاً وأكثرهن مالا ، وكانت تدعى الطاهرة • وكان كل واحد من أشراف قريش يحرص على الزواج منها لو ترضى به •

وكانت خديجـة خـير زوج لرسول الله ﷺ ، واسته بمالهـا وصدقته وأعانته • وكانت لبيبة حكيمة تحترم بعلها وتعرف فضله • كما كان رسول الله ﷺ يجلها ويحسن معاشرتها • ولم يتزوج غيرها حتى توفيت[2] •

وقد ولدت لرسول الله ﷺ غلامين وأربع بنات • وابناه هما :

القاسم ، وبه كان ﷺ يكنى • وعبد الله ، ويلقب الطاهر والطيب •

وقد مات القاسم بعد أن بلغ سناً تمكنه من ركوب الدابة ، ومات عبدالله وهو طفل ، وذلك قبل البعثة •

أما بناته فهن : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة • وقد أسلمن وهاجرن الى المدينة وتزوجن • وتوفيت كل بناتـه قبله إلا فاطمة توفيت بعـده بستة أشهر[3] •

---

(1) وقيل في الخامسة والثلاثين •

(2) رواه مسلم عن عائشة برقم ٢٤٣٦ •

(3) السيرة النبوية لابن كثير ج١ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٧ ، تهذيب السيرة ج١ ص ٤٥ ـ ٤٦ ، محمـد رسول الله ـ محمد رضـا ص ٣٨ ـ ٤٠ ، فقـه السيرة للغزالي ص ٧٨ ـ ٨٠ •

١١ ـ بنيـــان الكعبـــة

لمَّا بلغ محمد ﷺ خمساً وثلاثين سنة[١] اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة لما أصابها من حريق جارف صدَّع جدرانها • وكانت لا تزال كما بناها إبراهيم ــ عليه السلام ــ رضماً[٢] فوق القامة • فأرادوا هدمها ليرفعوهـا ويسقفوها • ولكنهم هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها • فأخذ المعول ، ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم نزغ ، ولا نريد إلا الخير !

وهدم من ناحية الركنين • فتربص الناس تلك الليلة وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ، ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعناه • فأصبح الوليد غادياً يهدم ، وهـدم الناس معه حتى انتهوا الى حجارة خضر كالأسنمة[٣] آخذ بعضها ببعض •

وكانوا قد جزؤوا العمل وخصوا كـل قبيلة بناحية ، واشترك سـادة قريش وشيوخها في نقل الحجارة ورفعها •

عن جابر ــ رضي الله عنه ــ قال : لمـا بنيت الكعبة ذهب النبـي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة • فقال عباس للنبي : اجعل ازارك على رقبتك يقيك من الحجارة ،فخر الى الأرض[٤] • وطمحت[٥] عيناه الى السماء ثم أفاق فقال : إزاري إزاري ، فشد عليه إزاره[٦] •

---

(١) وقيل خمساً وعشرين •
(٢) الرضم : حجارة منضودة بعضها على بعض من غير طين •
(٣) جمع سنام وهو أعلى ظهر البعير •
(٤) أي ففعل ذلك فوقع • (٥) أي ارتفعت •
(٦) رواه البخاري برقم ١٥٢٨ ، ٣٨٢٩ ومسلم وغيرهما •

فلما بلغوا موضع الحجر الأسود اختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الأخرى ، وكادوا يقتتلون فيما بينهم ، لولا أن أبا أمية بن المغيرة[1] قال : يا معشر قريش ! اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد •فلما توافقوا على ذلك دخل محمد ﷺ[2] • فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رضينا • فلما أخبروه الخبر قال : هلموا ثوباً • فأتوه به • فوضع الركن فيه بيديه ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوا جميعاً • فرفعوه ، حتى إذا بلغوا موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه •

وكانت هذه مكرمة لمحمد ﷺ ، اذ منع رجال قريش من قتال بعضهم بعضاً بحكمته ورجاحة عقله ؛ مما جعلهم يرضون بحكمه ، ويقرون بفضله •

وأصبح ارتفاع الكعبة ثمانية عشر ذراعاً ، ورفع بابها عن الأرض بحيث يصعد إليه بدرج ، لئلا يدخل إليها كل أحد ، فيدخلوا من شاؤوا ، وليمنعوا الماء من التسرب الى جوفها •

واسند سقفها الى ستة أعمدة من الخشب • غير أن قريشاً ضاقت بهم النفقة الطيبة عن اتمام البناء على قواعد اسماعيل ، فأخرجوا منها الحِجر ، وبنوا عليه جداراً قصيراً دلالة على أنه منها[3] •

---

(١) كان سيد قريش وكبيرها •

(٢) روى البيهقي عن علي أنه ﷺ دخل من باب بني شيبة • (سنن البيهقي جـ ٥ ص ٧٢) •

(٣) السير والمغازي لابن اسحق ص ١٠٣ ـ ١٠٨ ، تهذيب السيرة جـ١ ص٤٧ـ٤٩ ، السيرة النبوية لابن كثير جـ١ ص ٢٧٠ ـ ٢٨١ ، نور اليقين ص ١٩ ـ ٢١ ، فقه السيرة للغزالي : ٨١ ـ ٨٤ •

١٢ ـ أخلاقه قبل البعثة

كان محمد ﷺ أحسن الناس خلقاً وأجود الناس كفاً وأصدق الناس حديثاً ، وأفضلهم مروءة وخيرهم جواراً وأمانة وأوفاهم ذمة ، فسماه قومه الأمين .

وشهد أعداؤه بحسن خلقه.قال النضر بن الحارث[1]: يامعشر قريش!إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ؛ قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة .

وقد حفظه الله في صغره من كل أعمال الجاهلية التي جاء الشرع بضدها ، فلم يكن يعبد الأصنام ، ولم يأكل ما ذبح على النصب ، ولم يشرب الخمر ، ولم يكن يلهو مع قومه في حفلاتهم . قال ﷺ :

« لما نشأت بُغضت الى الأوثان وبُغض إليّ الشعر ، ولم أهم بشي مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى أكرمني الله برسالته ؛ قلت ليلة لغلام كان يرعى معي : لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة ، فأسمر كما يسمر الشباب ، فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم ، فجلست لذلك ، فضرب الله على أذني فنمت ، فما أيقظني إلا مس الشمس ، ولم أقض شيئاً .

ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك »[2] .

وكان مصوناً عما يستقبح . عن النبي ﷺ قال :

---

(١) قتل كافراً يوم بدر .

(٢) رواه البيهقي عن علي بن أبي طالب .

« إني لمع غلمان هم أسناني قد جعلنا أزرنا على أعناقنا لحجارة ننقلهـا إذ لكمني لاكم لكمة شديدة ثم قال : اشدد عليك إزارك[1] »

وكذلك لما كان ينقل الحجارة للكعبة وعليه إزاره قال لـه عمه العباس : يا ابن أخي ! لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة . فحلـه ، فجعله على منكبيه ، فسقط مغشياً عليه ، فما رؤي بعد ذلك عرياناً[2] .

وكان إذا خرج لحاجته يبتعد كثيراً عـن الناس ومنازلهم ، ويفضي الى شعاب مكة وبطون أوديتها .

ومـا رؤي ملاحياً ولا مارياً أحـداً . وكان أبعـد الناس من الفحش والأذى[3] .

وهذا يدل على أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ اختار أطيب نفس وأكـرم إنسان ليكون خاتم رسلـه :

« الله أعلـم حيث يجعل رسالتـه » .

(سورة الأنعام ١٢٤)

---

(١) رواه ابن اسحق في السيرة .

(٢) رواه البخاري عن جابر بن عبد الله برقم ٣٦٤ وقد ذكرناه برواية أخرى في الفصل السابق ص ٣٩٣ .

(٣) تهذيب السيرة جـ١ ص ٥١ ــ ٥٣ ، ٧٤ ، السيرة النبويـة لابن كثـير جـ ١ ص ٢٤٩ ــ ٢٥٢ ، نور اليقين ص ٢٣ ــ ٢٤ .

١٣ ـ بدء الوحي

لما بلغ محمد ﷺ أربعين سنة نزل عليه الوحي •

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :

(أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي[١] الرؤيا الصالحة[٢] في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[٣] • ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء[٤] ، فيتحنث[٥] فيه الليالي ذوات العدد[٦] ، قبل أن ينزع[٧] الى أهله • ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة ويتزود لمثلها[٨] ، حتى جاءه الحق[٩] ، وهو في غار حراء •

فجاءه الملك فقال : اقرأ • قال : ما أنا بقارئ[١٠] • قال : فأخذني

---

(١) الوحي لغة : الاعلام في خفاء • وشرعاً : الاعلام بالشرع • ويطلق على كلام الله المنزل على نبيه •

(٢) أي الصادقة كما في رواية أخرى •

(٣) المراد بفلق الصبح ضياؤه ، وخص بالتشبيه لظهوره الواضح الذي لا شك فيه •

(٤) حراء جبل في الشمال الشرقي من مكة ، على ثلاثة أميال منها ، عن يسار المار الى منى ، له قلة منحنية مشرفة على الكعبة ، والغار في تلك الحنية •

(٥) التحنث : القاء الحنث وهو الاثم • وفي رواية : « يتحنف » : أي يتبع الحنيفية وهي دين ابراهيم عليه السلام •

(٦) كانت خلوته في رمضان • وعن ابن اسحق : كان يجاور في حراء من كل سنة شهراً •

(٧) أي يرجع •

(٨) رواية ابن اسحق : فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فإذا قضى جواره كان أول ما يبدأ به الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك • ثم يرجع الى بيته •

(٩) أي الأمر الحق •

(١٠) أي ما أحسن القراءة ، ولست بقارئ البتة •

فغطني[1] حتى بلغ مني الجَهْدُ[2] ، ثـم أرسلني فقال : اقرأ • قلت : ما أنا بقارىء • فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد • ثم أرسلني فقال : اقرأ • فقلت : ما أنا بقارىء • فأخذني فغطني الثالثة • ثم أرسلني فقال :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الانسان من علق •
اقرأ وربك الأكرم » •   (سورة العلق ١ ـ ٣)

فرجع بها[3] رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل علـى خديجة بنت خويلد ــ رضي الله عنها ــ فقال : زملوني زملوني • فزملوه[4] حتى ذهب عنه الرَّوع[5] • فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي[6] • فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنـك لتصل الرحم ، وتحمـل الكَلَّ[7] ، وتَكْسِب المعدوم[8] ، وتقري الضيف ، وتعين علـى نوائب الحـق[9] •

(١) الغط : حبس النفس ، ومنه : غطه في الماء • أو أراد غمني ، ومنه الخنق • وفي رواية الطبري : « فغتني » كأنه أراد : ضمني وعصرني •
(٢) أي بلغ الغط مني غاية وسعي •
(٣) أي بالآيات أو بالقصة • وذلك يوم الاثنين ١٧ رمضان الموافق ٦ آب ٦١٠ م كما حرره الأستاذ محمد رضا في كتابه محمد رسول الله أو في تموز من تلك السنة كما بينه الشيخ محمد الخضري (نور اليقين : ٣١) قال ﷺ في يـوم الاثنين : « ذاك يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه » • (رواه مسلم) •
(٤) أي لفوه •
(٥) الرَّوع بالفتح : الفزع •
(٦) أي من الموت من شدة الرعب أو من المرض •
(٧) الكَلّ : من لا يستقل بأمره •
(٨) أي الفقير ، ومعنى العبارة : تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك •
(٩) ورد في رواية أخرى زيادة : « وتصدق الحديث • « وتؤدي الأمانة » •

فانطلقت بـه[1] خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ـ ابن عم خديجة ـ وكان امرءاً تنصرّ[2] في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية[3] ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي . فقالت له خديجة : يا ابن عـم ! اسمع من ابـن أخيك[4] . فقال له ورقة : يا ابن أخي ! ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى . فقال له ورقة : هـذا الناموس[5] الذي نزّل الله على موسى ، يا ليتني فيهـا جَذَعاً[6] ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : أوَ مخرجيّ هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً[7] . ثم لم ينشب[8] ورقة أن توفي . وفتر الوحي)[9] .

---

(١) أي مضت معه .

(٢) أي صار نصرانياً . وكان قد خرج هو وزيد بن عمرو بن نفيل لما كرها عبادة الأوثان الى الشام وغيرها يسألان عن الدين ، فأعجبه دين النصرانية فتنصر .

(٣) في رواية أخرى : « ويكتب من الانجيل بالعربية » . ولمسلم : « فكان يكتب الكتاب العربي » . والجميع صحيح ، لأنه تعلم اللسان العبراني والكتابـة العبرانية ، فكان يكتب الكتاب بالعبراني كما يكتب الكتاب بالعربي لتمكنه من الكتابين واللسانين .

(٤) يجتمع نسب الرسول ونسب ورقة في قصي بن كلاب الجد الرابع لرسول الله والثالث لورقة ، فيكون ورقة بمنزلة أعمام رسول الله ﷺ .

(٥) الناموس : صاحب السر ، والمراد به هنا جبريل عليه السلام .

(٦) الجذع : الصغير من البهائم ، تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء الى الاسلام شاباً ليكون أمكن لنصره .

(٧) أي قويـاً .

(٨) أي لم يلبث .

(٩) رواه البخاري رقم : ٣ ، ومسلم رقم ٢٥٢ ـ (١٦٠) .

وخوفه — ﷺ — حين جاءه الوحي يدل على أنه ما كان ينتظر أن يوحى إليـه .

قال تعالى :

« وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين » .

(سورة القصص ٨٦)

وما كان يعلم أن الله اختاره لرسالته :

« وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كـان لهم الخِيرَةُ سبحان الله وتعالى عما يشركون » .

(سورة القصص ٦٨)

١٤ ـ النبـي الأمـي

تحققت ببعثة محمد ﷺ بشارة الكتب السماوية السابقة به :

« الذين يتبعـون الرسول النبي الأمـي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التـوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عـن المنكر ويُحـِل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم[١] فالذين آمنوا به وعزّروه[٢] ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه[٣] أولئك هم المفلحون » .

(سورة الأعراف ١٥٧)

وهذا ما جعل الراهب بحيرا ونسطورا وورقة بـن نوفل وغيرهم ممن لهم علم بالتوراة والانجيل يقرون بأنه نبي هذه الأمة .

وهو لم يختلف عن قومه في أميته ، فقد كان أكثرهم لا يقرأ ولا يكتب ، واشتهروا بالأمية بين الأمم . قال تعالى :

« هـو الذي بعث في الأمّيين رسولا منهم يتلوا عليهم آياتـه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » . (سورة الجمعة ٢)

وقد جعل الله من خصّه بأعظم رسالة ، ونزل عليه ما يعجز الانس والجن عن أن يأتوا بمثله أمياً ؛ حتى لا يرتاب أحد ، فيزعم أنه كتب القرآن بنفسه ، أو تعلمه من بشر غيره :

---

(١) أي أنه جاء بالتيسير والسماحة .

(٢) أي عظموه ووقروه .

(٣) أي القرآن والوحي .

« وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون • بل هو آيات بينات في صدور الذي أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون » • (سورة العنكبوت ٤٨ ـ ٤٩)

ولا يعقل أبداً أن يمكث رجل حتى الأربعين من عمره بدون أن ينظم شعراً أو يميل الى القاء المواعظ والخطب وسرد الحكايات والقصص ، بين قوم اشتهروا بالفصاحة والبلاغة ، وعنوا بنظم القصائد والأشعار ؛ ثم يأتي بكتاب معجز ، ولا يكون منزلا عليه من ربه :

« قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عُمُراً من قبله أفلا تعقلون » • (سورة يونس ١٦)

وكل من ألَمَّ بسيرته ﷺ لا يسعه إلا أن يؤمن به وأن يصدقه ويهتدي بهديه :

« وكذلك أوحينا إليك رُوحاً من أمرنا(١) ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به مَن نشاء مِن عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » • (سورة شورى ٥٢)

وإن دعوة من رسول أمي تبدأ بكلمة : « اقرأ » ، ثم تمضي تحث على طلب العلم وتشيد بالعلماء ، وتبين المنهج العلمي ،وتشير الى حقائق علمية قبل اكتشاف العلماء لها بعصور طويلة لهي دليل على أن مصدرها الله الحكيم العليم :

« وإنك لتُلَقّى القرآن مِن لَدُن حكيم عليم » •
(سورة النمل ٦)

---

(١) يعني القرآن •

١٥ ـ تتابع الوحي ومراتبه

فتر الوحي عن رسول الله ﷺ مدة من الزمان[١] ليذهب ما كان يجده من الرعب ، وليحصل له التشوق الى العود • وقد اشتد حزنه لتأخر الوحي حتى كاد يتردى من رؤوس الجبال ، وكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه سمع من يقول له : يا محمد ! إنك رسول الله حقاً • فيسكن لذلك جأشه ، وتقر عينه فيرجع[٢] • ثم تبدى له جبريل وتتابع الوحي •

قال ﷺ : (بينا أنا أمشي ، إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملوني[٣] • فأنزل الله تعالى :

« يا أيها المدثر • قم فأنذر • وربك فكبر • وثيابك فطهر • والرجز[٤] فاهجر » • (سورة المدثر ١ ـ ٥)

فحمي الوحي[٥] وتتابع)[٦] •

وتلقي كلام الله عز وجل يحتاج الى قوة وعزيمة وصفاء واشراق لا يوجد إلا عند صفوة الله من خلقه • قال تعالى :

« وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً[٧] أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء إنه علي حكيم » •

(سورة الشورى ٥١)

---

(١) الراجح أنها أربعون يوماً • وقال بعضهم : كانت مدة الفترة سنتين ونصف •

(٢) السيرة النبوية لابن كثير جـ ١ ص ٣١٥ ـ ٣٨٧، ٤١٢ ـ ٤١٤، السيرة الحلبية جـ١ ص ٢٦١ ، نور اليقين : ٣٤ •

(٣) في رواية أخرى : « دثروني » أي غطوني •

(٤) الرجز : الأوثان وما يعذب عليه • (٥) أي جاء كثيراً •

(٦) أخرجه البخاري رقم ٤ ومسلم عن جابر •

(٧) بأن يقذف في روع النبي شيئاً لا يشك فيه أنه من الله •

وكان ﷺ يجد عناء ومشقة حين يأتيه الوحي :

عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن الحارث بن هشام ــ رضي الله عنه ــ سأل رسول الله ﷺ : يا رسول الله ! كيف يأتيك الوحي ؟

فقال : « أحياناً يأتيني مثل صَلْصَلَة الجرس[1] ــ وهو أشده علي[2] ــ فيفصم[3] عني وقد وعيت عنه ما قال . وأحياناً يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول » .

قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً[4] .

وقد وصف الله تعالى شدة الوحي بقوله :

« إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا » . (سورة المزمل ٥)

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أملى عليه :

« لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله » .

فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُملّها علي قال : يا رسول الله ! والله لو استطيع الجهاد لجاهدت ــ وكان أعمى ــ فأنزل الله على رسوله ــ ﷺ ــ وفخذه على فخذي ، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي . ثم سُرِّيَ عنه فأنزل الله : « غير أولى الضرر »[5] .

---

(١) الصلصلة في الأصل : صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ، ثم أطلق على كل صوت له طنين . قال الخطابي : معناه أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يقرع سمعه ، حتى يفهمه بعد ذلك .

(٢) يفهم منه أن الوحي كله شديد ، ولكن هذه الصفة أشدها .

(٣) أي يقلع وينجلي ما يتغشاني منه .

(٤) رواه البخاري رقم ٢ ومسلم رقم ٢٣٣٣ والترمذي .

(٥) رواه البخاري رقم ٤٥٩٢ ومسلم والترمذي . والآية هي :
« لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله ». (سورة النساء : ٩٥)

ونزلت سورة المائدة علـى رسول الله ﷺ وهو راكب علـى راحلته فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة . فنزل عنها[1] .

وكان ﷺ يعالج من التنزيل شدة ؛ وكان مما يحرك شفتيه بما ينزل عليه ليحفظه . فأنزل الله تعالى :

« لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه[2] وقرآنه[3] . فاذا قرأناه[4] فاتبع قرآنه[5] . ثم إن علينا بيانه [6] » .

(سورة القيامة ١٦ ـ ١٩)

فكان بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه[7] .

كما أمر بالإنصات الى قراءة الملك في قوله تعالى :

« ولا تعجل بالقرآن من قبـل أن يقضى إليك وحيه وقـل رب زدني علماً » . (سورة طـه ١١٤)

وإن ما كان يعتري رسول الله ﷺ من الشدة والكرب حين نزول الوحي لا يجوز أن ينسب أبداً الى الصرع الذي يصيب بعض المرضى ؛ لأن النشاط الروحي والعقلي للإنسان يختفي أثناء نوبات الصرع ، ويصبح المصروع غائباً عن صوابه لا يدرك ما يصدر عنه ولا ما يحل به ، ولا يذكر ما مر به أثناءها ، ولا يعي شيئاً مما قاله أو سمعه حينئذ[8] . بينما كان رسول الله ﷺ يذكـر كل ما ينزل عليه ، ويتلوه على أصحابه بعد تمام نزوله ، ويأمر كتاب الوحـي بكتابته ، ويحفظه ولا ينساه :

« سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى »

(سورة الأعلى ٦ ـ ٧)

---

(١) رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو وأسماء بنت يزيد .

(٢) أي في صدرك . (٣) أي وأن تقرأه .

(٤) أي اذا تلاه عليك الملك عن الله . (٥) فاستمع له وأنصت .

(٦) أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونلهمك معنا .

(٧) رواه البخاري عن ابن عباس ، رقم ٤ .

(٨) حياة محمد ـ محمد حسين هيكل ص ٤٠ ـ ٤١ .

١٦ ـ الدعــوة إلى الاســلام

قام الرسول ﷺ بالدعوة الى الاسلام بعد نزول قوله تعالى :

« يا أيهــا المدثر · قــم فأنذر » · (سورة المدثر ١ ـ ٢)

وبدأ بدعوة أقاربه وأصدقائه وذويه ، وكان أول من صدقه وآمن بــه زوجه خديجة بنت خويلد ، ثم ابن عمه علي بن أبي طالب ، وكان مقيماً عنده، ضمه إليه تخفيفاً عن أبيه حين أصابت قريشاً أزمة شديدة ، وكان حين اسلامه ابن عشر سنين أو ثمان . ثم زيد بن حارثة ، وكان عبداً وهبته له خديجة ، ثم أعتقه وتبناه .

ثم أسلم أبو بكر الصديق ، وكان يسمى عتيق بن أبي قحافة . وكــان صديقاً لرسول الله ﷺ ، وأصغر منه بثلاث سنوات ، وكان يعلم صدقه وأمانته فلما دعي الى الاسلام أسلم بدون تردد . وكان تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه ، فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به منهم، فأجابه عثمان بن عفان والزبير بن العوام[١] وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص[٢] وطلحة بن عبيد الله وآخرون .

ثم فشا ذكر الاسلام بمكة ، وتحدث به ، ودخل فيه كثير من الرجــال والنساء . وبقيت الدعوة سراً ثلاث سنوات[٣] .

---

(١) كان عمره ثماني سنين ·

(٢) كان عمره تسع عشرة سنة ·

(٣) تهذيب السيرة جـ١ ص ٥٨ ـ ٦١ ، السيرة النبوية لابن كثير جـ١ ص ٤٢٦ ـ ٤٣٩ ، ٤٥٤ ·

ولم يكن مع رسول الله ﷺ ما يهدد به هؤلاء المدعوين ويجبرهم على أتباعه ، ولا يرغبهم فيه ويجذبهم إليه سوى ما وجدوه في دعوته من الصدق ، وما لمسوه في رسالته من الحق . وهي تقوم على أساس الايمان بإله واحد لا شريك له وترك عبادة الأصنام،والايمان بأن محمداً عبده ورسوله،والايمان بالقرآن الكريم ، وقبول تعاليمه والعمل بأحكامه ، وجعل عاداتهم ومعاملاتهم كما يأمر الله في كتابه ، ويبينه لهم رسوله ، والايمان باليوم الآخر الذي يبعث فيه الناس ويجازون على أعمالهم . وحينئذ يُنَعَّم المؤمنون في الجنة ، ويعذب الكافرون في النار .

وعبادة الله وحده ، ونبذ الأصنام كانا أهم ما يدعو إليه :

عن عمرو بن عَبَسة السلمي ــ رضي الله عنه ــ قال : أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مستخف ، فتلطفت حتى دخلت عليه، فقلت : ما أنت؟ قال : أنا نبي.قلت: وما النبي؟ قال أرسلني الله . قلت : بم أرسلك ؟ قال : « أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء »[1] .

ولقي خالد بن سعيد بن العاص رسول الله ﷺ وهو بأجْيَاد فقال : يا محمد ! إلامَ تدعو ؟

قال : « أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضر ولا يبصر ولا ينفع ، ولا يدري من عبده ممن لا يعبده » .

قال خالد : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . فسُرَّ رسول الله ﷺ بإسلامه[2] .

---

(١) رواه مسلم ٢٩٤ ــ (٨٣٢) .
(٢) رواه البيهقي .

وإن استجابة هؤلاء الناس الذين كانوا على علم بأخلاق محمد ﷺ وسيرته أكبر دليل على صدقه واخلاصه . ذلك ان الرجل اذا استطاع أن يخدع بعض الناس ، فإن حقيقته تكون مكشوفة لأهله وزوجه وحاشيته ومن حوله ، وهؤلاء لا تخفى عليهم نواياه ومآربه . وإذا كان المحيطون بداعية يقدمون أموالهم وأرواحهم في سبيل دعوته ، ويبذلون كل جهودهم لنصرها ونشرها فإن ذلك يعني انه صادق ، وأن دعوته صحيحة لا غبار عليها .

١٧ ـ دعوة العشيرة وعموم الرسالة

مرت دعوته ـ ﷺ بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : كان يدعو فيها أهله ومن يثق بهم سراً .

المرحلة الثانية : بدأت بنزول قوله تعالى :

« فلا تدعُ مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين . وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك[١] لمن اتبعك من المؤمنين . فان عصوك فقل إني بريء مما تعملون » .

(سورة الشعراء ٢١٣ ـ ٢١٦)

فجمع قبيلته وعشيرته ودعاهم علانية الى الايمان بإله واحد ، وخوفهم من العذاب الشديد إن عصوه ، وأمرهم بإنقاذ أنفسهم من النار ، وبين لهم مسؤولية كل إنسان عن نفسه :

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : (لما نزلت : « وأنذر عشيرتك الأقربين » صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي[٢] : يا بني فهر ، يا بني عدي .. لبطون قريش حتى اجتمعوا . فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو . فجاء أبو لهب وقريش .

فقال : « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ » قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً .

قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » .

فقال أبو لهب[٣] : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟

---

(١) ألن جانبك . (٢) في رواية أخرى : « فهتف : يا صباحاه » .

(٣) اسمه عبد العزى بن عبد المطلب . ولقب أبا لهب لاشراق وجهه . مات بعد بدر .

فنزلت :

« تبت يدا أبي لهب[1] وتب • ما أغنى عنه ماله وما كسب • سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب • في جيدها حبل من مسد »[2] •

(سورة المسد)

وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال :

(قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله : « وأنذر عشيرتك الأقربين » •

قال : يا معشر قريش ــ أو كلمة نحوها ــ اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف ! لا أغني عنكم من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد ــ ﷺ ــ سليني ما شئتي من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً)[3] •

وأمرُ الرسول ﷺ بانذار عشيرته لا يتعارض مع أنه نذير للعالمين كما في آيات عديدة منها :

« تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » •

(سورة الفرقان ١)

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » •

(سورة الأنبياء ١٠٧)

«وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً » •

(سورة النساء ٧٩)

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكنأكثر الناس لا يعلمون » •

(سورة سبأ ٢٨)

---

(١) أي خسرت وخابت وضل عمله وسعيه •

(٢) رواه البخاري رقم ٤٧٧٠ ومسلم والترمذي والنسائي •

(٣) رواه البخاري رقم ٤٧٧١ ومسلم •

« قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » •

(سورة الأعراف ١٥٨)

وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال :

« أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي :

نصرت بالرعب مسيرة شهر •

وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل •

وأحلت لي الغنائم •

وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة[١] •

وأعطيت الشفاعة »[٢] •

وقد أمر بإنذار الأقربين قبل غيرهم لأنهم كانوا يحيطون به ، واذا قامت عليهم الحجـــة تعدت الى غيرهم ؛ فإذا آمنـــوا عاونوه في نشر الدين • وفي دعوتهم دليل على أنه لا يحابي أحداً ، ولا يفضل إنساناً على غيره مهما كانت صلته بـــه •

ولا ندري مدة هذه المرحلة إلا أنا قدرنا وجودها لأنها خطوة طبيعية على طريق الدعوة بين ما سبقها وما تلاها •

المرحلة الثالثة : أصبح يدعـــو فيها كـــل من يلتقي بـــه من الناس على اختلاف قبائلهم وبلدانهم ، حين نزل قوله تعالى :

---

(١) عند مسلم : « كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود •

(٢) رواه البخاري رقم : ٣٣٥ ، ٤٣٨ ، ومسلم رقم ٣ ـ (٥٢١) ، وأحمد •

« فاصدع بما تؤمر[1] وأعرض عن المشركين • إنـا كفيناك المستهزئين • الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون • ولقد نعلم أنه يضيق صدرك مما يقولون » • (سورة الحجر ٩٤ ـ ٩٧)

ومما يدل على تأخر هـذه المرحلة عن سابقتها الاشارة الى وجـود من يسخر منه ، والى ضيقه من تهكمهم ، وهزئهم • وهذا لم يكن إلا بعد الجهر بالدعوة •

ولعل المسلمين بقـوا مستخفين ، لا يعلنون اسلامهم خوفـاً من تعذيب المشركين طيلـة المرحلتين السابقتين ، ثـم أظهروا دينهم وبرزوا لغيرهـم حين اكتمل عددهم أربعين رجلا أو حين شعروا بعزتهم لما أسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ووافق ذلك نزول الآيات السابقة •

عن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال: مازال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت :

« فاصدع بما تؤمر » • فخرج هو وأصحابه[2] •

فصـار يَتتبـع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم ، وفي المراسـم ومواقف الحج ، ويدعو من لقيه من حر وعبـد ، وقوي وضعيف ، وغني وفقـير •

عن ربيعة الدّيلي ــ رضي الله عنه ــ قال : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز ، يتبع الناس في منازلهم ، يدعوهم الى الله[3] ، ووراءه رجل أحول تقدُ وجنتاه وهو يقول : أيها الناس ! لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم • قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا أبو لهب[4] •

---

(١) اجهر بـه وامضه •
(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٥٥٩ •
(٣) في رواية أخرى : وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » •
(٤) رواه أحمد والبيهقي ، وصححه ابن حبان •

١٨ ـ اعتراضات المشركين

قابل المشركين رسول الله ﷺ بادىء الأمر بالاستهتار والاستخفاف . وما أن دعا الى نبذ الأصنام ، وبين ضلال من يعبدها ، وجاء بعقيدة توحيد الله والبعث يوم القيامة حتى ثارت حميتهم ، وانطلقوا يدافعون عن أصنامهم ومعتقداتهم ، ويوجهون كل اعتراض نحو الدعوة الى الاسلام وحامل لوائها .

وكانت أهم اعتراضاتهم موجهة نحو وحدانية الله تعالى والايمان باليوم الآخر ، ونحو رسول الله ﷺ والكتاب الذي أنزل عليه .

وفيما يلي تفصيل لهذه الاعتراضات والرد عليها :

١ ـ الاشراك بالله :

لم يكن المشركون ينكرون بأن الله خلقهم وخلق كل شيء :

« ولئن سألتهم مَنْ خلق السموات والأرض ليقولُنَّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » . (سورة لقمان ٢٥)

لكنهم كانوا يعبدون الأصنام ، ويزعمون أنها تقربهم الى الله :

« ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زُلْفَى[١] إن الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار » .
(سورة الزمر ٣)

وقد انتقلت عبادة الأصنام إليهم من الأمم المجاورة لهم . قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي[٢] خرج من مكة الى الشام في

---

(١) قربى .
(٢) رئيس قبيلة خزاعة التي وليت البيت الحرام بعد أن تغلبت على قبيلة جُرهم .

بعض أموره ، فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق ، رآهم يعبدون الأصنام . فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها ، فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا . فقال لهم : ألا تعطوني منها صنما ، فأسير به الى أرض العرب فيعبدونه[1] . فأعطوه صنما يقال له : هُبَل . فقدم به مكة ، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه .

وقال ابن اسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجر في بني اسماعيل عليه السلام أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفَسْح في البلاد إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم . فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم الى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خَلَفَت الخُلُوف ، ونسوا ما كانوا عليه .

ولهذا قابلوا الدعوة الى التوحيد بأعظم انكار وأشد استغراب :

« وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أنِ امشوا واصبروا على آلهتكم إنَّ هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة[2] إنْ هذا إلا اختلاق » .

(سورة ص ٤ ــ ٧)

ولم يكن تصورهم لله ولعلاقته بخلقه صحيحاً ؛ اذ كانوا يزعمون أن لله صاحبة من الجن ، وأنها ولدت له الملائكة ، وأن الملائكة بنات الله !

فكانت الآيات تنزل مبينة أن الله عز وجل خلق الجن والملائكة كما خلق الإنس ، وأنه لم يتخذ ولداً ، ولم تكن له صاحبة :

---

(١) كذا بالأصول ، والقياس فيعبدوه .

(٢) احتجوا بما عليه النصارى من الشرك والتثليث .

« وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخَرَقُوا[1] له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون • بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم » • (سورة الأنعام ١٠٠ ـ ١٠١)

ومبينة أن الجن يقرون لله بالعبودية ، وينكرون أن يكون بينهم وبينه علاقة نسب :

« وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمُحضَرُون » • (سورة الصافات ١٥٨)

ومطالبة المشركين باتباع الحق ، وعدم القول بالظنون والأوهام •

« إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى • وما لهم به من علم إنْ يتبعون إلا الظن وإنَّ الظن لا يغني من الحق شيئاً » • (سورة النجم ٢٧ ـ ٢٨)

وموضحة أنه لا يعقل ان يمنح الله المشركين البنين ، ويكون له بنات ؛ وهن أدنى قيمة في رأيهم من البنين :

«أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولا عظيما » • (سورة الإسراء ٤٠)

ومحملة المشركين مسؤولية أقوالهم التي لا تقوم على دليل :

« وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستُكْتَبُ شهادتهم ويُسئلون » • (سورة الزخرف ١٩)

---

(١) اختلقوا •

٢ ـ كفرهم بالآخرة :

أما دعـوة الرسول ﷺ الى الايمان باليوم الآخر فقـد قابلها المشركون بالسخرية والتكذيب :

« وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مُزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد · أَفْتَرى على الله كذباً أم بـه جِنَّة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد » ·

(سورة سبأ ٧ ـ ٨)

فقد كانوا ينكرون بعث الموتى :

« وقالوا إنْ هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » ·

(سورة الأنعام ٢٩)

ويقسمون على ذلك الأيمان المغلظة :

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون · ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين » ·

(سورة النحل ٣٨ ـ ٣٩)

وكانوا يظنون انه ليس بعد الدنيا حيـاة ، ويطلبون احيـاء آبائهـم ليصدقوا بالآخرة :

« وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هـم إلا يظنون · وإذا تتلى عليهم آياتنـا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالـوا ائتـوا بآبائنا إن كنتم صادقين · قـل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يـوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ·

(سورة الجاثية ٢٤ ـ ٢٦)

وفاتهم ان الذي خلقهم أول مرة قادر على أن يحييهم يوم القيامة .

قال مجاهد وغيره : جاء أبي بن خلف[1] ـ لعنه الله ـ الى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم، وهو يفته ويذروه في الهواء ، وهو يقول : يا محمد ! أتزعم أن الله يبعث هذا ؟

قال ﷺ : « نعم ، يميتك الله تعالى ثم يبعثك ، ثم يحشرك الى النار » . ونزلت هذه الآيات[2] :

« أولم يرَ الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

(سورة يس ٧٧ ـ ٧٩)

٣ ـ اعتراضهم على رسول الله ﷺ :

وفوق هذا اعترضوا على شخص الرسول ﷺ ، فقد كانوا يتصورون ان الرسول لا يكون بشراً مثلهم ، وانه ينبغي ان يكون ملكاً ، أو أن يكون مصحوباً بالملائكة :

« وقالوا لولا أنزل عليه ملَك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر[3] ثم لا يُنْظَرون . ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا ولَلَبَسْنا عليهم ما يلبسون » .

(سورة الأنعام ٨ ـ ٩)

أي لو بعثنا الى البشر رسولا من الملائكة لكان على هيئة الرجل

---

(١) وفي رواية عن ابن عباس أنه العاص بن وائل .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٥٨١ .

(٣) أي لونزلت الملائكة على ما هم عليه لجاءهم من الله العذاب .

ليمكنهم مخاطبته والأخذ عنه . ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشر[1] .

وكانوا يريدون رسولا لا يحتاج الى طعام وسعي في الأسواق :

« وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا » .

(سورة الفرقان ٧ ـ ٨)

وكأنهم لم يسمعوا بأن الرسل جميعاً كانوا يأكلون ويسعون ويعملون :

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة[2] أتصبرون وكان ربك بصيراً » .

(سورة الفرقان ٢٠)

وكانوا يهزؤون من رسول الله ﷺ كلما رأوه :

« وإذا رأوك إنْ يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولا » .

(سورة الفرقان ٤١)

ويريدون أن يكون الرسول كثير المال كبيراً في أعينهم :

«وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» .

(سورة الزخرف ٣١)

ويريدون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف[3] .

ونسبوا الرسول ﷺ الى الجنون :

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٢٤ .

(٢) اختبرنا بعضكم ببعض .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

« وقالوا يا أيها الذي نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين » •

(سورة الحجر ٦ ـ ٧)

« أنَّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين • ثم تولوا عنه وقالوا مُعَلَّم مجنون » • (سورة الدخان ١٣ ـ ١٤)

ورد الله عليهم بقولـه :

« ما أنت بنعمة ربك بمجنون » •

(سورة القلم ٢)

كما نسبوه الى الكهانة والشعر :

« فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون • أم يقولون شاعر نتربص به ريب المَنُون[1] » •

(سورة الطور ٢٩ ـ ٣٠)

مع أنهم كانوا يعلمون أنه لا ينظم الشعر ، وانـه راجح العقل ، وأن ما يقوله بعيد عن سجع الكهان وقول السحرة •

عن ابن عباس قال :

قدم ضِماد مكة ، وهو رجل من أزد شنوءة ، وكان يَرْقِي من هـذه الرياح[2] ، فسمع من سفْه مكة يقولون : إن محمداً مجنون ، فقال : لو أني رأيت هذا الرجل لعـل الله يشفيه على يدي ! فلقيه • فقال : يا محمد ! إني أرقِي من هذه الرياح[3] ، وإن الله يشفي على يدي من يشاء ، فهل لك ؟

(١) أي قوارع الدهر • والمنون : الموت •
(٢) أي الجنون ومس الجن •
(٣) عند أحمد : « إني أعالج من الجنون » •

فقال رسول الله ﷺ : « ان الحمد لله نحمده ونستعينه . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد » .

فقال : أعد علي كلماتك هؤلاء . فأعادهن عليه .

فقال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، فهلم يدك أبايعك على الاسلام[1] .

ونسبوه ﷺ الى السحر والكذب :

«وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب»

(سورة ص ٤)

« نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فَضَلّوا فلا يستطيعون سبيلا » .

(سورة الإسراء ٤٧ ـ ٤٨)

وكانت الآيات تنزل على رسول الله ﷺ تفند مزاعم المشركين ، وتبين له أن الرسل السابقين استهزىء بهم ، وأن العذاب عاقبة المستهزئين :

« ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون » .

(سورة الأنعام ١٠)

وتعلمه أن المشركين لا يكذبون شخصه ، ولكنهم يكذبون رسالته ، ويدفعون آيات الله بتلك الأقاويل :

---

(١) رواه مسلم رقم ٤٦ ـ (٨٦٨) وأحمد ٢٧٤٩ والبيهقي .

« قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » . (سورة الأنعام ٣٣)

٤ ـ موقفهم من القرآن :

كذلك لم يصدقوا أن القرآن الكريم منزل من الله ، واعتبروه ضرباً من الشعر الذي كان ينظمه الشعراء ، مع أن كل من قارن بين القرآن وبين أشعار العرب يعلم انه مختلف عنها :

« وما علمناه الشعر وما ينبغي له إنْ هو إلا ذكر وقرآن مبين . لينذر مَنْ كان حيّاً ويحقَ القولُ على الكافرين » .

(سورة يس ٦٩ ـ ٧٠)

وكيف يكون القرآن شعراً وقد نزل فيه ذم للشعراء الذين يضلون الناس ويقولون خلاف الحقيقة :

« والشعراء يَتَّبِعهم الغاوون[١] . ألمْ ترَ أنهم في كل واد يهيمون[٢] . وأنهم يقولون مالا يفعلون » .

(سورة الشعراء ٢٢٤ ـ ٢٢٦)

فهو كلام الله المنزل على رسوله ، وليس شبيهاً بقول الشعراء ولا بقول الكهان :

« إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تَذَكَّرُون . تنزيل من رب العالمين » .

(سورة الحاقة ٤٠ ـ ٤٣)

وقد أدرك الشعراء قبل غيرهم أن القرآن الكريم ليس شعراً :

---

(١) يعني : الضالون .
(٢) أي : في كل لهو يخوضون .

فهذا أنيس أحد الشعراء من غِفار يأتي مكة لحاجة ، ثم يعود الى أخيه أبي ذر الغفاري ويقول له : لقيت رجلا بمكة يزعم أن الله أرسله •

ــ قال أبو ذر : فما يقول الناس له ؟

ــ يقولون : إنه شاعر كاهن ساحر •

ــ فما تقول أنت ؟

ــ قال : لقد سمعت الكهان فما هو بقولهم • وقد وضعت قوله على اقراء الشعر[1] فوالله لا يلتئم على لسان أحد أنه شعر • والله إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون[2] •

وهذا الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قومه ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر موسم الحج فقال لهم : يا معشر قريش ! إنه قد حضر الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قول بعضكم بعضاً •

ــ فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول به •

قال : بل أنتم قولوا أسمع •

ــ فقالوا : نقول كاهن •

ــ فقال : ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة[3] الكاهن وسجعه •

ــ فقالوا : نقول مجنون •

---

(١) بحوره وأنواعه •

(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٧٣) وأحمد •

(٣) الزمزمة : كلام خفي لا يسمع •

فقال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو تخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته .

ـ فقالوا : نقول شاعر .

ـ فقال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

ـ قالوا : فنقول ساحر .

ـ قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثه وعقده[1] .

ـ قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟

ـ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق[2] ، وإن فرعه لجناة[3] . وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول لأن تقولوا : ساحر ، فقولوا : ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته[4] .

فأنزل الله تعالى في الوليد :

« ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالا ممدوداً[5] وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيداً . سأُرهقه صَعُوداً[6] . إنه فكر وقَدَّر[7] . فَقُتِلَ كيف قَدَّر . ثم قُتِلَ كيف قَدَّر . ثم نظر . ثم عبس وبسر[8] . ثم أدبر واستكبر . فقال إنْ هذا إلا سحر يؤثر[9] . إن هذا إلا قول البشر . سأُصليه سقر » . (سورة المدثر ١١ ـ ٢٦)

---

(١) كان الساحر يعقد خيطاً ثم ينفث فيه .
(٢) العذق : النخلة . (٣) الجناة : ما يجنى من الثمر .
(٤) السير والمغازي لابن اسحق ص ١٥٠ ـ ١٥١ ، تهذيب السيرة ج١ص ٦٤ـ٦٥ .
(٥) واسعاً كثيراً . (٦) أي أعذبه عذاباً شديداً .
(٧) أي تروّى ماذا يقول في القرآن . (٨) أي قبض بين عينيه وكلح وقطب .
(٩) أي هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم .

وكذلك عتبة بن ربيعة ــ وكان سيداً ــ قال يوماً ، وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش! ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون.

فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه .

فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي ! إنك منا حيث قد علمت من السِّطة[1] في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم[2] ، وعبت به من مضى من آبائهم . فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها .

فقال له رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع .

قال : يا ابن أخي ! إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت تريد به شرفاً سَوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك. وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا[3] تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ؛ فإنه ربما غلب التابع[4] على الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله ﷺ يستمع منه قال : أقد فرغت يا أبا الوليد؟

---

(١) السطة : الشرف .
(٢) أي عقولهم .
(٣) الرئي : ما يتراءى للإنسان من الجن .
(٤) الصاحب من الجن .

قال : نعم .

قال : فاسمع مني .

قال : أفعل .

فقال :

« بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياتــه قرآنـا عربيا لقوم يعلمون . بشيراً ونذيـراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة[1] ممـا تدعونا إليـه ... » . (سورة فصلت ١ ـ ٥)

ثم مضي رسول الله ﷺ يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه . ثم انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة[2] منها فسجد ثم قال : قـد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال : ورائي أنـي سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . يا معشر قريش ! أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه . فوالله ليكونن لقوله الذي

---

(١) أي في غلف مغطاة .

(٢) موضع السجدة في الآية ٣٩ من السورة . وفي رواية انه لما سمع قوله تعالى : « فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » . (الآية : ١٣) أمسك عتبة على فيه ﷺ وناشده الرحم أن يكف عنه .

سمعت منه نبأ عظيم . فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه .

قال : هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم[1] .

كما ادعوا ان القرآن كذب مختلق وأساطير مكتوبة :

« وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك[2] افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلماً وزوراً . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى[3] عليه بكرة وأصيلا[4] . قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً » .

(سورة الفرقان ٤ ـ ٦)

وكان النضْر بن الحارث قد قدم الحيرة ، وتعلم أحاديث الفرس ، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فدعا فيه الى الله تعالى ، وتلا فيه القرآن ، وحذر فيه قريشاً ما أصاب الأمم الخالية ، خلفه في مجلسه إذا قام ؛ فحدثهم عن رستم وعن اسفنديار وملوك فارس ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين، اكتتبتها كما اكتتبها محمد، فأنزل الله فيه :

« إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » .

(سورة القلم ١٥)

وأنزل فيه الآيات السابقة[5] .

---

(١) تهذيب السيرة جـ١ ص ٦٨ ـ ٦٩ ، تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٩٠ ـ ٩١ ، سيرة ابن كثير جـ١ ص ٥٠١ ـ ٥٠٥ .

(٢) كذب .

(٣) تقرأ .

(٤) في أول النهار وآخره .

(٥) تهذيب السيرة جـ١ ص ٧٤ ، ٩٠ .

ومن فرط تكذيبهم وعنادهم قالوا : إن محمداً يتعلم القرآن من رجل أعجمي[1] ، كان غلاماً لبعض بطون قريش ، وكان بياعاً يبيع عند الصفا ، وربما كان رسول ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء . وذاك كان اعجمي اللسان لا يعرف من العربية إلا اليسير ، بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه . ولهذا قال تعالى :

« ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » .

(سورة النحل ١٠٣)

أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة من رجل أعجمي ؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل[2] .

واعترضوا على طريقة نزول القرآن ، فطلبوا أن ينزل جملة واحدة ، مع أن نزوله مفرقاً أدعى لتثبيت قلوب المؤمنين به وتيسير فهمه وحفظه وامتثاله :

« وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » .

(سورة الفرقان ٣٢)

فلما اعترض المشركون على القرآن وعلى من أنزل عليه بهذه الاعتراضات تحداهم الله بأن يأتوا بمثله ، وأعلن عجز الإنس والجن مجتمعين عن ذلك :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

(سورة الإسراء ٨٨)

---

(١) يقال له جبر .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٥٨٦ .

بل هم عاجزون عن أن يأتوا بعشر سور مثله :

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إنْ كنتم صادقين • فإنْ لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون » •

(سورة هود ١٣ ــ ١٤)

وحتى السورة الواحدة هم عاجزون عنها :

« وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين • أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » •

(سورة يونس ٣٧ ــ ٣٨)

فعجزهم مع أن الفصاحة كانت من سجاياهم، وكانت أشعارهم ومعلقاتهم في قمة البيان دليل على أن القرآن كلام الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله ، وكلامه لا يشبه كلام المخلوقين •

١٩ ـ دوافع الكفر

ما كان المشركون جاهلين بأن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق من ربهم . ولقد كان كبارهم يجدون أنفسهم مشوقين لسماع القرآن الكريم ، لما يجدونه فيه من البلاغة والفصاحة والحق الذي يأسر الألباب ويستولي على المشاعر . ولكنهم كانوا يكذبون محمداً ﷺ ويرفضون دعوته لأسباب ترجع الى :

١ ـ ما كان بين قبائل قريش من التنافس والتحاسد :

حدَّث الزُهري أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شَريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له . حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض :

لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً . ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه ، فباتوا يستمعون له . حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا .

فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأخنس بن شريق أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ! ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟

فقال : ماذا سمعت ! تنازعنا نحن[1] وبنو عبد مناف الشَّرف ، أطعموا

---

(١) ينتمي أبو جهل الى بني مخزوم . ويلتقي برسول الله ﷺ في مرة بن كعب .

فأطعمنا ، وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الرُّكب ، وكنا كفرسَيْ رهان قالوا : منا نبي يتأتيه الوحي من السماء ! فمتى ندرك هذه ! والله لا نسمع له أبداً ولا نصدقه .

ثم لقي الأخنس بن شَرِيق أبا جهل يوم بدر فقال له : يا أبا الحكم ! ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا فيما بيننا ، أخبرني عن محمد صادق أم كاذب !

فقال أبو جهل : والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط .

زاد في رواية : ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة النبوة فماذا يكون لسائر قريش[1] .

وعن المغيرة بن شعبة قال :

إن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال لأبي جهل :

« يا أبا الحكم ! هلم الى الله والى رسوله ، أدعوك الى الله » .

فقال أبو جهل : يا محمد ! هل أنت مُنْتَهٍ عن سب آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك .

فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل عليَّ فقال :

والله إني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن يمنعني شيء : إن بني قصي قالوا : فينا الحجابة ، فقلنا نعم . ثم قالوا فينا السقاية ، فقلنا : نعم . ثم قالوا: فينا الندوة ، فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا اللواء ، فقلنا : نعم . حتى إذا تحاكت الركب قالوا : منا نبي ! والله لا أفعل[2] .

---

(١) رواه البيهقي والطبراني،ونقلناه عنالسيرة النبوية لأحمد دحلان جـ٣ص٢٧٩ .
(٢) السيرة النبوية لابن كثير جـ١ ص ٥٠٥ ـ ٥٠٧ .

٢ ـ تكبر السادة وأنفتهم من المساواة بالمستضعفين والعبيد ٠

فالكِبْر هو الذي كان يصدهم عن آيات الله :

« قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تَنْكُصون ٠ مستكبرين به سامراً تهجرون » ٠ (سورة المؤمنون ٦٦ ـ ٦٧)

مع أنهم حلفوا أن يكونوا أهدى من اليهود والنصارى لو بعث رسول فيهم :

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونُنّ أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا ٠ استكباراً في الأرض ومكْرَ السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سُنّتَ الأولين فلن تجد لِسُنّتِ الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا » ٠ (سورة فاطر ٤٢ ـ ٤٣)

والكِبْرُ هو الذي جعلهم ينكرون كلمة التوحيد،ويتهمون الرسول ﷺ بما اتهموه بـه :

« إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ٠ ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ٠ بل جاء بالحق وصدّق المرسلين» ٠ (سورة الصافات ٣٥ ـ ٣٧)

والترفع على الفقراء والضعفاء هو الذي جعلهم يخالفون الدعوة التي تجعل اتباعها متساوين :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الأرتّ وصهيب وبلال وعمار ، فقالوا : يا محمد ! رضيت بهؤلاء ! أتريد أن نكون تبعاً لهؤلاء ؟ فأنزل الله تعالى[1] :

---

(١) أسباب النزول لأبي الحسن الواحدي النيسابوري ص ١٤٦ ٠

« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين • وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » •
(سورة الأنعام ٥٢ ـ ٥٣)

وما كان أولئك المتكبرون يصدقون بأن المستضعفين يمكنهم أن يسبقوهم الى خير أو يهتدوا قبلهم الى فضيلة :

« وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » •
(سورة الأحقاف ١١)

٣ ـ الخضوع للعادات الموروثة والتبعية للآباء :

فقد كان اتباعهم لآبائهم سبباً في ضلالهم :

« إنهم ألفوا آباءهم ضالين • فهم على آثارهم يُهْرَعون » •
(سورة الصافات ٦٩ ـ ٧٠)

وعندما كانوا يدعَون الى ما أنزل الله كانوا يعلنون بأنهم متمسكون بدين آبائهم مقتفون لأثرهم :

« وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا(١) ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون » •
(سورة المائدة ١٠٤)

« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير » •
(سورة لقمان ٢١)

---

(١) يكفينا •

ومن عجب أنهم كانوا يعتبرون الخروج على دين الآباء مذمة وعاراً :

فلما حضرت الوفاة أبا طالب دخل عليه النبي ﷺ فقال :

« أي عم ! قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله[1] » .

وكان عنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية[2] فقالا : يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب ! فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به : على ملة عبد المطلب[3] .

فقال النبي ﷺ « لأستغفرن لك ما لم انهَ عنه » . فنزلت :

« ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » .

(سورة التوبة ١١٣)

ونزلت : « إنك لا تهدي مَنْ أحببت »[4] .

٤ ــ حرصهم على مصالحهم ومكانتهم :

فقد كانوا يريدون أن تبقى لهم منزلتهم المرموقة وأمجادهم العريقة ، ويريدون أن تبقى لمكة قداستها عند القبائل العربية، إذ كانوا يظنون أن الاسلام يسلبها هذه الميزة ، ويجعل العرب يغزونها ، ويمتنعون عن جلب الرزق الى أسواقها . وينسون أن الله هو المنعم عليهم بالأمن والرزق :

---

(١) وفي رواية : « أشهد لك بها عند الله » .

(٢) أسلم يوم الفتح ، واستشهد في غزوة حنين .

(٣) وفي رواية عند أحمد : « لولا أن تعيرني قريش يقولون : ما حمل عليه إلا جزع الموت لأقررت بها عينك » .

(٤) الآية في سورة القصص : ٥٦ ، والحديث رواه البخاري رقم ٣٨٨٤ ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي .

« وقالوا إن نتبع الهدى معك نُتَخَطَّف من أرضنا أولم نمكن لهم حَرَماً آمنا يُجْبَى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

(سورة القصص ٥٧)

٥ ـ ميلهم الى الملذات والشهوات :

فقد آثروا عبادة الأصنام ، وكفروا بالآخرة ؛ لأن الإيمان يحرم عليهم الزنى والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ويحملهم تكاليف شرعية تأباها النفوس المترفة ، ويتحلل منها أصحاب الشهوات العارمة . قال تعالى :

« فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين » .

(سورة القصص ٥٠)

وحبهم للشهوات استولى على مشاعرهم وطمس على قلوبهم :

« أرأيتَ من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إنْ هم إلا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلا » .

(سورة الفرقان ٤٣ ـ ٤٤)

وهذا حال المترفين من عهد نوح عليه السلام :

« وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مُتْرَفُوها إنا بما أرسلتم به كافرون » .

(سورة سبأ ٣٤)

وبذلك نرى أن هذه الأسباب لا تختلف كثيراً عن التي دفعت قوم نوح وقوم ابراهيم وفرعون الى الكفر بأنبيائهم .

٢٠ ـ طلب المعجـزات

حاول المشركون بكل ما أوتوا من ذلاقة اللسان ، وبكل ما يملكون من قوة ، وما يحوزون من وسائل الترغيب والتهديد ، وما يعرفون من الحجج ؛ أن يثنوا رسول الله ﷺ عن دعوته . وكانوا يبذلون كل جهد لهذا مجتمعين ومنفردين :

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال اجتمع أشراف قريش بعد غروب الشمس عند الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه .

فبعثوا إليه فجاءهم سريعاً وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدو ، وكان عليهم حريصاً ، يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم ..

فقالوا له : يا محمد ! إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ؛ لقد شتمت الآباء وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة . فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك . فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما بي ما تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل إليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم

رسالات ربي ونصحت لكم . فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : يا محمد ! فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أن ليس من الناس أحد أضيق بلداً ولا أقل ماء ولا أشد عيشاً منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق . وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخ صدق ؛ فنسألهم عما تقول ، أحق أم باطل . فإن صدّقوك ، وصنعت ما سألناك صدّقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول .

فقال لهم : « ما بعثت بهذا إليكم ، إنما جئتكم من الله بما بعثني بـه ، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم . فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك ؛ سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة ، يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً فيما تزعم .

فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهـذا ، ولكن الله بعثني إليكم بشيراً ونذيراً ، فـإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فأسقط السماء علينا كِسَفاً[1] كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ؛ فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل .

(١) جمع كِسفة وهي القطعة .

فقال : « ذلك الى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل » .

قالوا : يا محمد ! أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك عما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به . إنه قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن[1].وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً. فقد أعذرنا إليك يا محمد . وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا .

وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً .

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم . وقام معه عبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة ، وهو ابن عمته[2] فقال له :

يامحمد! عرض عليك قومك ما عرضوا، فلم تقبله منهم. ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك ومنزلتك من الله ، فلم تفعل. فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ الى السماء سلماً ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايمُ الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك .

ثم انصرف عن رسول الله ﷺ ، وانصرف عنه رسول الله الى أهله حزيناً أسفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه[3] .

(١) هو مسيلمة بن حبيب الحنفي المعروف بمسيلمة الكذاب، كان قد تسمى بالرحمن.
(٢) أمه عاتكة بنت عبد المطلب . وقد أسلم قبيل فتح مكة .
(٣) تهذيب السيرة جـ١ ص ٧٠ـ٧٣، السيرة النبوية لابن كثير جـ١ ص٤٧٨ـ٤٨١ .

ونزل في ذلك قوله تعالى :

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً • أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالهـا تفجيراً • أو تسقط السماء كما زعمت علينـا كِسفاً[1] أو تأتي بالله والملائكة قبيلا • أو يكون لك بيت من زُخْرف[2] أو ترقى[3] في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا » •

(سورة الاسراء ٩٠ ــ ٩٣)

ولم يجبهم الله الى ما سألوا لأنهم طلبوا ذلك كفراً وعناداً • فلـو أجابهم ولم يؤمنوا لأهلكهم • فكان عدم تحقيق طلبهم رحمة بهم ، وليكون إيمانهم قائماً على القناعة العقلية والتفكير الصحيح ، وليقبلوا على المعجـزة القرآنية التي يستطيع كل امرىء أن يتملاها ويلمس فيها من نواحي الإعجاز ما يدفعه الى الإيمان •

قال ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر • وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامـة [4] » •

---

(١) قطعا •

(٢) من ذَهَبٍ •

(٣) تصعـد •

(٤) رواه البخاري ، رقم ٤٩٨١ ، ٧٤٧٤ ومسلم وأحمد عن أبي هريرة •

٢١ ـ المفاوضات

لم يكتف المشركون بهذه الحملة المسعورة التي شنوها ضد رسول الله ﷺ والدين الذي بعث به ، وإنما عمدوا الى الأذى والعدوان يصبونه عليه وعلى من آمن به • غير أن عمه أبا طالب حدب عليه وقام دونه ، فمشى إليه رجال من أشراف قريش وقالوا : يا أبا طالب ! إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلي بيننا وبينه •

فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه •

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه ، ثم شَرِي[1] الأمر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذكر رسول الله بينها ، فتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه •

ثم إنهم مشوا الى أبي طالب تارة أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب ! إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا • وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا • وإنا لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو تنازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين •

فبعث الى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي ! إن قومك قد جاؤوني فقالوا كذا وكذا ـ للذي قالوا له ـ فابقِ علي وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق •

فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بَداء[2] ، وأنه خاذله ومسلمه ،

---

(١) اشتد وعظم •　　(٢) اي راي جديد •

وأنه قد ضعف عن نصرته ، فقال ﷺ : « يا عم ! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » . ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ، ثم قام .

فلما ولّى ، ناداه : أقبل يا ابن أخي . فأقبل عليه . فقال : امضِ على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه ، واجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بعمارة بن الوليد ابن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب ! هذا عمارة بن الوليد أنهد[1] فتى فيقريش وأجمله ، فخذه فلك عقله[2] ونصرته ، واتخذه ولداً لا تنازع فيه . وخلِّ بيننا وبين ابن أخيك هذا الذي فارق دينك ودين آبائك ، وفرّق جماعة قومه وسفّه أحلامهم لنقتله ، فإنما هو رجل برجل .

فقال : والله ما أنصفتموني ! تعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابن أخي تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً[3] .

ثم نابذوه العداء ، وراحوا يكيدون برسول الله ﷺ حتى اشتكى[4] أبو طالب وبلغ قريشاً ثقله فقالوا : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا الى أبي طالب ، فليأخذ لنا على ابن أخيه ، وليعطه منا . والله ما نأمن أن يبتزونا أموالنا .

---

(١) اي اشد واقوى .

(٢) العَقل : الدية .

(٣) السير والمغازي لابن اسحق ص ١٥٢ ــ ١٥٤ ، تهذيب السيرة جـ١ ص ٦٢ ــ ٦٣ ، السيرة النبوية لابن كثير جـ١ ص ٤٧٣ ــ ٤٧٥ .

(٤) مرض .

فمشوا إليه فقالوا : يا أبا طالب ! إنك منا حيث قد علمت • وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك • وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له منا ، وخذ لنا منه ؛ ليكف عنا ونكف عنه ، وليدعنا وديننا وندعه ودينه •

فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه ، فقال : يا ابن أخي ! هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك •

فقال رسول الله ﷺ : نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم •

فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات •

قال : « تقولون لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه » •

فصفقوا بأيديهم ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً • إن أمرك لعجب ! ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم،حتى يحكم الله بيننا وبينه(١) •

وبذلك يبدو اصرارهم على الشرك رغم يأسهم من جعل رسول الله ﷺ يترك دينه ، وما نفورهم من كلمة التوحيد إلا لأنهم علموا أنها تعني إفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية ، وجعل شريعته حكماً فيهم ، وتنظيم حياتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم على أساسها ، ونبذ ما كانوا يحتكمون إليه من العادات والأعراف والكهان والطواغيت •

---

(١) تهذيب السيرة ج١ ص : ١٠٢ ـ ١٠٣ •

٢٢ ـ ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى

لم يفتر المشركون عن أذى رسول الله ﷺ منذ أن صدع بدعوته الى أن خرج من بين أظهرهم وأظهره الله عليهم • ويدل على مبلغ هذا الأذى تلك الآيات الكثيرة التي كانت تنزل عليه في هذه الفترة تأمره بالصبر ، وتدله على وسائله ، وتنهاه عن الحزن ، وتضرب له أمثلة من واقع إخوانه المرسلين ، مثل قولــه تعالى :

« واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا » •
(سورة المزمل ١٠)

« فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى » •
(سورة طه ١٣٠)

« واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم » •
(سورة الطور ٤٨)

« فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً » •
(سورة الإنسان ٢٤)

« واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم » •
(سورة القلم ٤٨)

« فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار » •
(سورة غافر ٥٥)

« فاصبر إن وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون » •

(سورة غافر ٧٧)

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواهُ وكان أمره فرطاً » •

(سورة الكهف ٢٨)

« ولا تحزن عليهم ولا تكُ في ضَيق مما يمكرون » •

(سورة النمل ٧٠)

« ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم » •

(سورة فصلت ٤٣)

وهذه أمثلة تدل على ايذائه ﷺ :

١ ــ عن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجيء بسلى[١] جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم[٢] فجاء به • فنظر حتى سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه ، وأنا أنظر لا أغير شيئاً ، لو كان لي منعة ! قال : فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض ، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه ، حتى جاءته فاطمة ، فطرحت عن ظهره ، فرفع رأسه ثم قال : اللهم عليك بقريش[٣] •

(١) السلى : الجلدة التي يكون فيها ولد البهائم ، كالمشيمة •

(٢) هو عقبة بن أبي معيط

(٣) رواه البخاري رقم ٣٨٥٤ ومسلم : ١٧٩٤ •

٢ ــ واجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ! سفه أحلامنا وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ! فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله ﷺ فوثبوا وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون ، أنت الــذي تقول كذا وكذا ــ لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ــ فيقول : نعم ، أنا الذي أقول ذلك، ثم أخذ رجل منهم[1] بمجمع ردائه ؛ فقام أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ دونــه وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلاً أن يقول : ربي الله[2] !

٣ ــ ومر أبو جهل برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره • ولم يلبث حمزة بن عبــد المطلب أن رجع من قنص[3] له ، فأعلمته بذلك مولاة لعبــد الله بن جدعان ، فأقبل نحو أبي جهل حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ، فشجه شجة منكرة ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فكان ذلك سبباً لإسلامه[4] •

٤ ــ وكانت أم جميل امرأة أبي لهب تحمل الشوك وتطرحه على طريق رسول الله ﷺ حين يمر •

وحين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها فهر من حجارة ، فلما وقفت عليهما قالت : يا أبا بكر ! أين صاحبك ؟ فقد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ! ثم انصرفت • فقال أبو بكر : يارسول الله ! أما تراها رأتك ؟ فقال : لقد أخذ الله ببصرها عني[4] •

---

(١) هو عقبة بن أبي معيط •
(٢) رواه ابن اسحق ، والبخاري عن عمرو بن العاص ، رقم ٣٨٥٦ •
(٣) صــيد •
(٤) تهذيب السيرة ج١ ص ٦٥ ــ ٦٨ ، ٧٣ ــ ٧٤ ، ٨٨ ــ ٨٩ •

٥ ـ وقال أبو جهل للمشركين بعد أن اجتمعوا برسول الله ﷺ وأغروه بالمال والملك وطلبوا منه المعجزات : يا معشر قريش ! إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا . وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً ، فامض لما تريد .

فلما أصبح أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس ينتظره . وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، فقام يصلي . وغدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً[1] لونه مرعوباً ، قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده . وقام إليه رجال من قريش فقالوا له : ما لكَ يا أبا الحكم ؟

قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته قط ولا مثل قَصَرته[2] ولا أنيابه ، فهم بي أن يأكلني[3] .

وتعرض الرسول ﷺ لهذا الأذى يدل على صدقه في تبليغ الرسالة واخلاصه .

---

(١) انتقع لونه : تغير من هم أو فزع .
(٢) القصرة : أصل العنق .
(٣) المرجع السابق .

٢٣ ـ عدوان المشركين على المستضعفين

لقد لقي الذين استجابوا لرسول الله ﷺ صنوفاً من الأذى وأنواعاً من العذاب لحملهم على ترك دينهم ومفارقة نبيهم •

وبهذا الأذى والعذاب يتميز المؤمن الصادق من الكاذب • قال تعالى :

« أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » • (سورة العنكبوت ٢ ـ ٣)

ولا بد من الصبر على الشدائد حتى يأتي النصر ، ولا بد من احتمال المكاره لدخول الجنة :

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزُلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » •

(سورة البقرة ٢١٤)

وكان أذى المشركين للمسلمين ألواناً ، فمنه النفسي ومنه الجسدي ، ومنه المعنوي ومنه المادي •

كان أبو جهل إذا سمع بالرجل قد أسلم ، له شرف ومنعة ، أنّبه وأخزاه، وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك! لنسفهن حلمك ولنفيلن رأيك[1]،

---

(١) فيل رأيه : قبحه وخطأه •

ولنضعن شرفك • وإن كان تاجراً ، قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك • وإن كان ضعيفاً ، أغرى به •

وكانت كل قبيلة تعذب من فيها من المسلمين بالحبس والضرب والجوع والعطش وبرمضاء[1] مكة إذا اشتد الحر •

فكان بلال بن رباح رضي الله عنه يخرجه سيده أمية بن خلف إذا حميت الظهيرة ،فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى • فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد •

وما زال يعذب حتى مر به أبو بكر رضي الله عنه فاشتراه وأعتقه •

وكان عمار بن ياسر وأبوه وأمه رضي الله عنهم يخرجهم بنو مخزوم إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول :

« صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنــة » •

وبقوا يُعذَّبون حتى ماتت أمه سمية حين طعنها أبو جهل بحربة في قبلها ، ثم قتل زوجها ياسر • وهما أول قتيلين في الاسلام •

أما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها ، ثم أتى الرسول ﷺ وهو يبكي ، فجعل يمسح عينيه ويقول له : « إن عادوا لك فعد لهم بما قلت » •
وأنزل الله تعالى :

---

(١) الرمضاء : الرمل الشديد الحرارة •

« من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم[1] » .

وكان خباب بن الأرت حداداً وعبداً لأم أنمار ، فلما أسلم صارت مولاته تأتي بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره ليكفر فلا يزيده إلا إيماناً[2] .

ثم أتى خباب النبي ﷺ وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة ، فقال له : ألا تستنصر لنا ! ألا تدعو الله لنا ؟ .

فقعد وهو محمر وجهه فقال: «لقد كان من قبلكم ليُمشط بمِشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه . ويوضع الميشار على مفرق رأسه ، فيشق باثنين ، ما يصرفه ذلك عن دينه . وليتمن الله هـذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف إلا الله[3] » .

وإن في هذه البشارة من رسول الله ﷺ وهم قليل مستضعفون لدليلاً على صدق رسالته . ولم يمض إلا عشرون سنة حتى عـز المسلمون وانتشر الأمن وقضي على أولئك العتاة المجرمين . قال تعالى :

« حتى إذا استيأس الرسـل وظنوا أنهم قد كُذِبوا جـاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يُرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

(سورة يوسف ١١٠)

---

(١) الآية من سورة النحل : ١٠٦ ، والحديث من أسباب النزول للواحدي ص١٩٠، والأمثلة المذكورة من تهذيب السيرة ج١ ص ٧٥ ــ ٧٧ .

(٢) نور اليقين ص ٥٦ ــ ٥٧ .

(٣) رواه البخاري ، رقم ٣٦١٢ ، ٣٨٥٢ .

٢٤ ـ الهجـرة إلى الحبشـة

لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً ممّا أنتم فيه .

فخرج إليها عشرة رجال وخمس نسوة ، منهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ . وكان عليهم عثمان بن مظعون . وذلك في شهر رجب سنة خمس من البعثة ، ٦١٥ م .

ثم رجع بعضهم الى مكة بعد ثلاثة أشهر لأنـه بلغهم اسلام أهلها لما قرأ عليهم الرسول ﷺ سورة النجـم وسجد في آخرها وسجدوا معه ، وأنهـم كفوا عن إيذاء المسلمين . حتى إذا دنوا من مكة علموا أن ما كانوا تحدثوا به من اسلا مأهلها كان باطلا . ولم يتمكن أحد منهم من دخولها إلا بجوار واحد من المشركين أو مستخفياً .

ولعل هذه الهجرة كانت استطلاعية ، فعادوا بعـد أن وجدوا الحبشة مناسبة لايواء المهاجرين ، ليعلموا رسول الله ﷺ بذلك .

وزاد أذى المشركين للمسلمين ، فكانت الهجـرة الثانيـة الى الحبشة . ثم تتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، فمنهم من خرج بأهله ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه . وجميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى ابنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولـدوا فيها ثلاثة وثمانون رجلا وثماني عشرة امرأة[1] .

---

(١) قـال ابن هشام : وجميع مـن هاجر الى أرض الحبشة من النساء ست عشرة امرأة . وكان مع أم حبيبة ابنتها حبيبة ، خرجت بها من مكة ، ورجعت بها معها . وقد ولدن هناك خمسة ذكور وخمس بنات ، رجعوا بهم سوى صبي وابنتين ، هلكوا بالطريق مع أمهم من ماء شربوه .

(السيرة النبوية ق٢ ص ٣٦٨ ـ ٣٧٠)

وساء قريشاً أن يأمن المسلمون ويطمئنوا بأرض الحبشة فأرسلوا الى ملكها النجاشي عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة[1] بهدايا له ولبطارقته ، ودفعا الى كل بطريق هديته ليشير على الملك برد المهاجرين. فلما دخلا عليه قالا: أيها الملك ! إنه قد ضوى[2] الى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك . وجاؤوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت . وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم لتردهم إليهم .

فقال النجاشي : لا أردهم حتى أدعوهم فاكلمهم وأنظر ما أمرهم . ثم جمعهم وسألهم عن دينهم .

فقال جعفر بن أبي طالب : أيها الملك ! كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا حق الضعيف . فبعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ؛ فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه . وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم .. وعدد عليه أمور الاسلام .

فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاءنا به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ؛ فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك .

---

(١) وقيل عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، كما قيل : أرسلوا عمراً وعمارة أولا ، ثم عمراً وعبد الله بعد بدر . وذكر السهيلي أن عمارة كان مع عمرو وعبد الله . (الروض الأنف ج١ ص ٢١٢)

(٢) أتى ولجأ .

وقال عمرو بن العاص : إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيماً •

فقال النجاشي : أخبروني ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟

فقال جعفر : نقول فيه الذي جاء به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول[١] • وقرأ عليه صدراً من سورة مريم•

فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكى اساقفته حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال لهم : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة[٢] واحدة• والله ما عدا عيسى مما قلت هذا العود • اذهبوا فأنتم شيوم[٣] بأرضي ، من سبكم غرم • ما أحب أن لي دَبْراً[٤] من ذهب ، وأني آذيت رجلا منكم •

وأمر برد الهدايا إليهما ؛ فخرجا من عنده مقبوحين •

وبقوا آمنين في الحبشة نحو خمس عشرة سنة ، اذ بقي بعضهم حتى سنة سبع من الهجرة ، ومنهم من عاد قبل ذلك[٥] •

---

(١) المنقطعة عن الأزواج •

(٢) المشكاة : الكوة غير النافذة •

(٣) أي آمنــون •

(٤) الدَّبْر بلغة الحبشة : الجبل •

(٥) جميع الذين قدموا مكة من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا • وقدم المدينة بعد بدر من الحبشة سبعة وعشرون رجلا • وهلك بأرض الحبشة سبعة رجال• والباقون قدموا يوم فتح خيبر في المحرم ٧هـ ، وهم ستة عشر رجلا • وكان فيهم أبو موسى الأشعري •
انظر السيرة النبوية لابن هشام ق١ ص : ٣٢١ ـ ٣٣٨ ، ٣٦٤ ـ ٣٦٩ ، ق٢ ص : ٣٥٩ ـ ٣٧٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص ٣ ـ ٣٠ ، ٥٦ ـ ٥٨ ، والسيرة الحلبية ج١ ص ٣٢٣ ـ ٣٤٢ ، والسيرة النبوية لأحمد دحلان ج١ ص ٢٤٤ ـ ٢٥٦ •

ولعل هجرة بعض من كانوا يعتبرون من الأشراف مثل عثمان بن عفان وجعفر بن أبي طالب والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف كان يقصد بها دعوة الأحباش الى الاسلام ، أو تهيئة الحبشة لتكون مركزاً للدعوة . فلما وجدوها غير صالحة لذلك لعدم اسلام أهلها ، وبعدها عن أرض العرب ، بقي الرسول ﷺ في مكة حتى وقع اختياره على المدينة التي هاجر إليها .

وقد يكون المقصود بالهجرة أيضاً إثارة كوامن المروءة في نفوس سادة المشركين ، مما نجد أثره في عمر بن الخطاب اذ قال لليلى بنت أبي حثمة زوج عامر بن ربيعة لما ركبت بعيرها وتوجهت الى الحبشة : الى أين يا أم عبد الله ؟ فقالت : قد آذيتمونا في ديننا ، نذهب في أرض الله حتى لا نؤذى .

فقال : صحبكم الله . وكان من أشد الناس على المسلمين[1] .

ولما خرج أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — مهاجراً نحو الحبشة لقيه ابن الدغنة[2] فقال له : أين تريد يا أبا بكر ؟

فقال : أخرجني قومي ، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي .

فقال ابن الدغنة : مثلك يا أبا بكر لا يخرج ! إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص ٣٣ ، نور اليقين ص ٦٥ .

(٢) هو سيد قبيلة عظيمة اسمها القارة ، كما انه سيد الاحابيش ، وهم بنو الحارث ابن عبد مناة بن كنانة ، وبنو الهون بن خزيمة بن مدركة ، وبنو المصطلق بن خزاعة . سموا الأحابيش لأنهم تحالفوا بواد يقال له الأحبش بأسفل مكة . وقيل سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم .

فأنا لك جار ، فارجع واعبد ربك ببلدك . فرجع وارتحل معه ابن الدغنة ، وطاف في أشراف قريش ، وأعلن جواره له .

فأقروا له بذلك[1] .

وإن دعوة يترك معتنقوها بلادهم من أجل التمسك بها لهي جديرة بالاهتمام والتصديق . وإن رهطاً آثروا دينهم على ديارهم لجديرون بالتبجيل والتكريم .

---

(1) رواه البخاري رقم ٣٩٠٥ .

٢٥ ـ حصار الشعب

لما رأى المشركون أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا في الحبشة ، وأن عمر بن الخطاب قد أسلم ، وأن الاسلام فشا في القبائل ، أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ • فجمع أبو طالب بني هاشم وبني المطلب ، وأمرهم أن يدخلوا محمداً ﷺ شعبهم ، وأن يمنعوه ممن أراد قتله • فوافقه على ذلك مسلمهم وكافرهم • والكفار منهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية • وحينئذ اجتمع المشركون وتعاهدوا على ألا يجالسوا بني هاشم وبني المطلب ، ولا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يعاملوهم حتى يسلموا محمداً ﷺ للقتل ، وكتبوا في ذلك صحيفة ، وعلقوها في جوف الكعبة • وخرج من بني هاشم أبو لهب الى قريش فظاهرهم •

وأقام رسول الله ﷺ ومن معه في الشعب حتى اشتد عليهم البلاء والجهد ، وكان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع • وقطع المشركون عنهم الأسواق ، فلم يمكنوهم من شراء شيء ، ولم يصل إليهم شيء من الأقوات إلا خفية •

وبعد ثلاث سنين من الحصار[١] اجتمع خمسة من أشراف قريش ، واتفقوا على نقض الصحيفة • فلما أصبحوا أقبل زهير بن أبي أمية[٢] على الناس فقال : يا أهل مكة ! أنأكل الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم! والله لا أجلس حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة•

(١) بدأ الحصار في المحرم سنة سبع من البعثة ٦١٧ م ، وانتهى في السنة العاشرة من البعثة •

(٢) وهو من بني مخزوم ، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب •

قال أبو جهل : كذبت والله لا تشق .

قال زمعة بن الأسود بن المطلب : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حين كتبت . ووافقه على ذلك أبو البختري بن هشام والمطعم بن عدي وهشام ابن عمرو . وكان هشام أشدهم في ذلك صنيعاً ، وهو الذي مشى الى كل منهم ، وكلمه في نقض الصحيفة حتى أقنعه .

فقال أبو جهل : هذا أمر قضي بليل ، تُشُووِر فيه بغير هذا المكان .

وقام المطعم بن عدي الى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم »[1] .

وروى ابن اسحق ان الله — عز وجل — أرسل على الصحيفة الأرضة ، فلم تدع فيها اسماً لله عز وجل إلا أكلته ، وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان. فأخبر الله بذلك رسوله ، فأخبر أبا طالب ، فانطلق برهطه حتى دخلوا المسجد، والمشركون في ظل الكعبة . فقال : هلموا صحيفتكم التي فيها تظاهركم علينا. فجاؤوا بها ولا يشكون إلا أنهم سيدفعون رسول الله إليهم إذا نشروها .

فقال أبو طالب : إن ابن أخي قد خبرني أن الله عز وجل قد بعث على صحيفتكم الأرضة، فلم تدع لله فيها اسماً إلا أكلته ، وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان . فإن كان كاذباً فلكم علي أن أدفعه إليكم تقتلونه . وإن كان صادقاً فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا ؟ فأخذ عليهم المواثيق وأخذوا عليه . فلما نشروها فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ .

فقال المطعم بن عدي وهشام بن عمرو : نحن براء من هذه الصحيفة القاطعة العادية الظالمة ، ولن نمالىء أحداً في فساد أنفسنا وأشرافنا . وتتابع على ذلك ناس من أشراف قريش . فخرجوا من الشعب[2] .

---

(١) تهذيب السيرة ج١ ص ٨٧ — ٨٨ ، ٩٣ — ٩٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص ٤٣ — ٥٠ ، ٦٧ — ٦٩ ، فتح الباري ج٧ ص ١٩٢ .

(٢) السير والمغازي لابن اسحق ص ١٥٦ — ١٦٢ .

٢٦ ـ دعوة أهـل الطائف

تتابعت المصائب على رسول الله ﷺ بوفاة عمه أبي طالب الذي كان يحميه من الأذى ويدفع عنـه العدوان ، وبوفاة زوجـه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها التي كانت له وزير صدق على الاسلام ، يشكوا إليها ما يلقاه من المشركين ، فيجد عندها العزاء والحنان[١] •

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياته • فخرج الى الطائف[٢] يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ، ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله • وعمد الى ثلاثة هم سادة ثقيف وأشرافهم فدعاهم الى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه •

فقال له أحدهم : هو يمرط[٣] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك !

وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ؟

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً ؛ لئن كنت رسولا من الله كما تقول

---

(١) مات ابو طالب وخديجة في عام واحد ، قبل الهجرة الى المدينة بثلاث سنين •
قال البيهقي : بلغني أن خديجة توفيت بعد أبي طالب بثلاثة أيام • •
وتزوج رسول الله ﷺ بعد وفاة خديجة بأيام سودة بنت زمعة • وكانت قبله زوجة السكران بن عمرو ، وهو ممن أسلم وهاجر الى الحبشة ، ثم رجع الى مكة فمات بها •

(٢) سافر النبي ﷺ الى الطائف في شوال سنة عشر من البعثة بعد شهر من وفاة عمه ، وكان معه زيد بن حارثة •

(٣) ينزعها ويرمي بها •

لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك •

فقام رسول الله ﷺ ، وكره أن يعلم قومه بذلك فيشمتوا به • فقال لهم : اكتموا عني • فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس ، وضربوه بالحجارة حتى سال الدم من رجليه ، والجؤوه الى حائط[1] لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة ، فجلس في ظل حبَلَة[2] من عنب •

فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي من سفهاء أهل الطائف دعوا غلاماً لهما يقال له عَدّاس ، فقالا له : خذ قطفاً من هذا العنب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به الى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه •

فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال : باسم الله ، ثم أكل •

فنظر عداس في وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد •

فقال له رسول الله ﷺ : ومن أي البلاد أنت ، وما دينك ؟

قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوى[3] •

فقال رسول الله ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟

فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟

فقال رسول الله ﷺ : ذاك أخي ، كان نبياً ، وأنا نبي •

فأقبل عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه •

---

(١) بستان عليه جدار •

(٢) الحَبَلة : شجرة العنب •

(٣) قرية في العراق قريبة من الموصل •

فقال أحد ابني ربيعة لأخيه : أما غلامك فقد أفسده عليك ! ولما جاءهما عداس قالا له : مالك تقبل هذا الرجل ؟

قال : يا سيدي ! مافي الأرض خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي •

قالا له : ويحك يا عداس ! لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه •

فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ! أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، الى من تكلني : الى بعيد يتجهمني[1] أم الى عدو ملكته أمري ! إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي • ولكن عافيتك هي أوسع لي • أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك • لك العتبى[2] حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » •

وانطلق وهو مهموم ، فلم يستفق إلا بقرن الثعالب[3] • فرفع رأسه فإذا بسحابة قد أظلته ، فنظر فإذا فيها جبريل ــ عليه السلام ــ فناداه فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا به عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم •

---

(١) يلقاني بالغلظة والوجه الكريه •
(٢) الرجوع عن الاساءة الى ما يرضي العاتب •
(٣) هو ميقات أهل نجد ، ويقال له : قرن المنازل أيضاً • وهو على مرحلتين من من مكة نحو ٨٠ كم •

ثم ناداه ملك الجبال فسلم عليه ثم قال : يا محمد ! قد بعثني الله إليك لتأمرني ما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين(١) ؟

فقال النبي ﷺ : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً »(٢) .

وبات ﷺ بنخلة(٣) ، وقام في الليل يصلي ، فاستمع إليه نفر من الجن وهو يقرأ القرآن ، فآمنوا به ، ثم ولوا الى قومهم يدعونهم الى الايمان . وقص الله عليه خبرهم بقوله :

« وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أُنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم » .
(سورة الأحقاف ٢٩ ـ ٣١)

وهكذا قيض الله لنبيه من يؤمن به ويصدقه ، فآمن عداس ونفر من الجن اذ كذبه أهل الطائف .

وفي رده ﷺ على ملك الجبال ما يدل على حلمه ورحمته بأولئك القوم الذين كذبوه وآذوه .

ولما عاد ﷺ الى مكة دخلها في جوار المطعم بن عدي(٤) .

---

(١) هما جبلا مكة : ابو قبيس وقعيقعان، سميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما.

(٢) رواه البخاري رقم ٣٢٣١ ومسلم رقم ١٧٩٥ عن عائشة .

(٣) نخلة : موضع بين مكة والطائف ، على ليلة من مكة .

(٤) تهذيب السيرة ج١ ص ١٠٢ ـ ١٠٦ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص : ١٢٢ ـ ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٤٩ ـ ١٥٤ .

٢٧ ـ الاسراء والمعراج

كانت معجزة الاسراء والمعراج تكريماً لرسول الله ﷺ بعد أن لاقى الهوان من أهل مكة والطائف ، وبياناً لمنزلته عند الرسل ومكانته في الملأ الأعلى ، واشعاراً بظهور أمره وانتشار دينه ، مما يذهب عنه الحزن ، ويجعله يستهين بما يلاقيه من عقبات وصعاب .

وذهب جمهور العلماء من المحدثين والفقهاء والمتكلمين الى أن الاسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسم النبي ﷺ وروحه ، وهو الحق الذي تواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة . ولا ينبغي العدول عن ذلك ، اذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج الى تأويل . وذهب الأكثر الى أنه كان بعد المبعث.وحكى ابن حزم أنه كان في رجب[١] سنة اثنتي عشرة من النبوة .

والاسراء هو انتقاله ليلا من المسجد الحرام بمكة المكرمة الى بيت المقدس . أما المعراج فهو صعوده الى السماوات السبع والعالم العلوي .

ويدل على الاسراء قوله سبحانه وتعالى :

« سبحان[٢] الذي أسرى[٣] بعبده[٤] ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . (سورة الاسراء ١)

---

(١) وهذا ما حكاه ابن عبد البر ، وبه جزم النووي في الروضة . واختار الحافظ عبد الغني المقدسي أنه ليلة سبع وعشرين من رجب . وهناك أقوال أخرى .

(٢) « سبحان » : أصلها التنزيه ، وتطلق في موضع التعجب . ويحتمل أن تكون بمعنى الأمر ، أي سبحوا الذي أسرى بعبده .

(٣) « أسري » : مأخوذ من السرى ، وهو سير الليل .

(٤) أي بمحمد ﷺ ، والضمير لله تعالى . والاضافة للتشريف .

وكان ﷺ تلك الليلة مضطجعاً في الحِجر بجانب الكعبة ، فأتاه جبريل ــ عليه السلام ــ فشق صدره ، واستخرج قلبه ، وغسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم حشاه إيماناً وحكمة وأعاده[1] . وذلك ليتأهب لهــذه الرحلة العجيبة ، ولا ينبهر بما يراه من الآيات الكبرى .

وإليك هــذا الحديث في وصف الاســراء والمعراج ، اخترناه لصحته وشموله :

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال :

« أتيت بالبراق ــ وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفــه ــ فركبته ، فسار بــي حتــى أتيت بيت المقدس ، فربطته ، بالحلقة التي كان يربط فيها الأنبياء . ثم دخلت فصليت ركعتين . ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمــر وإناء من لبن فاخترت اللبن . فقــال جبريل : اخترت الفطرة .

ثم عَرَجَ بنا الى السماء ، فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بآدم ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا الى السماء الثانية فاستفتح ... فَفُتح لنا فإذا أنا بابني الخالــة : عيسى ابن مريم ويحي بــن زكريا صلوات الله عليهما ، فرحبا بي ودعوا لي بخير .

ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح ... ففُتح لنا فإذا أنا بيوسف

---

(١) روى حديث شق الصدر البخاري عن مالك بن صعصعة رقم ٣٨٨٧ ، ومسلم عن أنس رقم ٢٦٤ ــ (١٦٤) وأحمد عن أنس . وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة، ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي، بالإضافة الى شقه في زمن الطفولة.

عليه السلام وإذا هو قد أعطي شطر الحسن ، فرحب بي ودعا لي بخير ٠

ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح ... ففتح لنا فإذا أنا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير ٠ قال الله عز وجل :

« ورفعناه مكاناً علياً » ٠

(سورة مريم ٥٧)

ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح ... ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ٠

ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح ... ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ٠

ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح ... ففتح لنا ، فإذا أنا بابراهيم عليه السلام مسنداً ظهره الى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون إليه ٠

ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى ، فإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال[1] ٠ فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ٠

قال : فأوحى الله إلي ما أوحى ٠ وقد فرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة ٠ فنزلت الى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ٠

قال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا يطيقون ذلك ، فإني قد بلوت بني اسرائيل وخَبَرتُهم ٠

---

(١) جمع قلّة : جرة كبيرة ٠

قال : فرجعت الى ربي فقلت : يارب خفف عن أمتي • فحط عني خمساً • فرجعت الى موسى فقلت: حط عني خمساً • قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف •

قال : فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد ! إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة ، لكل صلاة عشر ، فذلك خمسون صلاة • ومن هَمَّ بحسنة فلم يفعلها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشراً • ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة •

فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك • فقال رسول الله ﷺ : قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه »[1] •

ثم رفع الى الجنة ، ورأى أنهارها وثمارها • وعرضت عليه النار • ثم هبط الى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء ، فصلى بهم فيه[2] •

ثم خرج من بيت المقدس ، فركب البراق ، وعاد الى مكة بغلس[3] •

فلما أصبح ﷺ غدا على قريش ، فقص عليهم خبر ما رأى • فتلقوه بين مصفق ومصفر تكذيباً له واستبعاداً لخبره • وقالوا : إن العير لتطرد شهراً من مكة الى الشام مدبرة وشهراً مقبلة ، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع الى مكة !

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٥٩ ـ (١٦٢) وأحمد •

(٢) تذكر بعض الروايات أنه ﷺ صلى إماماً بالأنبياء في بيت المقدس قبل عروجه الى السماء • ولكن يشكل عليها ما جاء فيها من أنه ﷺ كان يعرفه جبريل بكل نبي لقيه في السماء ، مما يدل على أنه لم يلتق به من قبل • أو لعله لم يتعرف عليهم حين جمعوا له في بيت المقدس • والله أعلم •

(٣) الغَلَس : ظلمة آخر الليل •

وذهب بعضهم الى أبي بكر فقالوا له : إن صاحبك يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ، ورجع الى مكة .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : إن كان قاله فلقد صدق . وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا ، لنصدقه على خبر السماء .

ثم سألوه عن صفات بيت المقدس فالتبس عليه بعض الشيء ؛ فجلاه الله له ، فنعته لهم . قال ﷺ : « لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه »(١) .

فقالوا : أما الصفة فقد أصاب .

وقال : إن من آية ما أقول لكم أني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا، وقد أضلوا بعيراً لهم ، فجمعه لهم فلان . ومررت بإبل بني فلان فنفرت ، وفيها بعير عليه غرارتان : غرارة سوداء وغرارة بيضاء ، فصرع فانكسر . ويأتونكم يوم كذا وكذا ، يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسـود وغرارتان سوداوان . فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريباً من نصف النهار حتى اقبلت العير ، يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله(٢) . وبذلك حصل التحقيق بصدقه ﷺ .

ولعل حكمة الاسراء الى بيت المقدس قبل العروج الى السماء هي أنهم كانوا يمرون ببيت المقدس في تجارتهم الى الشام ويعرفونه ؛ فإذا وصفه لهم الرسول ﷺ وهم يعلمون أنه لم يره من قبل فإنهم يتثبتون من صحة خبره . بالاضافة الى ما لهذا البيت من القداسة والبركة ، ولأنه كان مطهراً من الأصنام ، وكـان مثوى الأنبياء من لدن ابراهيم عليه السلام . وهـذا

(١) رواه البخاري رقم ٣٨٨٦ ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي .
(٢) رواه البيهقي وابن أبي حاتم .

ما يحمل المسلمين مسؤولية الدفاع عنه واسترداده من أيدي المحتلين ، ووجوب المحافظة عليه كالبيت الحرام . كيف لا وقد اقترن به في الاسراء وشد الرحال لابتغاء الأجر .

قال رسول الله ﷺ « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد :

المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ، ومسجد الأقصى [(1)] » .

وأما التقاؤه ﷺ بالأنبياء ، فيمكن أن يكون بأرواحهم وقد تشكلت بصور أجسادهم ، أو أن أجسادهم احضرت لملاقاته تلك الليلة تشريفاً له وتكريماً . وفي صلاتهم خلفه وترحيبهم به ومعرفتهم له ما يدل على مكانته بينهم . فهو الامام الأعظم والرئيس المقدم[(2)] .

وكل من عاصره أو عاش بعده من اتباع الرسل يجب ان يؤمن به ؛ وقد أخذ العهد على الأنبياء بذلك :

« واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين . فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون » .

(سورة آل عمران ٨١ ـ ٨٢)

وفي فرض الصلوات الخمس فوق سبع سموات ما يدل على أهميتها من بين سائر العبادات ، فالصلاة معراج المؤمن ، يرقى بروحه ، ويناجي ربه ، وتكون له زاداً وذخراً ، وتلهمه الصبر والثبات كما كانت تلك الرحلة لسيدنا محمد ﷺ .

---

(١) رواه البخاري رقم ١١٨٩ ومسلم رقم ٥١١ ـ (١٣٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) تهذيب السيرة ج١ ص ٩٦ ـ ١٠١ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص ٩٣ ـ ١١٢ ، تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢ ـ ٢٤ ، فتح الباري ج٧ ص ١٩٦ ـ ٢١٨ .

هذا ، ويدل على المعراج قوله تعالى :

« ولقد رآه نزلة أخرى • عند سدرة المنتهى • عندها جنة المأوى • اذ يغشى السدرة ما يغشى[1] • ما زاغ البصر وما طغى • لقد رأى من آيات ربه الكبرى » •

(سورة النجم ١٣ ــ ١٨)

لأن هذه الآيات أثبتت أن محمداً ﷺ رأى جبريل عليه السلام على صورته وله ستمائة جناح عند سدرة المنتهى ، التي ينتهي إليها ما يصعد من الأرض • وعندها رأى الآيات الكبرى التي استقدم لأجلها •

أما المرة الأولى التي رأى فيها جبريل على هذه الصفة فكانت بالأبطح في أوائل البعثة بعدما جاءه في الغار • فقد تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها ، له ستمائة جناح قد سد الأفق • ويدل عليها قوله تعالى :

« علمه شديد القوى[2] • ذو مرة[3] فاستوى • وهو بالأفق الأعلى • ثم دنا فتدلى • فكان قاب قوسين أو أدنى[4] فأوحى الى عبده ما أوحى[5] • ما كذب الفؤاد ما رأى • أفتمارونه على ما يرى » •

(سورة النجم ٥ ــ ١٢)

---

(١) غشيتها الملائكة ، وغشيها نور الرب ، وغشيتها ألوان ما أدري ما هي !

(٢) هو جبريل عليه السلام •

(٣) ذو قوة •

(٤) أي فاقترب جبريل من محمد لما هبط عليه الى الأرض حتى كان بينهما بقدر قوسين •

(٥) أي فأوحى جبريل الى عبد الله محمد ما أوحى ، أو فأوحى الله الى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل •

٢٨ - بيعتا العقبة

كان رسول الله ﷺ يبحث عن مركز للدعوة منذ أن لقي التكذيب من أهل مكة . ولهذا بعث الذين هاجروا الى الحبشة ، وذهب الى الطائف . وكان يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب التي تؤم مكة وأسواقها للحج والتجارة ؛ فيدعوهم الى الله ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم عن الله ما بعثه به .

فأتى كِندة فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه، فأبوا عليه .

وأتى بني عامر بن صعصعة ، فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه .

فقال له رجل منهم : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟

قال : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » . فأبوا عليه .

وأتى بني حنيفة فدعاهم الى الله . فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه رداً منهم .

ثم أتى في السنة الحادية عشرة من البعثة ستة من الخزرج ، فعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن ، ودعاهم الى الله . فقال بعضهم لبعض :

تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه[1] .

---

(١) كانت قبائل من اليهود تسكن المدينة ، ثم غزاهم العرب من الأوس والخزرج ، فكان اليهود يقولون لهم حين يُغلبون : أن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه ، فنتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فكانوا سبباً في اسلام الأنصار .

فصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام • وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين • فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك• ثم وعدوه المقابلة في الموسم المقبل •

وقدموا المدينة فدعوا قومهم الى الاسلام ، وذكروا لهم رسول الله ﷺ• فلما جاء الموسم التقى الرسول ﷺ باثني عشر رجلا[1] عند العقبة ، وقال لهم : تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف • فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه ، فأمره الى الله ، إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه •

فبايعوه على ذلك[2] وهذه هي بيعة العقبة الأولى•

وبعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين• فنزل على أسعد بن زرارة[3] ، وصار يدعو للاسلام ، حتى انتشر في دور المدينة •

ثم خرج مصعب ، وخرج بعض الأنصار المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق[4] • وناموا تلك الليلة مع قومهم في رحالهم ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجوا لميعاد رسول الله ﷺ واجتمعوا في الشعب بأسفل العقبة • وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين[5] •

---

(١) هم خمسة من الستة الأولين ، وخمسة آخرون من الخزرج ، واثنان من الأوس•

(٢) رواه البخاري رقم ٣٨٩٢ ومسلم رقم ١٧٠٩ عن عبادة بن الصامت •

(٣) وهو من التقى برسول الله ﷺ أولا ، وبايعه البيعة الأولى والثانية • ومات في السنة الأولى من الهجرة ، ودفن في البقيع •

(٤) أيام التشريق ثلاثة بعد يوم النحر ، كانوا يشرقون فيها لحم الأضاحي للشمس•

(٥) منهم أحد عشر رجلا من الأوس ، والباقي من الخزرج •

وجاء الرسول ﷺ ومعه عمه العباس ـ وهو يومئذ على دين قومه ـ فلما جلس قال :

يا معشر الخزرج ! إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزة من قومه ومنعة في بلده . وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم . فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه .

فقالوا : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ! فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فدعاهم الى الله ورغبهم في الاسلام وتلا القرآن . ودعاهم الى البيعة .

فقالوا : يا رسول الله ! علامَ نبايعك ؟

قال : « تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأن تقولوا في الله لا يأخذكم في الله لومة لائم . وعلى أن تنصروني إن قدمت عليكم يثرب ، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم . ولكم الجنة »[1] .

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا[2]. فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله ابناء الحروب وأهل الحلقة[3] ، ورثناها كابراً عن كابر .

فقال أبو الهيثم بن التيهان[4] : يا رسول الله ! إن بيننا وبين الرجال

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ج٩ ص٩ .
(٢) العرب تكني بالأزر عن المرأة وعن النفس .
(٣) السلاح .
(٤) اسمه مالك بن مالك بن عتيك ، وهو من الأوس . شهد البيعة الأولى والثانية والمشاهد كلها . مات سنة عشرين .

حبالا[1] وإنا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا .

فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم[2] ، أنا منكم وأنتم مني ،أحارب من حاربتم وأسالم من سالتم .

فبايعوه جميعاً على أن يؤوه وينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ، وبايعوه على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى قول الحق . وهذه هي بيعة العقبة الثانية .

وقال رسول الله ﷺ : أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

فقال لهم : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومي ،يعني المهاجرين .

ثم رجعوا الى مضاجعهم ، فناموا حتى أصبحوا . ولما عادوا الى المدينة أظهروا الاسلام فيها ، ودخل فيه معظم أهلها[3] .

وبذلك أصبحت المدينة مهيأة ليهاجر الرسول ﷺ إليها .

قال رسول الله ﷺ : « رأيت في المنام أني أهاجر من مكة الى أرض بها نخل ، فذهب وَهَلي[4] الى أنها اليمامة أو هَجَر . فإذا هي المدينة يثرب»[5].

وقال: « قد رأيت دار هجرتكم، أريت سبِخة ذات نخل بين لابتين »[6].

---

(١) يعني العهود التي كانت بينهم وبين اليهود .

(٢) أي إن طالبتم بدم طالبت به ، وإن أهدرتموه أهدرته .

(٣) تهذيب السيرة ج١ ص ١٠٦ ـ ١١٦ ، الطبقات لابن سعد ج١ ص ١٤٥ـ١٥٠، السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص ١٥٥ ـ ٢١٢ ، نور اليقين ص ٨٣ ـ ٨٩ .

(٤) أي ظني .

(٥) رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري رقم ٣٦٢٢ .

(٦) اللابتان هما الحرّتان المحيطتان بالمدينة من الشرق والغرب . والحديث رواه البيهقي في السنن ج٩ ص٩ .

٢٩ ـ الهجرة إلى المدينة

أمر الرسول ﷺ من معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة بعد بيعة العقبة . وقال : « إن لله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها » . فخرجوا إليها أرسالا . واستأذن أبو بكر رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً » .فطمع أن يكونه ؛ فابتاع راحلتين ، وأعدهما للهجرة . وكذلك بقي علي بن أبي طالب . ولم يتخلف معهم بمكة إلا من حُبس أو فتن . وبقي رسول الله ﷺ ينتظر أن يؤذن له في الهجرة .

- المكر برسول الله ﷺ :

لما علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه إليهم ، اجتمعوا في دار الندوة ليتشاوروا في أمره .

فقال أحدهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله من هذا الموت .

فقال شيخ فيهم[١] ما هذا لكم برأي ! والله لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم . فأنظروا في غيره .

(١) قيل إنه ابليس لعنه الله ، وقف على باب الدار في صورة شيخ جليل فقالوا له : من الشيخ ؟ فقال شيخ من أهل نجد ، سمع بالذي اتعدتم لـه فحضر ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً . قالوا : أجل فادخل .

ثم قال آخر : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلدنا • فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه ؛ فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت •

فقال الشيخ : لا والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ! والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل لكم ما أراد • أديروا فيه رأياً غير هذا •

فقال أبو جهل : والله إن لي رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد •

قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟

قال : أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً(١) فينا • ثم يعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه فنستريح منه • فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل(٢) ؛ فعقلناه لهم •

فقال الشيخ : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي ولا رأي غيره • واتفقوا عليه •

ثم أتى جبريل النبي ﷺ وقال له : لا تبت على فراشك الذي كنت تنام عليه • وأخبره بمكرهم • وأنزل الله في ذلك قوله :

---

(١) الجليد : القوي • والوسيط : الشريف •

(٢) أي بالدية •

« وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » . (سورة الأنفال ٣٠)

وأذن الله لنبيه عندئذ في الهجرة .

وكان رسول الله ﷺ يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية ؛ حتى إذا كان اليوم الذي اذن له فيه في الهجرة أتى بالهاجرة . فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث . فلما دخل تأخر له عن سريره فجلس . وليس عند أبي بكر إلا ابنتاه عائشة وأسماء .

فقال رسول الله ﷺ : أخرج عني من عندك .

فقال أبو بكر : يا رسول الله! إنما هما ابنتاي! وما ذاك فداك أبي وأمي؟

فقال : إن الله قد أذن لي في الهجرة .

فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ؟

قال : الصحبة .

ثم قال : يا نبي الله ! إن هاتين راحلتان اعددتهما لهذا .

واستأجرا عبد الله بن أريقط ــ وكان مشركاً ــ يدلهما على الطريق ، ودفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

خروج النبي ﷺ من بيته :

فلما كانت عتمة من الليل اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه . فلما رآهم رسول الله ﷺ قال لعلي : نم على فراشي ، وتسج[1] ببردي هذا الحضرمي[2] الأخضر ، فنم فيه ،

---

(١) تسجى بالثوب : غطى به جسده ووجهه .

(٢) منسوب الى حضرموت .

فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم . وأمره أن يرد الودائع التي كانت عنده للناس،ثم يلحق به.وكان أهل مكة يضعون عند رسول الله ﷺ مايخشون عليه من أموالهم وحليهم ، لما يعلمون من صدقه وأمانته .

وخرج رسول الله ﷺ ، وأخذ الله أبصار المشركين عنه ، فأخذ حفنة من تراب فجعل ينثرها على رؤوسهم وهو يتلو :

« يس . والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم فهم غافلون . لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون[1] . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .

(سورة يس ١ ـ ٩)

ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب .

فأتاهم رجل فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا .

فقال خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب . ثم جعلوا يتطلعون فيرون شخصاً متسجياً ببُرد أخضر فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا . فقام علي ـ رضي الله عنه ـ عن الفراش . فقالوا : والله لقد صدقنا الذي حدثنا .

الاختباء في الغار :

أما رسول الله ﷺ فقد أتى أبا بكر ، فخرجا من باب صغير في ظهر بيته، ثم عمدا الى غار بجبل ثور[2] . وجعل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يمشي

(١) المقمَح : الرافع رأسه .
(٢) يبعد نحو ألفي متر الى الشرق من مكة .

ساعة بين يدي رسول الله ﷺ وساعة خلفه . فسأله النبي ﷺ عن ذلك ؟ فقال : يا رسول الله ! أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك . فلما انتهيا الى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى استبرىء لك الغار . فدخل فاستبرأه ثم قال : انزل يا رسول الله ! فنزل .

وأما المشركون فقالوا لعلي : أين صاحبك ؟ فقال : لا أدري .

ثم أتى نفر منهم دار أبي بكر فخرجت إليهم ابنته أسماء فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت لا أدري والله أين أبي . فلطم أبو جهل خدها لطمة طرح منها قرْطها . ثم انصرفوا . واقتفوا الأثر ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل ، فمروا بالغار ، فرأوا على بابه العنكبوت فقالوا : لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه .

وحينئذ اشتد خوف أبي بكر على رسول الله ﷺ ، فقال له : لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا . فقال ﷺ : « يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما[1] » .

ونزل في ذلك قوله تعالى :

« إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .
(سورة التوبة ٤٠)

فمكثا في الغار ثلاث ليال . وكان عبد الله بن أبي بكر يتسمع في النهار ما يقوله فيهما المشركون ، ثم يأتيهما إذا أمسى ، فيخبرهما الخبر . ثم يدلج[2]

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٣٨١ .
(٢) الدلج : السير ليلا .

من عندهما بسَحَر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت • وكان عامر بن فُهيرة مولى أبو بكر يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا • فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما الى مكة اتبع عامر أثـره بالغنم حتى يعفي عليه •

حتـى إذا مضت الثـلاث ، وسكن عنهما الناس أتاهما الدليل الـذي استأجراه ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبيَ بكر بسُفرة في جِراب ، ونسيت أن تجعل لهـا عِصاماً ، فشقت نطاقها باثنين ، ثم علقتها بواحـد ، وانتطقت بالآخر[1] ؛ فلقبت : ذات النطاقين • فركبا وأردف أبو بكر عامر ابن فهيرة خلفه ليخدمهما في الطريق • وسلك بهما دليلهما طريق الساحل •

النجـاة :

وجعل كفار قريش في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد[2] منهما لمن قتله أو أسره • وعلم سُراقة بن مالك بن جعشم بذلك • وها هـو يذكر محاولته اللحاق بهما للفوز بالجائزة :

« فبينما أنا جالس في نادي قومي بني مُدلج[3] إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا فقال : إني قد رأيت آنفا أسودة[4] بالساحل أراها محمداً وأصحابه •

قال سراقـة : فعرفت أنهم هم • فقلت له : إنهم ليسوا بهـم ، ولكنك

---

(١) وقيل : فقطعت قطعة من نطاقها فاوكت به الجراب ، وقطعت أخرى فصيرته عِصاماً لفم القِربة • (الطبقات لابن سعد ج١ ص ١٥٥)

(٢) أي مائة من الآبل •

(٣) أي بقديد ، وهو محل قريب من رابغ •

(٤) أي أشخاصاً •

رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا • ثم لبثت في المجلس ساعة ، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي ــ وهي من وراء أكمة ــ فتحبسها علي • وأخذت رمحي فخططت بزُجه[1] الأرض ، وخفضت عاليه[2] ، حتى أتيت فرسي فركبتها ، فرفعتها[3] تقرب بي[4] ، حتى دنوت منهم • فعثرت بي فرسي ، فخررت عنها • فقمت فأهويت يدي الى كنانتي ، فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمت بها : أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره • فركبت فرسي ــ وعصيت الأزلام ــ تقرب بي ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت،فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عُثان ساطع في السماء مثل الدخان • فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره • فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم • وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآني[5] ولم

---

(١) الزج : الحديدة التي في أسفل الرمح •

(٢) فعل ذلك لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه ؛ لأنه كره أن يتبعه منهم أحد •

(٣) أي أسرعت بها السير •

(٤) التقريب : السير دون العَدْو وفوق العادة •

(٥) أي لم ينقصاني مما معي شيئاً •

يسألاني إلا أن قال : أخفِ عنا . فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر ابن فهيرة فكتب في رقعة من أدم . ثم مضى رسول الله ﷺ[1] » .

ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحداً إلا رده بقوله : « قد كفيتكم ما ها هنا[2] » .

بركة النبوة :

وفي الطريق نزلوا بخيمة أم معبد[3] ، فسألوها تمراً أو لحماً أو لبناً يشترونه ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك . وقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القِرى . فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في جانب خيمتها . فقال : ما هذه الشاة ؟ فقالت : شاة خلّفها الجُهد عن الغنم . قال : فهل بها لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك . قال : تأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : إن كان بها حَلب فاحلبها .

---

(١) رواه البخاري رقم ٣٩٠٦ .
وفي رواية أخرى : « فرجعت فسئلت فلم أذكر شيئاً مما كان . حتى إذا فرغ من حنين بعد فتح مكة خرجت لألقاه ومعي الكتاب فلقيته بالجعرانة ، حتى دنوت منه ، فرفعت يدي بالكتاب فقلت : يا رسول الله ! هذا كتابك . فقال : يوم وفاء وبر ، أدن ؛ فأسلمت .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٠٠٩ .

(٣) اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد . وكان منزلها بقديد ، ولعلها كانت بطرفه الذي يلي المدينة .

فدعا بالشاة فاعتقلها ، ومسح ضرعها وذكر اسم الله ، فتفاجت[1] ودرّت واجترّت. ودعا بإناء فحلب فيه ثجاً[2] حتى علتــه الرغوة ، فسقاها وسقى أصحابه ، فشربوا حتى رووا . ثم شرب آخرهم وقال : « ساقي القوم آخرهم شرباً »[3] . ثم حلب ثانياً حتى ملأ الإناء ، وغادره عندها . ثم ارتحلوا[4] .

ولقي رسول الله ﷺ الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض[5] .

القدوم والنزول بقباء :

وسمع المسلمون في المدينة بخروج رسول الله ﷺ من مكــة ، فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة ، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة . فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أُطُم[6] من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله وأصحابه مبيضين[7] يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب ! هــذا

---

(1) تفاجت ، وتفاحجت : فرجت ما بين رجليها .

(2) بقوة لكثرة اللبن .

(3) أخرجه أحمد ومسلم عن أبي قتادة .

(4) رواه البيهقي .

(5) رواه البخاري ، رقم ٣٩٠٦ .

(6) حصن .

(7) أي عليهم الثياب البيض .

جَدكم[1] الذي تنتظرون . فثار المسلمون الى السلاح ، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة . فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف[2] وذلك يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول[3] .

فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً[4] ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول الله ﷺ يحي أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل عليه أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ؛ فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك[5] .

ونزل رسول الله ﷺ بقباء على كلثوم بن الهدم ، وكان يجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة لأنه كان عزباً . وأقام أربعة أيام[6] أسس فيها مسجد قباء ، وصلى فيه بمن معه من الأنصار والمهاجرين وهم آمنون مطمئنون . وهو مسجد شريف فاضل، وهو أول مسجد جعل لعموم الناس في هذه الملة . ونزل فيه قوله تعالى :

---

(1) أي حظكم .

(2) أي في قباء .

(3) خرج ﷺ من مكة يوم الاثنين لثلاث ليال بقين من صفر ، قضاها في الغار . وخرج من الغار يوم الخميس أول يوم من ربيع الأول . ووصل قباء 12 ربيع الأول .
وهذا حاصل ما روي عن ابن عباس وابن اسحق وابن هشام وابن حزم .
وقال ابن سعد : كان خروج رسول الله ﷺ من الغار ليلة الاثنين لأربع ليال خلون من ربيع الأول . (الطبقات ج1 ص 157)
وحقق محمود باشا الفلكي أن وصوله المدينة كان في 8 ربيع الأول الموافق 20/9/622م .

(4) في ظل نخلة .

(5) رواه البخاري رقم 3906 .

(6) وقيل : بضعة عشر يوماً .

« لمسجد أُسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » •

(سورة التوبة ١٠٨)

وقد كان النبي ﷺ يزوره فيما بعد ويصلي فيه • وكان يأتي قباء كل سبت ، تارة راكباً وتارة ماشياً • وفي الحديث : « الصلاة في مسجد قباء كعمرة »[(١)] •

وأقام علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — بمكة ثلاث ليال حتى أدى عن رسول الله ﷺ الأمانات التي كانت عنده • ثم لحق به فنزل معه على كلثوم ابن الهدم •

ثم خرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة فأدركته الصلاة في بني سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذي في بطن وادي رانوناء • فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة أو مطلقاً لأنه — والله أعلم — لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة واعلان بموعظة •

المسجد والمنزل :

ثم انطلق رسول الله ﷺ ، وكان كلما مر بدار من دور الأنصار خرج إليه أهلها ، واعترضوا ناقته ، ودعوه للنزول ، وقالوا : أقم عندنا في العَدَد والعُدّة والمنعة • فيقول : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » • حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت في موضع مسجده • وكان يومئذ مِرْبداً[(٢)] للتمر • فنزل عنها وقال : هذا إن شاء الله المنزل •

فاحتمل أبو أيوب ، خالد بن زيد رحله ، فوضعه في بيته • ونزل عليه رسول ﷺ • وسأل عن المِرْبد لمن هو ؟ فقيل له : هو يا رسول الله لسهل

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن أسيد بن ظهير • وهو صحيح •

(٢) المربد : موضع يجفف فيه التمر •

وسهيل ابنـي عمرو ، غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زُرارة[1] . فدعـا الغلامين ، فساومهما بالمربد . فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما . ثم أمر ببناء المسجد ، وأعانه عليه أصحابه . وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم التراب واللبن حتى اغبر صدره . وقد بني باللبن على شكل مربـع طول ضلعه مائة ذراع . وعمـده جذوع النخل ، وسقفه جريد النخل ، واذا رفع الرجل يديه بلغ السقف . وهو أفضل مسجد في الأرض بعد المسجد الحرام . قال رسول الله ﷺ :

« صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيمـا سواه إلا المسجـد الحرام »[2] .

وكذلك كانت مساكنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ مبنية من جريد عليه طين ، بعضها من حجارة مرضومة ، وسقوفها كلها من جريد ، ينالها الرجـل بيده . وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت أزواج النبي ﷺ الى المسجد .

وأقام رسول الله ﷺ بدار أبي أيوب حتى تم بناء مسجده وحجراته[3]: وبعث وهو نازل في داره مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع ليجيئا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ[4] وزوجته سودة بنت زَمعة . وجاءت معهم أم

---

(١) وقيل : كان في حجر معاذ بن عفراء .

(٢) رواه البخاري رقم ١١٩٠ عن أبي هريرة ، ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عنه وعن ابن عمر .

(٣) اختلف في مدة مقامه بدار أبي أيوب . فقال الواقدي : سبعة أشهر وقال غيره : أقل من شهر .

(٤) أما ابنته رقية فقد هاجرت مع زوجها عثمان ، وأما ابنته زينب فبقيت عنـد زوجها أبي العاص بن الربيع بمكة الى أن قدمت الى المدينة بعد بدر . ثـم أسلم زوجها ولحق بها .

أيمن امرأة زيد ، وابنها أسامة بن زيد . وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وعائشة أم المؤمنين[1] . وقدمت معهم اسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير بن العوام وهي حامل بعبد الله بن الزبير[2] .

وقد شرفت المدينة بهجرته ﷺ إليها ، وصارت كهفاً لأولياء الله وعباده الصالحين ، ومعقلا وحصناً منيعاً للمسلمين ، ودار هدًى للعالمين .

---

(١) دخل رسول الله ﷺ بعائشة في شوال بعد قدومه المدينة بسبعة أشهر ، وهي ابنة تسع سنين ، وكان قد عقد عليها بعد موت خديجة وهي ابنة ست سنين أو سبع . ولم يتزوج بكراً غيرها .

(٢) تهذيب السيرة ج١ ص ١١٨ ـ ١٣٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص ٢١٣ـ ٣١٤ ، فتح الباري ج٧ ص ٢٣٠ ـ ٢٤٦ ، نور اليقين ص ٨٩ ـ ١٠٦ .

٣٠ ـ دروس مـن الهجرة

١ ـ كانت الهجرة الى المدينة منعطفاً هاماً في تاريخ الدعوة الى الاسلام ونقطة تحول بارزة ، انتقلت فيها من الضعف الى القوة ومن مرحلة التأسيس الى البناء ومن الحصار والتضييق الى الانفساح والانتشار في الأرض ؛ فمـا مرت بضع سنين بعدها حتى عـاد الرسول ﷺ ظـافراً فاتحاً الى البلدة التي خرج منها مستخفياً ، ومن ثم انتشر الاسلام في أنحاء الجزيرة العربية •

٢ ـ ولعل الحكمة في مناصبة أهـل مكة العداء لهـذه الدعوة نحو عشرين سنة تكمن في قطع الطريق على كل من يظن أنها دعوة اقليمية عنصرية ، يراد بها تحقيق مكاسب مادية للبلدة التي انتشرت منها ؛ أما وقد وقف أهل مكة ضد هذا الدين ، ودخل فيه غيرهم ونصروه؛ ففي هذا دليل على أنه لكل البلاد ، وليس خاصاً بمقره الأول • ولعل هذا هو السر في عدم إيمان كثير من عشيرة النبي ﷺ كأبي لهب الذي كان لا يألو جهداً في ايذائه ، وأبي طالب الذي آثر أن يموت على ملة عبد المطلب ، والعباس الذي لم يشهر اسلامه حتى عام الفتح • فلو دخل بنو هاشم في هذا الدين من أول الأمر لظن الآخرون أنه خاص بقبيلة النبي ﷺ أو أنه يميزهم على غيرهم • أما وقد امتنع عدد من أعمام النبي ﷺ عن الاسلام ، وأسلم رجال من عشائر كانت تنافس بني هاشم المجد والشرف،ففي هذا دليل على أنه لكل الناس وليس خاصاً بقوم أو جنس•

٣ ـ ويتجلى في هجرة النبي ﷺ ما يدل علـى اخلاصه وصدقه في دعوته ؛ اذ غادر البلدة التي نشأ فيها ، وقضى في ربوعها ثلاثاً وخمسين سنة ، وكانت مهوى فؤاده ، الى حيث يبلغ الرسالة وينشر الدعوة • قال ﷺ حين خروجه من مكة :

« والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلي • ولولا أني أخرجت منك ما خرجت »[1] •

٤ ــ كما يتجلى فيها معنى التوكل والاستعانة بالله،إذ أعد الرسول ﷺ للأمر عدته،واتخذ كل الوسائل المناسبة،فاختار الصاحب الوفي، وذهب إليه في الهاجرة على حين غفلة من الناس،ورتب معه كل مايحتاجان إليه:أين يأويان ؟وكم يمكثان،ومن يأتيهما بالأخبار،ومن يأتيهما بالطعام،ومن يدلهما الى الطريق الآمن ؟ ثم أوهم المشركين بأنه نائم في فراشه ، وغادر بيته تحت جنح الظلام ، وخرج مع صاحبه من الباب الخلفي ، واتجها الى غار بعيد عن طريق المدينة ، ومكثا فيه حتى يئس المشركون من العثور عليهما • ومع هذا كان متوكلا على الله طالباً لعونه واثقاً من نصره ، فغادر بيته وهو يتلو ما أخذ بأبصار الذين اجتمعوا لقتله ، وكفكف الدمع من عيني صاحبه الذي بكى خوفاً عليه حين اقترب المشركون من الغار • ثم خرج وهو يدعو بقول الله عز وجل :

« وقل رب أدخلني مُدْخَل صدق وأخرجني مُخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً » •

(سورة الاسراء ٨٠)

وحين كاد سراقة يلحق به لم يشعر بأي خوف ، كما لم يشعر به لما أوشك المشركون أن يقبضوا عليه • وحين نادى سراقة بالأمان وعرض عليه ما يملك لم ينسَ أن يطلب منه أن يخفي خبر هجرته• وهكذا يكون التوكل في الالتجاء الى الله مع تعاطي الأسباب •

٥ ــ وفيها ما يدل على عصمة الله لنبيه من أن يتمكن منه المشركون : وإلا فمن نجاه حين أحاطوا ببيته ، ومن صرفهم عن النظر في الغار بعد أن مروا على بابه ، ومن جعل سراقة يدفع عنه بعد أن جاء لقتله ! •

(١) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه • وقال الترمذي : حسن صحيح •

٦ ـ وفيها أروع مثل في الأمانــة والوفاء ؛ إذ كان المشركون وهــم يريدون قتل النبي ﷺ لا يشكون في أمانته • ولم ينس ﷺ حين أزمع على الهجرة أن يكلف علياً بأداء الأمانات الى أهلها الذين أهدروا دمه !

٧ ـ وفي نزوله ﷺ بخيمة أم معبد ما يدل على بركة النبوة ؛ مما جعلها تقول لزوجها لما جاء وعجب من وجود اللبن عندها : مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت •

٨ ـ وفي الهجرة أيضاً ما يدل على فضل أبي بكر رضي الله عنه ؛ إذ أعد راحلتين منذ أن أستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له : « لا تعجل لعــل الله يجعل لك صاحباً » • وبكى من الفرح حين أعلمــه ﷺ بالصحبة ، واستأجر الدليل الماهر ، وكلف ابنه وابنته ومولاه بالمهام الصعبة التي أدت الى نجاح الهجرة • وقد حار كيف يحفظ النبي ﷺ وهو يسير من أمامه ومن خلفه ، ودخل الغار أولا خشية أن يكون فيه سبع أو حية ، يقي رسول الله ﷺ بنفسه • فعل كل هذا وهو يعلم ماذا يكون مصيره لو أدركه المشركون !

٩ ـ وفيها ما يدل على فضل علي رضي الله عنه ، إذ رضي بأن ينام في فراش النبي ﷺ وهو يعلم ان المشركين قد جاؤوا بالسيوف ليمزقوا بها جسمه •

١٠ ـ وفيها ما يدل على فضــل المهاجرين جميعاً الذين أخرجوا مــن ديارهم وأموالهم وأهلهم في سبيل الله ونصرة دينه •

وكان أولهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ، وكانت هجرته قبل بيعة العقبة بسنة ، حين آذته قريش مرجعه من الحبشة ، فعزم على الرجوع إليها ، ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخواناً فعزم إليها •

قالت أم سلمة : « لما أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة رحّل لي بعيره ثم حملني عليه ، وحمل معي ابني سلمة في حجري ، ثــم خرج يقود بي •

فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ؟

قالت : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه . وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة وقالوا : والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم . وانطلق زوجي أبو سلمة الى المدينة . ففرّق بيني وبين ابني وبين زوجي .

فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح ، فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريباً منها ؛ حتى مر بي رجل من بني عمي ، فرأى ما بي فرحمني ، فقال لبني المغيرة : ألا تحرّجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها !

فقالوا لي : الحقي بزوجك إن شئت . فرد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني ؛ فارتحلت بعيري ، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة(١) .

وحين أراد صهيب الهجرة لحقه كفار قريش وقالوا: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ! والله لا يكون ذلك !

فقال لهم : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم .

قال صهيب : فتبعتهم الى مكة فقلت : احفروا تحت اسكفة الباب فإن بها أواقي من ذهب ، واذهبوا الى فلانة فخذوا الحلّتين . وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول منها . فلما رآني قال : « يا أبا يحيى! ربح البيع » .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام عن ابن اسحق ق٢ ص ٤٦٨ ـ ٤٧٠ .

فقلت : يا رسول الله ! ما سبقني إليك أحد ، وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام[1] .

١١ ــ وفيها أيضاً مايدل على فضل الأنصار الذين فتحوا بيوتهم وقلوبهم للمهاجرين وآووا رسول الله ﷺ ونصروه. وما إن قدم النبي ﷺ المدينة حتى خرج الناس في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم لاستقباله . عن البراء ــ رضي الله عنه ــ قال :

« جاء رسول الله ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء قط فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يسعون في الطرائق يقولون : جاء رسول الله ﷺ جاء رسول الله ﷺ[2] » .

وكان كل منهم يحرص على أن ينزل الرسول ﷺ وأصحابه المهاجرون في بيته . وكم كانت فرحة بني النجار حين نزل ﷺ في دارهم؛مما جعل جواريهم يضربن بالدفوف ويقلن :

نحن جوارٍ مـن بني النجـار يا حبـذا محمـد من جـار[3]

قال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه :

(لما نزل عليّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل السفل ، وأنا وأم أيوب في العلو . فقلت له : يا نبي الله ! بأبي وأمي ، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك، وتكون تحتي ؛ فأظهر أنت فكن في العلو ، وننزل نحن فنكون في السفل .

فقال : يا أبا أيوب ! إنّ أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير جـ٢ ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤ عن ابن هشام والبيهقي .
(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص ١٠ .
(٣) أخرجه الحاكم .

فكان رسول الله ﷺ في سفله، وكنا فوقه في المسكن. فلقد انكسر جُبٌّ[1] لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة[2] لنا، مالنا لحاف غيرها تنشف بها الماء، تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء يؤذيه[3].

قال: وكنا نضع له العشاء، ثم نبعث به إليه، فإذا رد علينا فضلنا تيممت أنا وأم أيوب موضع يده، فأكلنا منه، نبتغي بذلك البركة، حتى إذا بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا فيه ثوماً، فرده رسول الله ﷺ ولم أرَ ليده فيه أثراً، فجئته فزعاً، فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، رددت عشاءك ولم أرَ فيه موضع يدك؟

فقال: إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه.

قال: فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد[4].

وكان سائر الأنصار يتسابقون الى تقديم الهدايا لرسول الله ﷺ.

عن زيد بن ثابت أنه قال: أول هدية أهديت الى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب، أنا جئت بها، قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن، فقلت: أرسلت بهذه القصعة أمي، فقال: « بارك الله فيك »، ودعا أصحابه فأكلوا. ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعِراق لحم، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاثة والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ذلك[5].

---

(1) جـرة.

(2) كساء له خمل، أي أهداب.

(3) وفي رواية أخرى للبيهقي: « أن رسول الله ﷺ نزل في السفل، فانتبه أبو أيوب فقال: نمشي فوق رسول الله! فتنحوا فباتوا في جانب. ثم قال للنبي ﷺ: لا أعلو سقيفة أنت تحتها؛ فتحول رسول الله ﷺ في العلو ». ولعله فعل ذلك ثم عاد الى السفل.

(4) تهذيب السيرة ج1 ص 131، وأخرجه مسلم بنحوه رقم (2053).

(5) الطبقات الكبرى لابن سعد ج1 ص 160 ـ 161.

وأين هذا التكريم من صنيع جيران الرسول ﷺ بمكة الذين كان أحدهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي ، ويطرحها في بُرمته[1] إذا نصبت له[2]!.

من أجل صنيع الأنصار هذا كانوا أحب الناس الى رسول الله ﷺ وكان حبهم آية الإيمان ، وبغضهم آية النفاق . قال ﷺ :

« الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق . فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله[3] » .

١٢ ــ وليس أدل على أهمية الهجرة من الاتفاق على جعلها بداية التاريخ الإسلامي ، حين جمع عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ الصحابة ، واستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الدَّين وغيره .

فقال قائل : أرِّخوا كتأريخ الفرس . فكره ذلك .

وقال قائل : أرِّخوا بتأريخ الروم . فكره ذلك .

وقال آخرون : أرخوا بمولد رسول الله ﷺ .وقال آخرون : بل بمبعثه.

وقال آخرون : بل بهجرته . وقال آخرون : بل بوفاته عليه السلام .

فمال عمر ــ رضي الله عنه ــ الى التأريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره ، وقال : « الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها » .

واتفقوا معه على ذلك . عن سهل بن سعد قال :

---

(١) البُرمة : القدر من حجارة .

(٢) تهذيب السيرة ج١ ص ٩٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص ٢٦٩ــ٢٧٩ .

(٣) رواه البخاري عن البراء ، رقم ٣٧٨٣ .

« ما عدّوا من مبعث النبي ﷺ ولا من وفاته ، ما عدوا إلا من مقدمه المدينـة[1] » .

وجعلوا الابتداء بالمحرم لأنـه أول شهر استهل بعـد بيعة العقبة والعزم على الهجرة، ولأنه شهر حرام، وفيه ينصرف الناس من الحج ، وهو أول شهور العرب ، وكان ذلك الاتفاق سنة سبع عشرة في ربيع الأول[2] .

---

(1) رواه البخاري ، رقم ٣٩٣٤ .

(2) السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩ ، فتح الباري ج٧ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

٣١ ـ تنظيم المجتمع المسلم

لم يهاجر النبي ﷺ الى المدينة ليخلد الى الراحة والنعيم ، وإنما هاجر ليبني مجتمعاً وينشىء أمة على مبادىء الإيمان وأحكام الاسلام ، وبعد أن كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ في مكة مظلوماً مضطهداً ، لا يستطيع أن يغير شيئاً من أحوال مجتمعها الوثني الفاسد ، أصبح هو الحاكم المطاع والرئيس الأعلى في مقره الجديد ، فعمل على توجيه المجتمع نحو شاطىء الأمان ، ونظمه بأكمل نظـام .

وكان أبرز عناصر هذا المجتمع المهاجرون والأنصار واليهود . وفيما يلي بيان بأحوالهم وبالنظام الذي وضعه الرسول ﷺ لهم ، وبالعلاقات التي جعلها فيما بينهم :

الأوس والخزرج في الجاهلية :

لم يكن الأنصار من الأوس والخزرج على وفاق فيما بينهما قبل الاسلام، بل كانت قبيلتاهما على نزاع دائم منذ أن وطِئوا أرض يثرب مع أنهم أبناء عمومة ! حتى إن الأوس حالفوا يهود بني قريظة ضد الخزرج ، كما أن الخزرج حالفوا يهود بني النضير وبني قينقاع ضد الأوس ، وبلغ الاحتدام بين القبيلتين أن قدم وفد من الأوس الى مكة يلتمسون الحلف من قريش على الخزرج . وحينئذ سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم فقال : « هل لكم في خير مما جئتم له ؟ » قالوا : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله ، بعثني الى العباد ، أدعوهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً . وأنزل علي الكتاب . ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن .

فقال إياس بن معاذ : يا قوم ! هذا والله خير مما جئتم له • فأخذ أحدهم حفنة من تراب البطحاء فضرب به وجهه وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا • فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا الى المدينة[1]• وذلك قبل بيعة العقبة •

وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج وقعة عظيمة ، قتل فيها خلق من أشرافهم وكبرائهم ، ولم يبقَ من شيوخهم إلا القليل ، وذلك قبل الهجرة بخمس سنين •

عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : « كان يوم بُعاث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ • فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملؤهم ، وقتلت سرواتهم[2] وجُرحوا • فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام[3] » •

ولذلك جاء في قول الستة من الخزرج الذين التقى بهم رسول الله ﷺ عند العقبة :

إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم • وعسى أن يجمعهم الله بك •

فإذا نزل بهاتين القبيلتين المتناحرتين أفراد غرباء عنهم ، فمن الممكن أن تتجدد الثارات وتضطرم نار العداوة بين حين وحين • وأن يبرم هؤلاء وأولئك بالنزلاء الجدد ، وأن يبقى مجتمعهم خليطاً متنافراً، تتربص فيه كل فئة بالأخرى مما يجعله في خصام مستمر • سيما وجيرانهم من اليهود يكيدون بهم ويعملون على بث الفرقة وأسباب الخلاف فيما بينهم ؛ لتبقى لهم السيطرة على المجتمع ، ولكن الرسول ﷺ استأصل أسباب الخلاف ، وجعل المؤمنين إخوة متحابين •

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام عن ابن اسحق ق١ ص ٤٢٧ ــ ٤٢٨ •

(٢) أي أشرافهم وخيارهم •

(٣) رواه البخاري ، رقم ٣٧٧٧ •

المؤاخاة بين المهاجرين والانصار :

قال ابن اسحق :وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل : « تآخوا في الله أخوين أخوين[1] » •

وقال بعد ذكر عدد ممن أصبحوا أخوين أخوين : فهولاء من سُمي لنا ، ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه •

ويلاحظ بعد استعراض أسماء من ذكرهم ممن تآخوا في الله أن الأخوين هما في غالب الأحوال أحدهما من المهاجرين والآخر من الأنصار ، وقد يكون الاثنان من أهل المدينة كأبي الدرداء وسلمان الفارسي[2] رضي الله عنهما • وقد يكونان مهاجرين كحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة[3] ، والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود[4] رضي الله عنهم ؛ مما يدل على أن هذه المؤاخاة ترمي الى إزالة الشعور بالوحشة والغربة في دار الهجرة ، والى هدم الهوة التي كانت بين طبقات المجتمع في الجاهلية ؛ فكل الذين سميناهم كان الأول من كل أخوين من السادة الأشراف ، والآخر من المستضعفين أو الأرقاء • كما شرعت هذه المؤاخاة لأجل ارتفاق بعضهم من بعض، وليتألف قلوب بعضهم على بعض، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة •

---

(١) قيل بأن المؤاخاة كانت مرتين : الأولى قبل الهجرة ، والثانية بعدها ، بين المهاجرين والأنصار ، وكانت بعد قدومه ﷺ المدينة بخمسة أشهر •

(٢) ثبتت الأخوة بينهما في حديث رواه البخاري عن أبي جحيفة في باب : كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه • (فتح الباري ج ٧ ص ٢٧٠) •

(٣) ورد في حديث رواه البخاري في باب عمرة القضاء رقم ٤٢٥١ قول زيد في ابنة حمزة : « وقال زيد : ابنة أخي » •

(٤) أخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن عن ابن عباس : « آخى النبي ﷺ بين الزبير وابن مسعود » • وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني • وقيل بأن ذلك قبل الهجرة ، وأنه كان الزبير وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين ، وابن مسعود ومعاذ بن جبل أخوين بعد الهجرة •

ولم تكن هذه الأخوة مجرد شعور نفسي وكلام معسول ، بل كانت واقعاً عملياً عاشه المسلمون .

عن أنس ــ رضي الله عنه ــ أنه قال : قدم علينا عبد الرحمن بن عوف ، وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ــ وكان كثير المال ــ فقال سعد : قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالا ، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين . ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فاطلقها حتى إذا حلت تزوجتها .

فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك . أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع . فما انقلب إلا ومعه فضل من أقِط وسمن . ثم تابع الغدو . ثم جاء يوماً وبه أثر صفرة فقال النبي ﷺ : مهيم ؟ قال : تزوجت . قال : كم سقت إليها ؟ قال : نواة من ذهب[1] .

وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قالت الأنصار للنبي ﷺ : أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال : لا . فقالوا : تكفونا المؤونة[2] ونشرككم في الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا[3] .

وهكذا كانت الأخوة بذلا وعطاء من جانب الغني ، وعفة وقناعة من جانب الفقير . وكانت هذه الأخوة مقدمة على رابطة النسب في أول الهجرة ؛ اذ كانوا يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام الى أن كثر المسلمون وأصبحوا أقوياء ، فانحصر الأرث بين ذوي القربى والأزواج . وذلك بعد وقعة بدر ، حين نزل قوله تعالى :

« وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » . (سورة الأنفال ٧٥)

---

(١) رواه البخاري رقم ٣٧٨٠ ، ٣٧٨١ ومسلم وأحمد .
(٢) أي العمل في البساتين من سقيها والقيام عليها .
(٣) رواه البخاري رقم ٢٣٢٥ ، ٣٨٨٢ .

وكان المهاجرون شاكرين للأنصار صنيعهم ، معترفين لهم بفضلهم .

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ! ما رأينا قوماً أبذل من كثير ولا أحسن مواساة في قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم ؛ لقد كفونا المؤونة ، وأشركونا في المهنأ ، حتى خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . فقال النبي ﷺ :

« لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم »(١) .

وكيف ينسون إحسانهم وهم يتلون ثناء الله عليهم :

« والذين تبوّؤُ الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يُوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . (سورة الحجرات ١٠)

وقد أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن يبقى المؤمنون إخوة متراحمين :

« إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون .

(سورة الحشر ٩)

ونهى الرسول ﷺ عن كل ما يؤدي الى التباغض بين المسلمين فقال :

« لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام »(٢) .

وقال : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا(٣) ، وكونوا عباد الله إخوانا »(٤) .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب القيامة ج٢ ص ٧٩ .

(٢) روه البخاري رقم ٦٠٦٥ ومسلم رقم ٢٤ ـ (٢٥٥٩) عن أنس .

(٣) التناجش هو الزيادة في ثمن المبيع ليغر المشتري .

(٤) رواه مسلم رقم ٣٠ ـ (٥٥٦٣) عن أبي هريرة .

وقال: « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض. وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله[1] ولا يحقره. التقوى هاهنا ويشير الى صدره ثلاثاً. بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه »[2].

ورغب في نصرة المسلم لأخيه ومعاونته:

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال:

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه[3]. ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته[4]. ومن فرّج عن مسلم كربه[5] فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة. ومن ستر مسلماً[6] ستره الله يوم القيامة »[7].

وبذلك حلت الأخوة بدل العداوة والمحبة بدل الكراهية.

معاهدة اليهود:

ما كان ليخفى على اليهود أن محمداً ﷺ رسول الله حقاً؛ فقد كانت صفاته الجسمية والخلقية، كما كانت مبادىء شريعته مدونة في كتابهم، مما لا يبقى فيه ريبة لمستريب:

---

(١) لا يتخلى عن نصرته.
(٢) رواه الأربعة عن أبي هريرة.
(٣) أي لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه.
(٤) في حديث أبي هريرة عند أحمد رقم ٧٩٢٩: « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ».
(٥) أي غمة.
(٦) أي رآه على قبيح فلم يظهره للناس.
(٧) رواه البخاري رقم ٢٤٤٢.

« الذين آتينــاهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .
(سورة البقرة ١٤٦)

وقد كان المفروض فيهم أن يكونوا أول أهل المدينة دخولاً في الاسلام ؛ سيما وأنهم كانوا يحدثون أهلها عن النبي المرتقب قبل بعثته ؛ مما جعل الذين التقى بهم رسول الله ﷺ عند العقبة يؤمنون به . ولذلك كانت الآيات تنزل في هذه المرحلة تأمرهم بالايمان ، وتنهاهم عن الكفر والخذلان .

« يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإياي فارهبونِ . وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أوّل كافر بــه ولا تشتروا بآياتي ثمنــاً قليلا وإياي فاتقون . ولا تَلْبِسُوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلاة وآتــوا الزكاة واركعوا مــع الراكعين . أتأمرون الناس بالبِر وتنسَون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .
(سورة البقرة ٤٠ ـ ٤٤)

ومع هذه الدعوة الصادقة الواضحة فإن معظم اليهــود اتخذوا موقفاً عدائياً منها :

عن صفية بنت حيي قالت : كنت أحب ولد أبي إليه والى أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه . فلما قدم رسول الله ﷺ قباء غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بــن أخطب مغلسين ، فلم يرجعــا حتى غروب الشمس ، فأتيــا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى . فهششت إليهما كما كنت أصنع . فوالله ما التفت إلي واحــد منهما مع ما بهما من الغــم .

فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فماذا في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت[1] .

وما آمن إلا قليل منهم كعبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي كان حبراً عالماً فيهم ، وكان يعمل في رأس نخلة لـه ، فسمع بقدوم النبي ﷺ قباء ، فكبر ؛ فنادته عمتـه من تحت النخلة : لو كنت سمعت بموسى بـن عمران قادماً ما زدت ! .

فقال لها : أي عمة ! والله هو أخو موسى وعلى دينه ؛ بعث بما بعث به .

فقالت : يا ابن أخي ! أهـو الذي كنا نُخْبَرُ به أنه يبعث مع نفس الساعة ؟

قال : نعم . قالت : فذاك إذاً[1] .

وخرج الى رسول الله ﷺ ، فلما تبين وجهـه عرف أنـه ليس بوجـه كذاب[2] .

ثم قال له : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي . فلما أجابه ﷺ قال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إلـه إلا الله وأنك رسول الله . وقـال : يا رسول الله ! إن اليهود قوم بهت[3] .

فاسألهم عني قبل أن يعلموا باسلامي .

فجاءت اليهود . فقال النبي ﷺ : أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟

قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام عن ابن اسحق ق٢ ص ٥١٦ ـ ٥١٩ .

(٢) رواه أحمد .

(٣) بُهت : جمع بهيت ، وهو الذي يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب .

فقال النبي ﷺ : أرأيتم ان أسلم عبد الله بن سلام ؟

قالوا : أعاذه الله من ذلك . فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك .

فخرج إليهم عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله.

قالوا : شرنا وابن شرنا ، وتنقصوه .

قال : هذا ما كنت أخاف يا رسول الله[1] .

وإزاء هذا الموقف من اليهود وادعهم الرسول ﷺ ، وعاهدهم على أن ينصروا المسلمين على من حاربهم ، وأن يأمنوا على دينهم وأموالهم .

وكانت هذه المعاهدة اعترافاً من اليهود بوجود المسلمين في المدينة ، واقراراً لرسول الله ﷺ بسيادته عليها ، والزاماً لهم بأن يكونوا مؤيدين للمسلمين ضد أعدائهم .

وها هو كتاب رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار واليهود :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . إنهم أمة واحدة من دون الناس ؛ المهاجرون من قريش على رَبعتهم[2] يتعاقلون بينهم[3] ، وهم يفدون عانيهم[4] بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

ثم ذكر بني عوف وبني ساعدة وبني الحارث وبني جُشم وبني النجار وبني عمرو بن عوف وبني النبيت وبني الأوس بمثل ذلك ؛ فقال عن كل

---

(١) البخاري رقم ٣٩٣٨ .

(٢) الربعة :: الحال التي وجدهم عليها الاسلام ، أي على شأنهم وعادتهم من احكام الديات والدماء .

(٣) أي يعقل بعضهم عن بعض ، والعقل : الدية .

(٤) العاني : الأسير .

طائفـــة منهم انهـــم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفـــدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً[1] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فـــداء أو عقل . وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه . وإن المؤمنين المتقين على من بغـــى منهم أو ابتغى دسيعة[2] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين . وان أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم . ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن . وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم . وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ..

وإنـــه من تبعنا من يهود فإن لـــه النصر والأسوة غـــير مظلومين ولا متناصرين عليهم .

وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم . وإن كـــل غازية غزت معنا يعقب بعضها على بعض ، وإن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض[3] بما نال دماءهم في سبيل الله . وإن المؤمنين المتقين علـــى أحسن هدي وأقومه . وإنـــه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونـــه على مؤمن . وإنـــه من اعتبط[4] مؤمناً قتلا عن بينة فإنه قَوَد" به إلا أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليـــه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيا معليه . وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤيه . وإنه إن نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يـــوم القيامة ، ولا يؤخذ منـــه صرف ولا عدل . وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده الى الله عز وجل والى محمد ﷺ .

(١) المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال .

(٢) الدسيعة : العظيمة .

(٣) يعني إن دماءهم متكافئة . يقال : باء الرجل بصاحبه إذا قتل به كفوًا .

(٤) اعتبطه : قتله بغير حق .

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ(١) الا نفسه وأهل بيته . وإن ليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جُشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشُّطبية مثل ما ليهود بني عوف .. وإن بطانة يهود كأنفسهم . وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ .

وإنه لا ينحجز على ثار جرح . وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم . وإن الله على أبر هذا . وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم . وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة . وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم(٢) . وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه . وإن النصر للمظلوم.

وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة . وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم . وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله ﷺ . وإن الله على اتقى مافي هذه الصحيفة وابره .

وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها . وإن بينهم النصر على من دهم يثرب . واذا دُعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه. وإنهم إذا دَعوا الى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلهم ..

وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم . وإنه من خرج آمن ومن

(١) يُهلك .
(٢) أي إن البر والوفاء ينبغي أن يكون حاجزاً من الاثم .

قعـد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم . وإن الله جـار لمن بر واتقى ، ومحمداً رسول الله ﷺ »(١) .

وهكذا وضع الرسول ﷺ أسس المجتمع ، وحدد العلاقات بين طوائفه المختلفة ، فالمؤمنون جميعاً أمة واحـدة متكافلة متراحمة ، يسعـى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم . ومن فعل جريمة فإنـه ينال جزاءه ، ولا يقره أحد على فعلته .

واليهود يأمنون على دينهم وأموالهم ، وعليهم مناصرة المسلمين ضـد أعدائهم ، ولهم النصر والعدل . وبين الجانبين التناصح والبر والتعاون .

وقريش والكافرون أعداء لأهـل هذه الصحيفة ، يجب الحـذر منهم والاستعداد لرد عدوانهم .

وكل ما يقع التنازع فيه فإنه يرد الى الله سبحانه وتعالى والى رسول الله ﷺ .

(١) تهذيب السيرة ج١ ص ١٣٣ ـ ١٣٦ .

٣٢ ـ الإذن بالقتال

أذن الله للمؤمنين بالقتال بعد الهجرة ، وكانوا قبلها يؤمرون بكف أيديهم والصبر والاحتمال • وأول ما أنزل في القتال قوله تعالى :

« أُذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير • الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله •• » • (سورة الحج ٣٩ ـ ٤٠)

ثم أُمروا بقتال من يقاتلهم :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » • (سورة البقرة ١٩٠)

وبعد ذلك أمروا بقتال المشركين جميعاً :

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين » • (سورة التوبة ٣٦)

وقد رأى رسول الله ﷺ بعد أن تم بناء المسجد النبوي وتنظيم المجتمع المسلم أن يصادر تجارة قريش حين تمر على المدينة المنورة في طريقها الى الشام ؛ ليضعف قوتها ، وليسترد المهاجرون بعض أموالهم التي تركوها في مكة • وقام المسلمون بعدة محاولات لذلك قبل غزوة بدر ، وهي مبينة في الفصل التالي :

٣٣ ـ الغـزوات والسرايـا
والأحداث التي سبقت غـزوة بـدر

١ ـ سرية[1] حمزة بن عبد المطلب :

بعث الرسول ﷺ عمه حمزة في ثلاثين رجلا من المهاجرين في رمضان ١ هـ • ليعترض عيراً لقريش جاءت من الشام • فلقي أبا جهـل في ثلاثمائة رجل • وحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني فلم يقتتلوا •

٢ ـ سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب :

وبعث عبيدة بن الحارث في ستين من المهاجرين في شوال ١ هـ • فبلغوا ثنيّة المُرة بناية الجحفة ، فالتقوا بأبي سفيان في مائتين من المشركين على ماء يقال له أحياء • وكان بينهما الرمي دون المسايفة •

٣ ـ سرية سعد بن أبي وقاص :

وبعث سعد بن أبي وقاص في عشرين[2] من المهاجرين في ذي القعـدة ليعترضوا عيراً لقريش • فساروا خمس ليال حتى بلغوا الخَرّار • وسبقتهم العير بيوم فرجعوا[3] •

---

(١) السرية هي جماعة من المقاتلين ، يبعثهم رسول الله ﷺ ولا يذهب معهم • وسأرقم السرايا بالأرقام ١ ، ٢ ، ٣ •

(٢) ذكر ابن اسحق انهم ثمانية •

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ، ٣٥٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ •

1 ـ غزوة(1) الأبواء :

ويقال لها ودّان أيضاً : وخرج رسول الله ﷺ في سبعين من المهاجرين في صفر ٢ هـ • ليعترض عيراً لقريش ؛ فلم يلق كيداً • ووادع بني ضمرة ، ثم رجع • وكانت غيبته خمس عشرة ليلة •

2 ـ غزوة بُواط(٢) :

وكانت في ربيع الأول ٢هـ • وكان رسول الله ﷺ في مائتين من المهاجرين ، يريد أن يعترض عير قريش ، وفيها أمية بن خلف ومائة رجل و /٢٥٠٠/ بعير • ولم يلق كيداً •

3 ـ غزوة العُشيرة :

خرج الرسول ﷺ يتعرض لعيرات قريش ذاهبة الى الشام في جمادى الآخرة ، ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين • وسار حتى نزل العُشيرة من بطن ينبع ، فوجد العير قد فاتته ، ووادع بني مُدلج ، ثم رجع ولم يلق كيداً •

4 ـ غزوة بدر الأولى :

لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليالي لا تبلغ العشر ، حتى أغار كُرز بن جابر الفهري على سَرْح المدينة • فخرج في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر ، وفاته كرز • ثم رجع الى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجباً وشعبان(٣) •

---

(١) الغزوة هي جماعة من المقاتلين يقودهم رسول الله ﷺ • وسارقم الغزوات بالأرقام : 1 , 2 , 3 , 4

(٢) بين بواط والمدينة أربعة برد نحو ٨ كم •

(٣) المرجع السابق •

٤ ـ سرية عبد الله بن جحش :

بعثه الرسول ﷺ في رجب ٢هـ • ومعه ثمانية من المهاجرين ، وكتب له كتاباً ، وأمره أن يسير يومين ثم ينظر فيه لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً •

فلما سار بهم يومين فتح الكتاب ، فإذا فيه : « امض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً ، وتعلم لنا من أخبارهم » • فمضوا جميعاً • ثم أضل اثنان منهم بعيراً لهما كانا يعتقبانه ، فتخلفا في طلبه • ومضى الآخرون الى نخلة : فمرت عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً[1] فأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ؛ فقتلوا عمرو بن الحضرمي ، وأسروا رجلين ، وأقبلوا بهما وبالعير الى المدينة •

فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » ، ووقف العير والأسيرين •

وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال • فأنزل الله قوله :

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتالٌ فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجدِ الحرام وإخراجُ أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » •

(سورة البقر ٢١٧)

وعندئذ قبض الرسول ﷺ العير ، وأفدى الأسيرين[2] •

---

(١) اي جلوداً •

(٢) السيرة لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٩ •

تحويل القبلة وفرض الصيام والزكاة :

وفي شعبان من العام الثاني من الهجرة صرفت القبلة الى الكعبة[1] . وكان رسول الله ﷺ يصلي بمكة الى بيت المقدس والكعبة بين يديه . فلما هاجر الى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما ، فصلى الى بيت المقدس . وكان يحب أن تصرف قبلته نحو الكعبة قبلة ابراهيم ، وكان يكثر الدعاء والتضرع الى الله ، ويرفع يديه وطرفه الى السماء سائلا ذلك ، فأنزل الله :

« قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » . (سورة البقرة ١٤٤)

ولعل تحويل القبلة قد تم بعد العناد والعداوة التي أبداها اليهود نحو هذا الدين . وكان تحويلها بشارة بفتح مكة وتطهير الكعبة .

وفي السنة الثانية أيضاً فرض صيام شهر رمضان ، وأمر الناس بزكاة الفطر .

وفيها صلى النبي ﷺ صلاة العيد ، وخرج بالناس الى المصلى .

وفيها فرضت زكاة الأموال[2] .

وفي رمضان من تلك السنة كانت غزوة بدر الكبرى .

---

(١) قال محمد بن حبيب : كان تحويل القبلة في نصف شعبان ، وذكر ذلك النووي في الروضة وأقره . والجمهور على أن التحويل كان في نصف شهر رجب من السنة الثانية . والله أعلم .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ق١ ص ٥٩١ ــ ٦٠٦ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص ٣٧٢ ــ ٣٧٩ ، السيرة النبوية لاحمد زين دحلان ج١ ص ٣٥٦ــ٣٦٦ ، فتح الباري ج١ ص ٩٧ .

٣٤ - 5 - غـزوة بـدر الكبرى

ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان مقبلا من الشام في عير لقريش عظيمة ، فيها ألف بعير وأموال كثيرة ، وفيها ثلاثون رجلا . وهي العير التي تعرض لها في غزوة العُشيرة اثناء ذهابها الى الشام. فندب المسلمين إليها فقال : « هذه عير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها » . وقال : « إن لنا طَلِبَةً[١] ، فمن كان ظهره[٢] حاضراً فليركب معنا » .فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم[٢] في عُلْـــو المدينة . فقال : « لا إلا من كان ظهره حاضراً[٣] » .

فخرج معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا .

فعن البراء ــ رضي الله عنه ــ قال : استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر ، وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين[٤] .

وعن عمر ــ رضى الله عنه ــ قال : « لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ الى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا »[٥] .

وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال : كان أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وكان المهاجرون ستة وسبعين[٦] .

---

(١) طلبة : أي شيئاً نطلبه .
(٢) الظهر : الدابة التي تركب . وظُهران : جمع ظهر .
(٣) رواه مسلم رقم ١٩٠١ وأحمد عن أنس رضي الله عنه .
(٤) رواه البخاري رقم ٣٩٥٦ .
(٥) رواه مسلم رقم ١٧٦٣ .
(٦) رواه أحمد .

وقال ابن اسحق : فجميع من شهد بدراً ومن ضرب له بسهمه ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا : من المهاجرين ثلاثة وثمانون ، ومن الأوس واحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون .

وكان خروجهم في الثاني عشر من رمضان ٢هـ . وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها وفرسان . وسار الرسول الله ﷺ بالناس ، حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث رجلين يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان وعيره .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ليذهب الى قريش ويستنفرهم الى أموالهم . فتجهز المشركون سراعاً وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي[1] ! كلا والله ليعلمن غير ذلك . وخرجوا في تسعمائة وخمسين مقاتلا ، معهم مائة فرس وسبعمائة بعير .

وعلم محمد ﷺ بمسير المشركين ، فأخبر المسلمين واستشارهم . فقام أبو بكر فقال : وأحسن ، ثم قام عمر فقال وأحسن . ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ! امض لما أراك الله فنحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى :

« اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون »[2] .

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى بَرْك الغماد[3] . لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له .

---

(١) هي العير التي غنمها المسلمون في سرية عبد الله بن جحش .

(٢) سورة المائدة : ٢٤ .

(٣) موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن بناحية الساحل .

وعن ابن مسعود أن المقداد ــ رضي الله عنه ــ قال : لا نقول لك كما قال قوم موسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا » ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك . فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره يعني قوله(١) .

ثم قال ﷺ : أشيروا علي أيها الناس .

فقال سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل .

وذلك لأن الأنصار حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله : إنا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا .

فكان يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم .

فقال سعد : قد آمنا بك وصدقنا ، وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثقينا على السمع والطاعة . فامضِ يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك . فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ؛ إنا لصُبُر في الحرب ، صُدُق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك . فسِرْ بنا على بركة الله .

فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ، ثم قال : سيروا وابشروا فإن الله وعدني احدى الطائفتين . والله لكأني أنظر الى مصارع القوم .

وعن أنس ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان . فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه . فقام سعد بن عبادة فقال : إيانا تريد يا رسول الله ؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا

(١) رواه البخاري رقم ٣٩٥٢ وأحمد رقم ٣٦٩٨ .

أن نخيضها البحر لأخضناها • ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها[1] الى بَرْك الغماد لفعلنا •

فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدراً[2] •

ومضى رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ حتى نزلا بدراً ، فأناخا الى تل قريب من الماء ، ثم استقيا ، فسمعا جاريتين تقول احداهما لصاحبتها : إنما تأتي العير غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك • وكان مجدي بن عمرو الجهني على الماء فقال لها : صدقت •

وانطلق الرجلان فأخبرا رسول الله ﷺ بما سمعا •

وأقبل أبو سفيان حتى ورد الماء فقال لمجدي : هل أحسست أحداً ؟

قال : رأيت راكبين قد أناخا الى هذا التل ، ثم استقيا وانطلقا • فأتى مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته ، فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب • فرجع الى أصحابه سريعاً ، فضرب وجه عيره عن الطريق ، فساحل بها ، وترك بدراً بيسار ، وانطلق حتى أسرع • ولما رأى أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش : إنكم خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم ، فقد نجانا الله فارجعوا •

فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدراً — وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام — فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجزر ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان[3] وتسمع بنا العرب وبمسيرنا ، وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها • فامضوا •

ثم نزل رسول الله ﷺ قريباً من بدر ، فركب هو وابو بكر حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم •

---

(١) كناية عن ركض الابل والخيل •

(٢) رواه مسلم رقم ١٧٧٩ والمسافة بين المدينة وبدر نحو ١٦٠ كم •

(٣) الجواري المغنيات •

فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟

فقال رسول الله ﷺ : إذا أخبرتنا أخبرناك .

قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم .

قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإذا كان صدق الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ؛ للمكان الذي به رسول الله ﷺ . وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإذا كان الذي أخبرني صدقني ، فهم اليوم كذا وكذا . فلما فرغ قال : ممن أنتما ؟

فقال رسول الله ﷺ : « نحن من ماء » ثم انصرف عنه ، وهو يقول : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟

ثم رجع الرسول ﷺ الى أصحابه . فلما أمسى بعث نفراً منهم الى ماء بدر يلتمسون الخبر عليه ، فأصابوا راوية[1] لقريش فيها غلامان . فأتوا بهما ، ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، فسألوهما : لمن أنتما ؟ فقالا : نحن سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضربوهما . فلما أوجعوهما ضرباً قالا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما . فلما فرغ ﷺ من صلاته قال : اذا صدقاكم ضربتموها ، وإذا كذباكم تركتموها ! صدقا والله ، إنهما لقريش . أخبراني عن قريش ؟ قالا : هم وراء هذا الكثيب[2] .

فقال لهما : كم القوم ؟ قالا : لا ندري .

قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً .

فقال رسول الله ﷺ : القوم فيما بين التسعماية والألف .

ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ فذكرا أسماءهم .

فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها[3] .

---

(١) الراوية : البعير يستقى عليه الماء .

(٢) أي التل من الرمل .

(٣) أي أشرافها وعظماءها .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : فانطلقوا حتى نزلوا بدراً ، ووردت عليهم روايا قريش ، وفيهم غلام أسود لبني الحجاج ، فأخذوه ، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول : مالي علم بأبي سفيان ، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس . فإذا قال ذلك ضربوه . فقال : نعم ، أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان. فإذا تركوه فسألوه فقال : مالي بأبي سفيان علم ، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس. فاذا قال هذا أيضاً ضربوه. ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، فلما رأى ذلك انصرف[1] . قال : « والذي نفسي بيده لتضربوه[2] اذا صدقكم وتتركوه إذا كذبكم »[3] .

ولا منافاة بين الخبرين لأن بعض الرواة ذكر اثنين ، وبعضهم اقتصر على واحد .

ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي ، كما قال تعالى :

« إذ أنتم بالعُدوة الدنيا وهم بالعُدوة القصوى[4] والركب أسفل منكم[5] » .

(سورة الأنفال ٤٢)

وبعث الله السماء ، وكان الوادي دهساً[1] ، فأصاب رسول الله ﷺ

---

(١) أي بعد أن فرغ من صلاته .

(٢) هكذا وقع بغير نون ، على لغة من يحذف النون بغير ناصب ولا جازم .

(٣) رواه مسلم رقم ١٧٧٩ وقد ذكرنا بداية الحديث من قبل .

(٤) العُدوة الدنيا مما يلي المدينة ، والقصوى مما يلي مكة .

(٥) يعني الركب الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل .

(٦) لينا كثير التراب ، تسيخ فيه الأقدام .

وأصحابه منها ما لبد لهم الأرض ، ولم يمنعهم عن السير • وأصاب قريشاً منها مالم يقدروا على أن يرتحلوا معه • فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم الى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به •

فقال الحباب بن المنذر : يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن تتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة •

فقال : يا رسول الله : فإن هذا ليس بمنزل • فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نُغوِّر(1) ما وراءه من القُلُب ، ثم نبني عليه حوضاً ، فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون •

فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأي • فنهض ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه • ثم أمر بالقُلُب فغورت ، وبني حوضاً على القليب الذي نزل عليه ، فملىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية •

وقال سعد بن معاذ : يا نبي الله : ألا نبني لك عريشاً(2) تكون فيه ، نعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا • فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ما أحببنا • وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك •

فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير ، وقال : يقضي الله خيراً من ذلك •

ثم بنى العريش فوق تل مشرف على المعركة •

---

(1) التغوير : الدفن والطمس • والقُلُب : الآبار •

(2) هو كالخيمة من جريد يستظل به •

وأقبلت قريش حين أصبحت . فلما رآها رسول الله ﷺ تَصوَّبَ من العَقنقل ـ وهو الكثيب الذي جاؤوا منه الى الوادي ـ قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك . اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم احنهم(١) الغداة » .

وصف رسول الله ﷺ أصحابه ، وعبّاهم أحسن تعبية ، وقال : « إن اكتنفكم القوم فانضحوهم(٢) عنكم بالنبل » .

وعن أبي أسيد قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر : « إذا اكثبوكم فارموهم ، واستقبوا نبلكم »(٣) .

أي ارموهم اذا اقتربوا منكم ، ولا ترموهم إذا كانوا بعيداً لا تصيبهم السهام غالباً . وفي رواية أخرى : « إذا اكثبوكم فارموهم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم(٤) » .

وأمرهم ألا يحملوا حتى يأمرهم . ودخل العريش فاستقبل القبلة ، ثم مد يديه ، فجعل يهتف(٥) بربه : « اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العِصَابة(٦) من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض » . فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه . فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله : كذالك(٧) مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله :

---

(١) أهلكهم .
(٢) ارموهم .
(٣) رواه البخاري (٣٩٨٤) .
(٤) رواه أبو داود .
(٥) يدعو ويستغيث .
(٦) الجماعة .
(٧) أي حسبك .

« إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردِفين » . (سورة الأنفال ٩)

« فأمده الله بالملائكة[1] » .

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لاهدمنه ، أو لاموتن دونه . فخرج إليــه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وضربه فأطن[2] قدمه بنصف ساقه ، ثم قتله .

ثم خرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد ، ودعوا الى المبارزة . فأمر الرسول ﷺ عبيدة بن الحارث وحمزة وعلياً بالقيام إليهم ؛ فقتل حمزة شيبة ، وقتل علي الوليد ، وضرب كل من عبيدة وعتبة صاحبه فجرحه ، فكر حمزة وعلي على عتبة فأجهزا عليه ، واحتملا صاحبهما ، فحازاه الى أصحابه .

وفيهم نزل قوله تعالى

« هذا خصمان اختصموا في ربهم » . (سورة الحج ١٩)

فعن قيس بن عباد قال : سمعت أبا ذر يقسم قسماً إن هذه الآية نزلت في الذين برزوا يوم بدر[3] .

ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم مــن بعض . وخــرج رسول الله ﷺ فحرضهم وقال : « لا يقاتلنهم اليوم رجل ، فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » . وقــال : « قوموا الى جنــة عرضها السموات والأرض » . فقال عمير بن الحمام الأنصاري : يا رسول الله : جنة عرضها

(١) اخرجه مسلم عن عمر (١٧٦٣) .
(٢) اي أسرع قطعها فطارت .
(٣) رواه البخاري (٣٩٦٩) ومسلم (٣٠٣٣) .

السموات والأرض ؟ قال : نعم . قال : بخٍ بخٍ[1] . فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ ؟ » قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : « فإنك من أهلها » .

فأخرج تمرات من قرنه[2] فجعل يأكل منهن . ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنهـا لحياة طويلة . فرمى ما كان معه من التمر ، ثـم قاتلهم حتى قتل[3] .

ثم إن رسول الله أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشاً بها ، ثم قال : شاهت الوجوه . ونفحهم بها ، وقال لأصحابه : شدوا . فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء . وأنزل الله في ذلك :

« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهـم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليُبلي المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم » .

(سورة الأنفال ١٧)

ثم قاتل بنفسه الكريمة قتالا شديداً ببدنه . وكذلك أبو بكر رضي الله عنه .

قال علي : « لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ . وهو أقربنا الى العدو . وكان من أشد الناس يومئذ بأساً[4] » .

فكانت الهزيمة الماحقة بالمشركين ، فقتـل سبعون من سَراتهم ، وأسر منهم سبعون . وقتل من المسلمين أربعة عشر : ستة من قريش وثمانية من الأنصار ، اثنان من الأوس ، وستة من الخزرج .

---

(١) كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

(٢) أي جعبته .

(٣) رواه مسلم عن أنس (١٩٠١) .

(٤) رواه أحمد رقم ٦٥٤ .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان[1] . من السنة الثانية للهجرة .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى. فمر به عبد الله بن مسعود ، فوجده بآخر رمق ، فقتله ثم أتى النبي ﷺ فأخبره . فخرج يمشي حتى قام عليه فقال : « الحمد لله الذي قد أخزاك يا عدو الله . كان هذا فرعون هذه الأمة[2] » .

ثم أمر بالقتلى أن يطرحوا في القَليب . وأمر بما في العسكر مما جمع الناس فجمع . وبعث بشيرين بالنصر الى أهل المدينة . ثم اقبل إليها . حتى إذا خرج من مضيق الصفراء قسم النفل على أصحابه ثم ارتحل . حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه . ثم مضى حتى قدم المدينة .

أسرى بدر :

وحين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه وقال: « استوصوا بهم خيراً ».

واستشار الناس فيهم فقال : « ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ »

فقال أبو بكر : يا نبي الله ! هم بنو العم والعشيرة . أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار . فعسى الله أن يهديهم للاسلام .

فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا ابن الخطاب ؟ »

قال عمر : قلت : لا . والله يا رسول ما أرى الذي رأى أبو بكر . ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم : فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ،

---

(1) رواه أحمد عن ابن عباس . ويوافق ذلك التاريخ شهر آذار سنة ٦٢٤ م .
(2) رواه أحمد (٣٨٢٤) وأبو داود والنسائي .

وتمكني من فلان (نسيباً لعمر) فاضرب عنقه . فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها[1] .

فهوى[2] رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت .

فلما كان من الغد جئت ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر يبكيان . قلت: يا رسول الله : أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما .

فقال رسول الله ﷺ : « أبكي للذي عَرَضَ عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عُرِض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة » (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ) .

وأنزل الله عز وجل قوله :

« ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يُثْخِنَ في الأرض[3] تريدون عَرَضَ الدنيا[4] والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم » .

(سورة الأنفال ٦٧ ـ ٦٩)

فأحل الله الغنيمة لهم[5] .

ثم بعثت قريش في فداء أسراهم . وكان ناس من الأسرى لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة[6] .

---

(١) أشرافها .
(٢) أحب ذلك واستحسنه .
(٣) يكثر القتل والقهر في العدو .
(٤) حطامها .
(٥) رواه مسلم (١٧٦٣) وابو داود (٢٦٩٠) .
(٦) رواه أحمد .

وأطلق جماعة من الأسارى مجاناً بلا فداء . منهم أبو العاص بن الربيع . وكانت امرأتـه زينب بنت رسول الله ﷺ قد بعثت فيه بقلادة لهـا ، كانت أمها قد أدخلتها بها عليه حين بنى عليها . فلمـا رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا » . قالوا : نعم يا رسول الله : وأخذ عليه أن يخلي سبيل زينب ، يعني أن تهاجر الى المدينة . فوفى بذلك[1] .

ومنهم وهب بن عمير الجمحي الذي قدم أبوه المدينة ، وأناخ راحلته على باب المسجد فرآه عمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ وقال : يا نبي الله ! هذا عدو الله عـُمير بـن وهب قد جاء متوشحاً سيفه . قـال : فادخله علي .

فأقبل عمر حتى أخذ بحِمالة سيفه في عنقه فلببه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون .

فلما رآه رسول الله ﷺ قال : أرسله يا عمر . ادن يا عمير . فدنا ثم قال : أنعم صباحاً .

ـ فقال رسول الله ﷺ : قد أبدلنا الله تحية خيراً من تحيتك ، السلام . ثم قال : ما جاء بك يا عمير ؟

ـ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه .

ـ قال : فما بال السيف في عنقك ؟

ـ قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت شيئاً !

ـ قال : اصدقني ما الذي جئت له .

ـ قال : ما جئت إلا لذلك .

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٩٢) .

ـ قال : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحِجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً . فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني . والله حائل بينك وبين ذلك .

ـ فقال عمير : أشهد أنك رسول الله . قد كنا نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي . وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إنـي لأعلم ما أتاك به إلا الله . فالحمـد لله الذي هداني للاسلام ، وساقني هذا المساق .

ـ فقال رسول الله ﷺ : فقهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن . وأطلقوا أسيره . ففعلوا[1] .

(۱) تهذيب السيرة ج۲ ص ۱٤٤ ـ ۱٦۳ ، السيرة النبوية لابن كثير ج۲ ص ۲۸۰ ـ ٥۱۲ ، السيرة الحلبية ج۲ ص ۱٤۳ ـ ۲۰٥ .

العبـر وعوامـل النصـر :

كانت غزوة بدر فرقانـاً بين الحق والباطل ، وإيذاناً بأن أعز الفئتين وأكرم القبيلتين هم المؤمنون ؛ اذ قال أبو جهل حين التقى القوم : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغـداة[1] . وقال : اللهم أعن أعز الفئتين وأكرم القبيلتين وأكثر الفريقين . فنزلت :

« إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا[2] فهو خير لكم وإن تعودوا نعد[3] ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين » . (سورة الأنفال ١٩)

وقـد كان المسلمون يودون الاستيلاء على أموال القافلة التي خرجوا لأجلها . ولكن الله دبر هـذه المعركة على غـير ميعاد لينصر دينـه ويمحق الكافرين .

« وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أنّ غير ذات الشوكة[4] تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين[5] » . (سورة الأنفال ٧)

وهيأ الله العوامل التـي ساعدت علـى نصر المسلمين : فغشاهم النعاس

---

(١) رواه أحمد والنسائي . ومعنى أحنه : أذله .

(٢) خطاب للكافرين ، يعني : وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله ﷺ .

(٣) وإن تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم .

(٤) العير . والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم . وهي الحدة والشدة .

(٥) قطع الدابر عبارة عن الاستئصال .

لتطمئن قلوبهم وتهدأ أعصابهم . وأنزل عليهم الماء ليطهرهم ، ويثبت أقدامهم. وأمدهم بالملائكة تقاتل في صفهم :

« إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان[1] وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان[2] » . (سورة الأنفال ١١ ــ ١٢)

ورأى الرسول ﷺ المشركين في منامه قليلا لتقوى عزائم أصحابه . كما رأت كل فئة الأخرى قليلة لتقدم على قتالها :

« إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم[3] ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولا والى الله ترجع الأمور » .

(سورة الأنفال ٤٣ ــ ٤٤)

فلما نشبت المعركة جعل الله المشركين يرونهم مثليهم ؛ فانهارت عزائمهم وارتعدت فرائصهم :

« قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار » . (سورة آل عمران ١٣)

---

(١) وسوسته وتخويفه إياهم من العطش . وقيل : الجنابة لأنها من تخييله .

(٢) البنان : الأصابع . يريد الأطراف .

(٣) لجبنتم وهبتم الاقدام .

وتجلت في هذه الغزوة براعة الرسول ﷺ في قيادة الجيوش ، وحسن استطلاعه للأخبار وتنظيمه للصفوف واستفادته من خبرات أصحابه ، واسناد المهام المناسبة إليهم .

كما دلت على شجاعة البدريين وعلو منزلتهم :

عن رفاعة بن رافع الزرقي أنه جاء جبريل الى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟

قال : من أفضل المسلمين . قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة[1].

وقد زادت هيبة المسلمين بين العرب، فلما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة منصورين غانمين قال عبد الله بن أبي ومن معه من المشركين : هذا أمر قد توجه[2] . فبايعوا رسول الله ﷺ على الاسلام . كما تظاهر بعض يهود بالاسلام .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٩٢) .

(٢) اي استمر فلا مطمع في ازالته .

٣٥ ـ الغزوات والسرايا والأحداث بين بدر وأحد

٦ ـ غزوة بني سُلَيم بالكُدْر :

لم يقم النبي ﷺ في المدينة إلا سبع ليال بعد قدومه إليها من بدر حتى غزا بني سُلَيم ، فبلغ ماء من مياههم يقال له الكُدر ، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع ولم يلق كيداً .

٧ ـ غزوة بني قينقاع :

ساء يهود المدينة أن ينتصر المسلمون في بدر ، فاضمروا الكيد لهم ، وبدت البغضاء من أفواههم . وكان يهود بني قينقاع يسكنون داخل المدينة في محلة خاصة بهم ، فجمعهم رسول الله ﷺ في سوقهم ، وقال لهم : « يا معشر يهود : أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً » .

فقالوا : يا محمد : لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغمارا[١] لا يعرفون القتال . إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا . فأنزل الله عز وجل في ذلك :

« قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار[٢] » .

وقدمت امرأة من العرب الى سوق بني قينقاع ، وجلست الى صائغ

---

(١) جمع غُمْر ، وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور .

(٢) سورة آل عمران : ١٢ـ١٣ ، والحديث رواه أبو داود عن ابن عباس (٣٠٠١) .

يهودي بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها . فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله. وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود .

فسار إليهم رسول الله ﷺ يوم السبت في النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة . وحاصرهم خمس عشرة ليلة ، حتى نزلوا على حكمه .

فقام عبد الله بن أبي ابن سلول فقال : يا محمد ! أحسن في موالي . وما زال يلح عليه حتى قال رسول الله ﷺ : هم لك . واشترط عليهم أن يخرجوا من المدينة بنسائهم وذريتهم ، ويتركوا أموالهم للمسلمين .

ووكل بجلائهم عبادة بن الصامت ، وكان حليفاً لهم ، فتبرأ منهم . وذهبوا الى أذرعات[1] من بلاد الشام ، وكانوا سبعمائة رجل ، فلم يحل عليهم الحول حتى هلكوا[2] .

---

(١) تسمى الآن ازرع ، وهي بلدة تابعة لدرعا . تبعد عن دمشق ١٠٠ كم جنوباً.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص ٩٧ ـ ٩٩ .

٨ ـ غـزوة السَّويق :

حزن أبو سفيان لمصاب المشركين في بدر ، فحلف ألا يمس رأسه ماء من جنابة[١] حتى يغزو محمداً . فخرج في مائتي راكب من قريش ، حتى أتى العريض في طرف المدينة ، وبات عند سيد بني النضير ، فقراه وأعلمه بأخبار الناس . ثم حرّقوا بعض أشجار النخل للأنصار ، وقتلوا رجلين في حرث لهما ، وانصرفوا راجعين .

وعلم بهم رسول الله ﷺ، فخرج في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكُدْر[٢]، ولم يلحق بهم ثم انصرف راجعاً .

ووجـد أصحاب رسول الله ﷺ أزواداً كثيرة قـد ألقاها المشركون يتخففون منهـا . وعامتها سـويق[٣] ؛ فسميت غـزوة السويق . وكانت في ذي الحجة من السنة الثانية .

٩ ـ غـزوة ذي أمـرّ :

بلغ رسول الله ﷺ ان بنـي ثعلبة ومحارب من غطفان قـد تجمعوا يريدون الاغارة على المدينة . فخرج إليهم في أربعمائة وخمسين رجلا . ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا ماء يسمى ذا أمر ، فعسكروا به . وأقاموا بنجد صفرا كله أو قريباً من ذلك ، كما يروي ابن اسحق[٤] .

---

(١) أي لا يمس النساء . وكان الغسل من الجنابة في الجاهلية بقيـة من ديـن ابراهيم واسماعيل .

(٢) بينها وبين المدينة ثمانية بُرد ، نحو ١٦٠ كم .

(٣) وهو قمح أو شعير يقلى ثم يطحن ليسف بماء أو بسمن وعسل .

(٤) وقال الواقدي : خرج اليهم من المدينة يوم الخميس ١٢ ربيع الأول ٣ هـ . فغاب أحد عشر يوماً . (المغازي ج١ ص ١٩٣ ـ ١٩٦) .

أما المشركون فقد هربوا الى رؤوس الجبال لما سمعوا بمسير رسول الله ﷺ إليهم ، ثم رجع المسلمون الى المدينة ولم يلقوا كيداً .

٥ ـ مقتل كعب بن الأشرف :

كان كعب يهودياً عربياً من بني نبهان ، وهم بطن من طيء ، وأمه من بني النضير ، فخرج الى مكة لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر ، وجعل يحرض على قتال رسول الله ﷺ ، فسأله أبو سفيان بمكة :أديننا أحب الى الله أم دين محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى وأقرب الى الحق ؟ فقال كعب : أنتم أهدى منهم سبيلاً .

فأنزل الله :

« ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصراً » .
(سورة النساء ٥١ ـ ٥٢)

ثم عاد الى المدينة فجعل يشبب بنساء المسلمين ويهجو النبي ﷺ وأصحابه.
فقال رسول الله ﷺ مَنْ لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله.
فقام محمد بن مَسْلمة فقال : يا رسول الله ! أتحب أن أقتله؟ قال : نعم.
فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة ، وهو أخو كعب من الرضاعة ، وآخرون فقتلوه[1] وذلك في ربيع الأول ٣ هـ .

10 ـ غزوة الفُرُع :

بلغه ـ عليه السلام ـ أن جمعاً كثيراً من بني سُليم اجتمعوا بِبُحران من ناحية الفُرُع[2]. فخرج إليهم في ثلاثمائة من أصحابه ، وسار حتى بلغها.

---

(١) روى الشيخان مقتل كعب عن جابر رضي الله عنه في حديث طويل رقمه خ ٤٠٣٧ ، م ١٨٠١ .

(٢) موضع بالحجاز معروف ، بينه وبين المدينة ثمانية برد ، والبريد نحو ٢٠ كم.

فوجدهم قد تفرقوا • فأقام بها ربيع الآخر وجمادى الأولى[1] ، ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيداً •

٦ ـ سرية زيد بن حارثة :

لما خافت قريش الطريق التي كانوا يسلكونها الى الشام سلكوا طريق العراق • فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان وصفوان بن أمية ، ومعهم فضة كثيرة •

فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة في مائـة راكب في جمادى الآخرة • فلقيهم على ماء يقال له القَرْدة بنجد ، فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجزه الرجال • فقدم بها على رسول الله ﷺ[2] •

وفي هذه الآونة تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، بعد أن تأيمت من خنيس بن حذافة السهمي الذي مات من جراحات أصابته ببدر[3] ، وكان زواجها في شعبان ٣ هـ • وكانت في الحادية والعشرين من عمرها[4] •

وبذلك أصبح الرسول ﷺ صهراً لكل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما •

وكان قد زوج ابنته رقية لعثمان ، فماتت حين رجوعهم من بدر ، ثم زوجه أختها أم كلثوم ، وزوج علياً ابنته فاطمة •

وفي هذه المصاهرة تكريم للخلفاء الأربعة الراشدين ، وتوثيق لصلتهم برسول الله ﷺ •

---

(١) هذا ما ذكره ابن هشام • وقال الواقدي : خرج اليهم لليال خلون من جمادى الأولى ، وكانت غيبته عن المدينة عشرة أيام• (المغازي ج١ ص ١٩٦ـ١٩٧)•

(٢) تهذيب السيرة ج١ ص ١٦٣ ـ ١٦٧ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٣ ـ ١٥ ، السيرة النبوية لأحمد زيني دحـلان ج٢ ص ٢ ـ ١٩ ، نـور اليقين ص ١٤٣ ـ ١٥١ •

(٣) وقيل بأحد • والأول أشهر كما قال ابن سعد وابن سيد الناس في عيون الأثر ج٢ ص ٣٠٢ •

(٤) قيل تزوجها بعد خمسة وعشرين شهراً من الهجرة ، وقيل بعد ثلاثين شهراً • انظر فتح الباري ج٩ ص ١٧٦ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ٣١٤ •

٣٦ - 11 - غزوة أُحُد :

أرادت قريش أن تثأر لهزيمتها في بدر ، فمشى من أصيب آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم الى أبي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة ، وقالوا: يا معشر قريش ! إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا .

ثم جمعوا حلفاءهم ومن أطاعهم من قبائل كنانة وأهل تهامة ، وجهزوا جيشاً قوامه ثلاثة آلاف رجل بقيادة أبي سفيان ، وكان فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فرس ، وجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل . وخرج بعضهم بنسائهم كيلا يفروا ، وأقبلوا حتى نزلوا ببطن الوادي من قِبَل أحد[1] مقابل المدينة .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ قال للمسلمين: إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ؛ فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي ابن سلول . ولكن رجالا ممن فاتهم الجهاد في بدر قالوا : يا رسول الله ! اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا . ولم يزالوا به حتى دخل بيته ولبس أداة القتال . وذلك بعد صلاة الجمعة في الرابع عشرَ من شوال سنة ثلاث للهجرة .

---

(١) أحُد هضبة كبيرة تقع شمال المدينة على مسافة اربعة اميال من المسجد النبوي ، وترتفع الى علو ألف قدم عن السهل المحيط بها .

وندم بعض من ألح على رسول الله ﷺ بالخروج فقالوا : يا رسول الله! استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد . فقال : « ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته[١] أن يضعها حتى يقاتل » . وقال الأنصار : يا رسول الله ! ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم .

وسار الرسول ﷺ في ألف من أصحابه حتى أتى الشيخين[٢] فعسكر به . وعند ذلك استعرض قومه ، فرد عدداً من الشباب كانوا في الرابعة عشرة من عمرهم ، منهم : أسامة بن زيد وعبد الله بن عمرو وزيد بن ثابت . ثم أجاز رافع بن خديج لما قيل : إنه رامٍ ، وأجاز سَمُرة بن جندب لما قيل : إنه يصرع رافعاً . وكانا في الخامسة عشرة .

فما فرغ من عرض أصحابه حتى غابت الشمس ؛ فأذن بلال بالمغرب ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ، ثم أذن بالعشاء فصلى بهم . وبات هناك ، واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلا يطوفون بالعسكر .

وأدلج رسول الله ﷺ في السحر ، حتى إذا بلغوا الشوط بين المدينة وأحد انخزل[٣] عبد الله بن أبي ابن سلول بثلاثمائة من أهل النفاق ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندري علامَ نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس .

ثم قال النبي ﷺ لأصحابه : مَنْ يخرج بنا على القوم من كَثَب[٤] من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة : أنا يا رسول الله ! فنفذ بهم في حرة بني حارثة حتى سلك بهم في بستان لمِرْبَع بن قَيْظي وكان منافقاً ضرير

---

(١) درعه وسلاحه .
(٢) وهما أطمان بين المدينة وأحد على الطريق الشرقية مع الحرة .
(٣) خزله : تفرد ، وعوّقه عنا يريد له .
(٤) أي من قريب .

البصر . فلما سمع حسهم قام يحثي في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل في حائطي فابتدره القوم ليقتلوه ، فنهاهم رسول الله ﷺ .

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشّعب من أحد ، فجعل ظهره وعسكره الى الجبل . وقال : لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال. وصف المسلمين ، واستحضر خمسين من الرماة ، فأمّر عليهم عبد الله بن جبير ، وأمرهم بالوقوف على ظهر تل[1] ليحموا خلفهم ، وليصدوا المشركين ، ويرموا خيلهم بالنبل إذا تقدموا نحو المسلمين ، وقال لهم :

« لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا . وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا[2] » .

وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين[3] ، ودفع اللواء الى مصعب بن عمير ، وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال أمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجانة سِماك بن خرشة فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحني .

قال : أنا آخذه بحقه . فأعطاه إياه[4] .

فلما أخذه أخرج عصابة حمراء فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفين . فقال رسول الله ﷺ: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن.

---

(١) يسمى عينين ، ويبلغ ارتفاعه أربعين قدماً .
(٢) رواه البخاري عن البراء (٤٠٤٣) .
(٣) لبس احداهما فوق الأخرى .
(٤) رواه مسلم (٢٤٧٠) .

ثم اقتتل الناس حتى حميت الحرب . وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس ، فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل عدداً من المشركين . ثم رماه وحشي غلام جبير بن مطعم بحربة ، فقتله . وكان سيده قد قال لـه : إن قتلت حمزة عم محمد بعمي[1] فأنت عتيق . وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، وقد قتله ابن قمئة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع الى قريش فقال : قتلت محمداً. فلما قتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب .

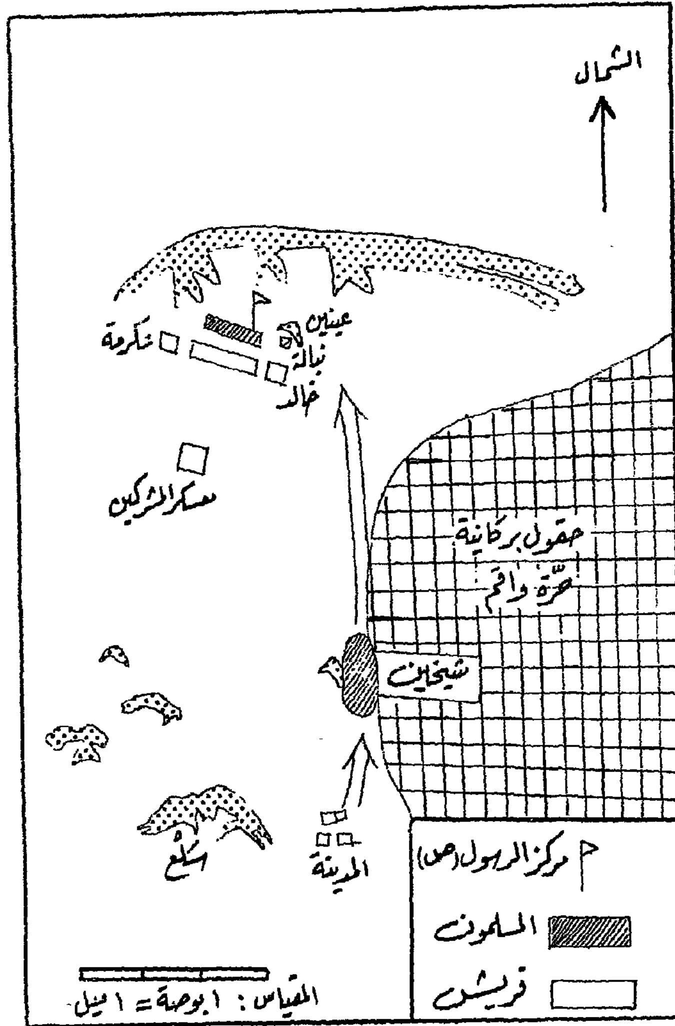
والتقى حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان ، فلما علاه حنظلة ضربه أحد المشركين[2] فقتله . فقال رسول الله ﷺ : إن صاحبكم لتغسله الملائكة ، فاسألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت صاحبته[3] عنه فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة .

وحملت خيل المشركين على المسلمين فنضحتهم الرماة بالنبل ثلاث مرات . وحمل المسلمون على المشركين ، وقاتلوهم بالسيوف حتى هزموهم ، ودخلوا معسكرهم يجمعون ما فيه .

فلما رأى ذلك الرماة انطلقوا يجمعون الغنائم ، ولم يلتفتوا لقول أميرهم لما ذكرهم بأمر رسول الله ﷺ بالثبات في مكانهم ، ولم يبق إلا قليل منهم . ورأى خالد بن الوليد خلو التل من الرماة ، فانطلق ببعض فرسانه ، فقتل عبد الله بن جبير ومن ثبت معه ، وأتى المسلمين من ورائهم ، ورجع المشركون الى معسكرهم .

---

(١) اسمه طعيمة بن عدي ، أصيب يوم بدر .
(٢) اسمه شداد بن الأسود .
(٣) قال الواقدي : هي جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول ، وكانت عروساً عليه تلك الليلة . (المغازي ج١ ص ٢٧٣) .



منقولة من كتاب سيف الله خالد بن الوليد ـ الجنرال أ٠ أكرم ص ٤٦

وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلُص الى رسول الله ﷺ، وضرب بالحجارة حتى وقع لجنبه فكسرت رباعيته[1] اليمنى السفلى ، وجرحت شفته ، وشج في جبهته ، ودخلت حلقتان من حلق المغفر[2] في وجنته، وأشيع أنه قتل . وتفرق عنه أصحابه ، فدخل بعضهم المدينة ، وانطلق طائفة منهم فوق الجبل . وقال بعضهم : ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان . يا قوم ! إن محمداً قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

فقال أنس بن النضر : يا قوم ! إن كان محمد قد قتل ، فإن رب محمد لم يقتل . فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ﷺ . اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء . ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل.

وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس : إليَّ عباد الله . فقام دونه سبعة من الأنصار ، فقاتلوا حتى قتلوا واحداً واحداً . ثم اجتمع إليه عدد من المسلمين . وحماه طلحة ، فرُمي بسهم في يده ، فشلت . وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه ، يقع النبل في ظهره ، وهو منحنٍ عليه . ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ . قال سعد نثل[3] لي النبي ﷺ كنانته[4] يوم أحد فقال : ارمِ فداك أبي وأمي[5] .

---

(1) الرباعية : السن المجاورة للناب . والثنية هي السن الأمامية .
(2) المغفر : زرد يوضع على الرأس .
(3) نفض .
(4) الكنانة : جعبة السهام ، وتكون غالباً من جلد .
(5) رواه البخاري (٤٠٥٥) ومسلم (٢٤١٢) .

ثم نهض رسول الله ﷺ بمن معه نحو الشِّعب ، وأدركه أُبي بن خلف وهو يقول : أي محمد ! لا نجوتُ إن نجوت ، فلما دنا تناول رسول الله ﷺ حربة فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه ، وكان قد حلف أن يقتل محمداً ، فقال ﷺ أنا أقتله إن شاء الله ، فاحتمله قومه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا له : ليس بك جراحة ، فما يزعجك ؟ فقال : أليس قال : أنا أقتله ، فلو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين ، ثم مات في الطريق اثناء رجوعه .

وبينما كان رسول الله ﷺ في الشِّعب ، ومعه أولئك النفر من أصحابه، اذ صعد رجال من قريش الجبل ، فقال : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

ونزع أبو عبيدة بن الجراح احدى حلقتي المغفر من وجنة رسول الله ﷺ بفيه ، لأنه كره تناولها بيده حتى لا يؤذيه ، فوقعت ثنيته مع الحلقة ، ثم نزع الحلقة الثانية ، فوقعت ثنيته الأخرى ، ولم يدع غيره ينزعها .

ثم جاء علي بماء الى رسول الله ﷺ ليغسل الدم عن وجهه ، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسله ، وعلي يسكب الماء . فلما رأت أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها والصقتها فاستمسك الدم[1] .

وقاتلت أم عُمارة نُسَيبة بنت كعب المازنية دون رسول الله ﷺ ، فكانت تذب عنه بالسيف ، وترمي عن القوس . وكانت عائشة أم المؤمنين ، وأم سُليم تنقُزان[2] قِرَب الماء على متونهما ، وتفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانه[3] .

---

(١) رواه البخاري عن سهل بن سعد (٤٠٧٥) .

(٢) تنقلان .

(٣) رواه البخاري (٢٨٨٠ ـ ٤٠٦٤) ومسلم (١٨١١) عن أنس .

أما نساء المشركين ! فقد قامت فيهن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان ، وأخذت الدفوف يضربن بها خلف الرجال ، ويحرضنهم في بداية المعركة • فلما انهزم المشركون هربن مشمرات عن سوقهن حتى بدت خلاخلهن، ثم لما كانت الغلبة لهم وقعت هند والنسوة اللائي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ ، يجدعن الآذان والأنوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً[1] وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً لأنه قتل حمزة • وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها •

وثبت رسول الله ﷺ بمن معه في وجه المشركين • وأنزل الله عليهم الأمن ، وغشاهم النعاس ، حتى اطمأنت قلوبهم • وانتهت المعركة •

---

(١) خلاخيل •

معركة أحد ـ ٢ ـ

١
الشمال
عكرمة
عينين
خالد
معسكر

٢
خالد
عينين

٣
خالد
وعكرمه
عينين

٤
عينين

منقولة من كتاب سيف الله خالد بن الوليد ص ٥٣

وقبل أن ينصرف أبو سفيان أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال • إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ، اعلُ هبل[1] •

فقال رسول الله ﷺ : قم يا عمر فأجبه ، فقــل : الله أعلى وأجــل • لا سواء قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار •

فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ! أقتلنا محمداً ؟

قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن •

قال : أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر •

ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مثل ، والله ما رضيت وما سخطت ، وما نهيت وما أمرت •

ولما انصرف أبو سفيان نادى : إن موعدكم بدر للعام المقبل •

فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هو بيننا وبينكم موعــد •

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال : اخرج في آثار القوم ، فانظر مــاذا يصنعون وما يريدون • فإن كانوا قد جنبوا الخيــل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة • وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فانهم يريدون المدينة • والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم •

قال علي : فخرجت في أثرهم أنظر مــاذا يصنعون • فجنبوا الخيــل ، وامتطوا الابل ، ووجّهوا الى مكة •

---

(١) أي أظهر دينك • وهبل صنم كان بباب الكعبة • قال ابن اسحق : « وكانت قريش قد اتخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل » • وكان أعظم أصنام العرب التي في جوف الكعبة وحولها •

(السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص ٨٢)

وفرغ الناس لقتلاهم . فقال رسول الله ﷺ من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ! فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق . فقال له : إن رسول الله أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات. فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام ، وقل له : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص الى نبيكم ﷺ وفيكم عين تطرف . ثم لم يبرح حتى مات .

وخرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة ، فوجده قد بقر بطنه ، وجدع أنفه وأذناه . فقال : لولا أن تحزن صفية ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير . ولئن ظفرت بقريش لأمثلن بسبعين رجلا منهم .

فأنزل الله عز وجل :

« وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

(سورة النحل ١٢٦)

فقال ﷺ : بل نصبر يا رب .

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر الى حمزة فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : القها فارجعها لا ترما بأخيها . فقال لها : يا أمه ! إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي .

قالت : ولمَ ؟ وقد بلغني أنه مثل بأخي ،وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله .

وأخبر الزبير رسول الله ﷺ بذلك فقال : خلِّ سبيلها .

فأتته فنظرت إليه واسترجعت واستغفرت له •

ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن • وأمر بدفن القتلى حيث صرعوا • وكان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد • ولم يغسلوا بل دفنوا بدمائهم وثيابهم •

وكان عـدد القتلى سبعين ، منهم ستة من المهاجرين ، وسائرهم من الأنصار •

وكانت الغزوة يوم السبت للنصف من شوال سنة ٣هـ [1] •

ثم رجع رسول الله ﷺ الى المدينة ، فمر بامرأة من بني دينار وقـد أصيب زوجها وأخوها وأبوها ، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين • قالت : أروني حتى أنظر إليه • فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل[2] •

ومر رسول الله ﷺ بدار بني عبد الأشهل ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عيناه ثم قال : « لكن حمزة لا بواكي له » •

فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير الى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ •

ولما سمع بكاءهن خرج عليهن ، وهن على باب مسجده يبكين فقال : « ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتن بأنفسكن[3] » •

---

(١) وقيل لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال ، وقيل في السابع من شوال الموافق ٢٢ آذار ٦٢٥ م •

(٢) تريد صغيرة •

(٣) تهذيب السيرة ج١ ص ١٦٧ ــ ١٨٢ ، المغازي للواقدي ج١ ص ١٩٩ــ٣٣٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ١٨ ــ ٩٦ ، السيرة الحلبية ج٢ ص ٢١٦ ــ ٢٥٦ ، السيرة النبوية لأحمد دحلان ج٢ ص ١٩ ــ ٦٣

وأنزل الله في خروج الرسول صلى الله عليه وسلم الى أحد قولـــه :

« وإذ غدوت مـــن أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتـــال والله سميع عليم » ٠

(سورة آل عمران ١٢١)

ولما كسرت رباعية رسول الله ﷺ ، وسال الدم على وجهه قال :

« كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم ، وهو يدعوهم الى ربهم ؟»

فأنزل الله تعالى :

« ليس لك من الأمر شـــيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون[1] » ٠

(سورة آل عمران ١٢٨)

وأنزل في مواساة المسلمين وتخفيف مصابهم :

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتـــم مؤمنين ٠ إن يمسسكم قَـرْح[2] فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين » ٠

(سورة آل عمران ١٣٩ ــ ١٤٠)

وأنزل في بيـــان سبب ما أصابهم من ترك الرماة أماكنهم لجمع الغنائم ، وفي تصوير وقائع المعركة ومشاعر الناس وأقوالهم :

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب ٦٤ باب ٢١ ومسلم وأحمد عن أنس ٠

(٢) جراح وقتل ٠

« ولقـد صدقكم الله وعـده إذ تحسُّونهم[1] باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم[2] ولقـد عفاعنكم والله ذو فضل على المؤمنـين • إذ تُصْعِدُون[3] ولا تلوُون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم[4] غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم[5] ولا ما أصابكم[6] والله خبير بما تعملون• ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غـير الحق ظن الجاهليـة يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إنّ الأمر كلـه لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهُنا قـل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتـل الى مضاجعهم وليبتلي الله مـا في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم[7] والله عليم بذات الصدور • إنالذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم[8] الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم » •

(سورة آل عمران ١٥٢ ـ ١٥٥)

---

(١) تقتلونهم •
(٢) ليمتحن صبركم على المصائب •
(٣) تذهبون •
(٤) أي فجازاكم الله •
(٥) من الغنيمة •
(٦) من الجراح والقتل •
(٧) ليختبركم •
(٨) طلب منهم الزلل •

الدروس والعبر :

دلت هذه الغزوة على قدرة الرسول ﷺ العسكرية ؛ إذ مكن المسلمين من الانتصار على عدوهم الذي يزيد عن أربعة أمثالهم ، بحسن اختياره لمكان التمركز ولساحة المعركة ، وبجعل الرماة على ظهر التل ، واسناد تلك المهمة إليهم . وحين ترك الرماة أماكنهم ، وأحاط المشركون بالمسلمين ، وتولّى كثير منهم ، أدى ثبات الرسول ﷺ وتجميعه لمن تبقى من صحابته، ومنعه المشركين من أن يعلوهم ، الى الصمود في وجه المشركين ، مما جعلهم يوقفون القتال ، والمسلمون يشعرون بعزة من الله وأمنه رغم ماأصاب رسول الله ﷺ وماأصابهم .

كما دلت على رفق رسول الله ﷺ بصحابته ؛ إذ رد الشباب الذين لم يبلغوا خمس عشرة سنة رغم اندفاعهم للقتال ، ودلت على عفوه عن المسيء ؛ إذ منع قتل الأعمى الذي قام يحثو التراب في وجهه لما سلك حائطه ، وعلى مبلغ شفقته كما يظهر من حزنه لما أصاب عمه .

ودلت أيضاً على فضل صحابة رسول الله ﷺ وبسالتهم ، فما إن سمعوا النداء الى الجهاد حتى أقبلوا شباباً وشيباً ، أصحاء ومعذورين ، كعمرو بن الجموح الذي كان شديد العرج، وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول الله ﷺ . فلما أراد أن يتوجه الى أحد قال له بنوه : إن الله قد جعل لك رخصة ، فلو قعدت ونحن نكفيك ، وقد وضع الله عنك الجهاد ! فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن بني هؤلاء يمنعوني أن أخرج معك . ووالله إني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة . فقال رسول الله ﷺ أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد . وقال لبنيه : وما عليكم أن تدعوه ، لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة . فخرج الى أحد فقتل . وكان أحدهم في الرمق الأخير من حياته وهو يدعو لرسول الله ﷺ ويوصي قومه به كسعد بن الربيع رضي الله عنه .

حتى المرأة دافعت عن رسول الله ﷺ ، وسرت برجوعه سالماً ، ولم يمنعها خبر قتل زوجها وأبيها وأخيها من السؤال عنه .

وقد أدت هذه الغزوة الى فضح المنافقين الذين أظهروا الإسلام بعد انتصار المسلمين في بدر . فلما ذهبوا الى أحد ، جبنوا عن ملاقاة العدو ، ورجعوا من منتصف الطريق ، وحين علموا بنتيجة المعركة رفعوا رؤوسهم ، وعلت أصواتهم ، وهم يشككون في رسالة محمد ﷺ ، ويلومون الذين قتلوا وهم يجاهدون في سبيل الله ، ويقولون : لو أطاعونا ما أصابهم شيء وما قتلوا .

ولهذا نزلت الآيات تحذر من أقوالهم ، وتبين أن الحياة والموت بيد الله وأن الموت في سبيل الله خير من كل شيء :

« ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم إذا ضربوا في الأرض[1] أو كانوا غُزّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتِلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير . ولئن قُتلتم في سبيل الله أو مُتم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » .

(سورة آل عمران ١٥٦ ـ ١٥٧)

وبذلك تميز المسلمون من المنافقين، ولولا تلك المحنة ما عرف المسلمون عدوهم الذي يساكنهم في دارهم :

« وما أصابكم يومَ التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا

---

(١) سافروا فيها .

قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم[1] هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون • الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قُتلوا قل فادرؤا[2] عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين » •

(سورة آل عمران ١٦٦ ــ ١٦٨)

كما عرّفت تلك الغزوة المسلمين بسوء عاقبة المعصية والتنازع والحرص على حطام الدنيا ؛ فما إن ترك الرماة أماكنهم ، وعصوا أمر رسول الله ﷺ حتى مال ميزان القوى لصالح عدوهم • قال تعالى :

« أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها[3] قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم[4] إن الله على كل شيء قدير » •

(سورة آل عمران ١٦٥)

ولقد وعى المسلمون ذلك الدرس القاسي جيداً ، فكانوا بعد ذلك أشد حذراً وتحرزاً من أسباب الخذلان •

وكانت تلك الغزوة مقدمة وارهاصاً لموت رسول الله ﷺ ؛ دلت على أنه من واجب المسلمين أن يتمسكوا بدينه بعده ، ولا يرتدوا عنه[5] • وعلى هذا يدل قوله تعالى :

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللهَ شيئاً وسيجزي اللهُ الشاكرين » • (سورة آل عمران ١٤٤)

---

(١) يعني بذلك عبد الله بن أبي ابن سلول والذين رجعوا معه من منتصف الطريق

(٢) فادفعوا •

(٣) يعني يوم بدر •

(٤) بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين ترك الرماة أماكنهم •

(٥) زاد المعاد ــ ابن قيم الجوزية ج٢ ص : ٩١ ــ ١٠٨ •

٣٧ ـ الوقائع بين أحـد والخندق

12 ـ غزوة حمراء الأسد :

لما كان الغد من غزوة أحد ، أي يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ، وألا يخرجن أحد إلا من حضر القتال بالأمس • فاستجابوا لذلك مع ما بهم من البلاء • وأذن رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على اخواتـه •

وسبب هذه الغزوة أنه قدم رجل من مكة على رسول الله ﷺ ، فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ، ويقول بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً ، أصبتم شوكة القوم وحدّهم ، ثم تركتموهم ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم • فخرج ﷺ مرهباً للعدو ، ليظنوا بالمسلمين قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم •

وسار رسول الله ﷺ حتى انتهى الى حمراء الأسد ، وهي من المدينـة على ثمانية أميال ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ومر به مَعبَد بن أبي معبد الخزاعي فقال : يا محمد ! أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم • ثم خرج من عند رسول الله ﷺ حتى لقي أبـا سفيان ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة الى المسلمين • فلما رآه قال : ما وراءك يا معبد ؟

قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أرَ مثله ، يتحرقون

عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق[1] عليكم شيء لم أرَ مثله قط .

قال : ويحك ما تقول ؟

قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل .

قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل شأفتهم .

قال : فلا تفعل ، فإني لك ناصح . فرجعوا على أعقابكم الى مكة .

ومر بأبي سفيان ركب من عبد القيس قال: أين تريدون؟ قالوا: المدينة.

قال : فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمّل لكم إبلكم هذه زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم .

قال : فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم.

فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان .

فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وأخذ رسول الله ﷺ في وجهه ذلك قبل رجوعه الى المدينة أبا عـزة الجمحي ، وكان قد أسره ببدر ، ثم مَنّ عليه . فلما أسر قال : يا محمد ؟ امنن علي لبناتي ، وأعاهدك ألا أقاتلك . فقال له : لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين . ثم أمر بضرب عنقه[2] .

---

(١) الغيظ .

(٢) تهذيب السيرة ج١ ص ١٨٣ ـ ١٨٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٩٧ ـ ١٠٢ ، زاد المعاد لابن القيم ج٢ ص ١٠٨ .

وأنزل الله في هذه الغزوة قوله :

« الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القَرْح[1] للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم · الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل · فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » ·

(سورة آل عمران ١٧٢ ـ ١٧٤)

وإن خروج المسلمين الى الغزوة مع ما بهم من الجراح والآلام ، وتلقيهم نبأ عودة المشركين للقضاء عليهم ، بالثبات والاعتماد على الله · ونكوص المشركين على كثرتهم رغم أنهم لم يصابوا بمثل ما أصيب به المسلمون في أحد، لدليل واضح على أثر الإيمان في الجرأة والشجاعة ·

(١) الجراح ·

٧ ـ سرية أبي سلمة :

في المحرم من السنة الرابعة بلغ رسول الله ﷺ أن طليحة وسلمة ابنا خويلد الأسدي يدعوان قومهما لحربه . فأرسل إليهم أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي في مائة وخمسين رجلا ، وقال له : سر حتى تأتي أرض بني أسد فأغر عليهم .

فلما انتهوا الى أرضهم[1] تفرقوا ، وتركوا إبلاً وغنماً كثيرة . فساقها المسلمون ، وأسروا منهم ثلاثة ، ورجعوا الى المدينة .

وكان أبو سلمة قد جرح في أحد ، ومكث شهراً يداوي جرحه حتى برأ . فلما عاد من هذه السرية انتقض به جرحه . ومات في جمادى الأولى من ذلك العام[2] .

٨ ـ سرية عبد الله بن أنيس :

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري الى سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي لخمس خلون من المحرم سنة ٤ هـ . لما بلغه أنه يجمع الناس ليغزوه . فقتله بعرنة[3] .

٩ ـ يوم الرجيع :

قدم على رسول الله ﷺ رهط من عضل والقارة فقالوا : يا رسول الله ! إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يقرئوننا القرآن ويعلموننا

---

(١) كانوا مقيمين عند ماء يقال له قطن بنجد شرقي المدينة .
(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ١٢١ ـ ١٢٢ .
(٣) موضع قريب من عرفة . انظر سيرة ابن هشام ج٢ ص ٦١٩ ، السيرة النبوية لأحمد دحلان ج٢ ص ٦٨ ـ ٧٠ .

شرائع الإسلام . فبعث معهم عشرة من أصحابه في صفر سنة أربع ، وأمرهم بأن يأتوه بخبر قريش .

فانطلقوا حتى إذا كانوا على الرجيع[1] غدر بهم الرهط ، واستصرخوا عليهم بني لحيان من هذيل ، فأحاطوا بهم فيما يقرب من مائة رجل . فأخذ الصحابة أسيافهم ليقاتلوهم . فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .

فلم يقبل عاصم بن ثابت ومرثد بن أبي مرثد وخالد بن البكير وأربعة آخرون عهدهم ، وقاتلوا حتى قتلوا . ونزل خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق على عهدهم . فأسروهم ثم خرجوا بهم الى مكة . ثم انتزع عبد الله بن طارق يده من الوثاق ، وأخذ سيفه واستأخر عن القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه . وقدموا مكة بخبيب وزيد فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، فقتلا .

وقال أبو سفيان لزيد حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ! أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك تضرب عنقه ، وأنك في أهلك ؟ .

فقال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي . فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً !

ونقل مثل ذلك عن خبيب رضي الله عنه[2] .

---

(١) ماء لهذيل بين عسفان ومكة .

(٢) تهذيب السيرة ج١ ص ١٨٦ ـ ١٨٩ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ١٢٣ ـ ١٣١ ، السيرة الحلبية ج٢ ص ١٦٥ ـ ١٧١ ، السيرة النبوية لأحمد دحلان ج٢ ص ٧٠ ـ ٧٥ ، نور اليقين ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

١٠ ـ سرية بئر معونة :

قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر على رسول الله ﷺ بالمدينة ، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه . فلم يسلم ولم يَبْعُد من الإسلام ، وقال : يا محمد ! لو بعثت رجالاً من أصحابك الى أهل نجد ، فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال ﷺ إني أخشى عليهم أهل نجد . فقال أبو براء : أنا جار لهم .

فبعث المنذر بن عمرو في رجال من خيار المسلمين[١] في صفر سنة أربع . وساروا حتى نزلوا بئر معونة ، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ الى عامر بن الطفيل . فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا عليه فقتله . ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فأبوا أن يجيبوه ، وقالوا : لن نخفر[٢] أبا براء . فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليم ؛ فخرجوا حتى أحاطوا بهم في رحالهم . فلما رآهم المسلمون أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوا حتى قتلوا جميعاً إلا كعب بن زيد فإنه ارتُث من بين القتلى[٣] . فعاش حتى قتل يوم الخندق .

وكان في سرح المسلمين عمرو بن أمية الضمري فأسر ، ثم اعتقه عامر بن الطفيل عن رقبة كانت على أمه . وأقبل عمرو حتى إذا جلس في ظل بالقرقرة جاء رجلان فنزلا فيه . فسألهما ممن أنتما ؟ فقالا من بني عامر . فأمهلهما حتى ناما

---

(١) قال الشيخان : « فبعث اليهم سبعين رجلا يقال لهم القراء » [خ (٤٠٨٨ ، ٤٠٩٠) ، م ١٤٧ ـ (٦٧٧)] وقال ابن اسحق : « كانوا أربعين » . ويجمع بين القولين بأن الأربعين كانوا متبوعين والبقية اتباعاً .

(٢) لن ننقض عهده .

(٣) ارتُث : حمل من المعركة ، وبه بقية حياة .

فقتلهما ، وهو يرى أنه أصاب بهما ثأراً من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ . وكان معهما عَقْد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به .

فلما قدم على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر قال : « لقد قتلت قتيلين لأدينّهما ». ثم قال : « هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً[4] ».

---

(٤) تهذيب السيرة ج١ ص ١٩٢ ـ ١٩٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ١٣٩ ـ ١٤٣ .

13 ـ غـزوة بنـي النضير :

خرج رسول الله ﷺ الى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية.وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف، وكانت منازلهم خارج المدينة على أميال منها الى الشرق من قباء . فلما أتاهم قالوا : نعم يا أبا القاسم ! نعينك على ما أحببت .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حالـه هذه ، وكان ﷺ قاعداً الى جنب جدار من بيوتهم ؛ فمن يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك أحدهم .

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء ، فقام ورجع الى المدينة . وأقبل أصحابه إليه ، فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به . وأمر بالتوجه إليهم، ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم.وذلك في ربيع الأول من السنة الرابعة.

وبعث إليهم عبدُ الله بن أبي وأهل النفاق يثبتونهم ويعدونهم النصر ؛ فقويت نفوسهم ، وتحصنوا في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها[١] فقذف الله في قلوبهم الرعب ، ولم يأت المنافقون لنصرتهم ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة[٢] . ففعل . ودام حصارهم ست ليال[٣] .

---

(١) رواه مسلم عن عبد الله بن عمر (١٧٤٦) .

(٢) الدروع والسلاح .

(٣) هـذا ما ذكره ابن اسحق . وقـال الواقدي حاصرهم خمس عشرة ليلـة . (المغازي ج١ ص ٣٧٤) .

فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف[1] بابه ، فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به . واحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل . وخرجوا الى خيبر . ومنهم من سار الى الشام .

وقسم رسول الله ﷺ نخلهم ومزارعهم على المهاجرين الأولين وفقيرين[2] من الأنصار[3] . وأبقى لنفسه قسماً . فكان ينفق على أهله نفقة سنة[4] . وما بقي يجعله في الكراع[5] والسلاح عدة في سبيل الله[6] .

وأنزل الله فيهم سورة الحشر ، وهي تذكر خروجهم بعد حصار المسلمين لهم :

« هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرُّعب يُخْرِبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار » .

(سورة الحشر ٢)

وتذكر مشروعية قطع نخيلهم :

---

(١) النجاف : اسكفة الباب .

(٢) هما سهل بن حنيف ، وأبو دجانة سماك بن خرشة .

(٣) تهذيب السيرة ج١ ص ١٩٤ ــ ١٩٧ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ١٤٥ ــ ١٥٤ ، المغازي للواقدي ج١ ص ٣٦٣ ــ ٣٨٣ .

(٤) أي يعزل لهم نفقة سنة .

(٥) أي الدواب التي تصلح للحرب .

(٦) رواه مسلم عن عمر (١٧٥٧) وأبو داود (٣٠٠٤) .

« ما قطعتم من لِينَة[1] أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين » ٠

(سورة الحشر ٥)

ثم تذكر وعد المنافقين بنصرهم وجبنهم :

« ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لَئِن أُخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ٠ لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولُنَّ الأدبار ثم لا يُنصرون ٠ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ٠ لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصَّنة أو من وراء جُدُر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » ٠

(سورة الحشر ١١ ــ ١٤)

وتذكّر بما أصاب بني قينقاع من قبلهم :

« كَمَثَلِ الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم » ٠

(سورة الحشر ١٥)

---

(١) جيد التمر ٠

14 — غزوة بدر الآخرة :

خرج رسول الله ﷺ بألف وخمسمائة من أصحابه في شعبان[1] سنة أربع لميعاد أبي سفيان ، ونزل على بدر ينتظر المشركين .

وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مَجَنَّة من ناحية الظهران ؛ ثم بدا له الرجوع ، فقال : يا معشر قريش ! إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن . وإن عامكم هذا جدب . وإني راجع فارجعوا .

وأقام رسول الله ﷺ ثماني ليالٍ ، ثم رجع ولم يلق كيداً[2] .

---

(١) وقيل في شوال .

(٢) تهذيب السيرة ج١ ص ٢٠٠ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ١٦٩ــ١٧٢ ، السيرة الحلبية ج٢ ص ٢٧٥ ــ ٢٧٧ .

زواج رسول الله ﷺ وحجاب نسائه :

تزوج رسول الله ﷺ في رمضان من السنة الرابعة زينب بنت خزيمة الهلالية[1] . وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث ، فطلقها . ثم تزوجها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب ، فقتل يوم بدر . وقيل : كانت تحت عبد الله بن جحش ، فقتل عنها يوم أحد[2] .

وهي التي يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وإحسانها إليهم . وقد ماتت في حياة رسول الله ﷺ وقيل : لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضي الله عنها . وكان عمرها ثلاثين سنة أو نحوها .

وفي شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة ، هند بنت أبي أمية بن المغيرة . وكان عمرها ثلاثين سنة ، ولها أربعة أولاد من زوجها أبي سلمة .

وتزوج زينب بنت جحش الأسدية في ذي القعدة[3] ، وهي بنت عمته

---

(١) ذكر الامام علي بن برهان الحلبي ان زواجها كان في رمضان من السنة الثالثة بعد أن قتل زوجها عبيدة بن الحارث يوم بدر . (السيرة الحلبية ج٢ ص ٢١٣ ، ج٣ ص ٣١٩) .

(٢) قال صاحب المواهب اللدنية : وهو أصح (شرح الزرقاني على المواهب ج٣ ص ٢٤٩) وذكر ابن هشام أنها كانت عند عبيدة ، وقبله عند جهم بن عمرو (ق٢ ص ٦٤٧) .

(٣) قال قتادة والواقدي : تزوجها سنة خمس ، زاد بعضهم : في ذي القعدة .
وقال البيهقي : تزوجها بعد بني قريظة .
وقا لخليفة بن خياط وابو عبيدة وابن منده : تزوجها سنة ثلاث .
وقال آخرون : في ذي القعدة سنة أربع ، وصححه الدمياطي والحلبي . وهذا ما اعتمدناه ، لأن نساء النبي ﷺ أمرن بالحجاب حين الزواج منها . وكان الحجاب في ذي القعدة سنة أربع عند جماعة .

أميمة بنت عبد المطلب . وكان اسمها بَرَّة ، فسماها النبي ﷺ زينب ،وكانت بنت خمس وثلاثين سنة .

وكان ﷺ قد زوجها بمولاه زيد بن حارثة ، فمكثت عنده قريباً من سنة، ثم وقع بينهما نزاع، فجاء زيد يشكوها الى رسول الله ﷺ فقال له : « اتقِ الله وأمسك عليك زوجك » وكان قد علم أنها ستكون من أزواجه ، فأخفى ذلك خشية قول الناس : تزوج محمد امرأة ابنه .

ثم طلقها زيد ، وأُمر رسول الله ﷺ بالزواج منها لابطال التبني وآثاره التي كانت شائعة بين العرب ، إذ كان يحرمون زوجة المتبنى ، فجاء الإسلام بحلها . وليس أنسب من رسول الله ﷺ ليكون قدوة للمسلمين في امتثال هذا الحكم الغريب عليهم . بالإضافة الى ما في هذا الزواج من التكريم لزينب بعد أن وجدت غضاضة في زواجها ممن هو أدنى منها نسباً وشرفاً .

وكلف رسول الله ﷺ زيد بن حارثة بالذهاب الى زينب ليخطبها له ، ليكون ذلك دليلاً على أنه لم يبقَ في قلبه أي ميل نحوها . وما إن ذهب إليها حتى نزل جبريل بتزويجها :

عن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال : « لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد : اذهب فاذكرها عليَّ . فانطلق وهي تخمر عجينها .

قال : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها ، أن رسول الله ﷺ ذكرها . فوليتها ظهري ، ونكصت على عقبي وقلت : يا زينب! أبشري : أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك .

قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي عز وجل . ثم قامت الى مسجدها . ونزل القرآن . وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن[1] » .

والآيات التي تبين زواج الرسول ﷺ من زينب ، وبطلان تبنيه لزيد هي :

---

(١) رواه مسلم ٨٩ ــ (١٤٢٨) والنسائي وأحمد . ومعنى أؤامر : أشاور

« وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه[1] أمسك عليك زوجك واتق ِ الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه[2] وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وَطَراً[3] زوجناكها لكي لايكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا • ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خَلَوا من قبل وكان أمر الله قَدَراً مقدوراً • الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً • ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسولَ الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً » •

(سورة الأحزاب ٣٧ ـ ٤٠)

وإن في تبليغ رسول الله ﷺ هذه الآيــة التي وصفت شعوره بالحرج والخشية من قول الناس لأقوى دليل على أنه بلغ كل ما أمر به • كما إن في هذا الزواج لشرفاً لزينب ، حق لها أن تفخر به :

عن أنس قال : جاء زيد بن حارثة يشكو (زينب) • فجعل النبي ﷺ يقول : اتق الله ، وأمسك عليك زوجك •

قال أنس : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه •

قال : فكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ ، تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات[4] •

---

(١) المنعم عليه ها هنا زيد بن حارثة ، أنعم الله عليه بالاسلام ، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق والتزويج بابنة عمته •

(٢) الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو اخبار الله إياه أنها ستصير زوجته •

(٣) الوطر :: الحاجة والأرب •

(٤) رواه البخاري (٧٢٤٠) وأحمد والبيهقي •

وحين بناء الرسول ﷺ بزينب أنزل الله آية الحجاب :

عن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال : (لمــا تزوج رسول الله ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا ، ثم جلسوا يتحدثون . وإذا هو يتأهب للقيام، فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام . فلما قام قام من قام ، وقعــد ثلاثة نفر . فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس . ثم إنهم قاموا ، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل ، فألقى الحجاب بيني وبينه . فأنزل الله :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يُؤْذَنَ لكم الى طعام غير ناظرين إناه(1) ولكن إذا دُعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فَسْئَلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عنــد الله عظيماً (2) ») .

والمقصود بهذا الحجاب ستر الوجه والكفين وسائر البدن صيانة لأمهات المؤمنين(3) .

---

(1) ادراكه .

(2) الآية في سورة الأحزاب : ٥٣ ، والحديث رواه البخاري (٤٩٧١) ومسلم ٨٩ ــ (١٤٢٨) .

(3) السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ١٧٣ ــ ١٧٥ ، ٢٧٧ ــ ٢٨٣ .
فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج٧ ص ٤٣٠ ، ج٨ ص ٤٦٢ ، ٥٢٣ ــ ٥٣٠ شرح الامام الزرقاني على المواهب اللدنيــة للقسطلاني ج ٣ ص ٢٣٨ ــ ٢٤٢ ، ٢٤٥ ــ ٢٥٠ .

15 ـ غزوة دومة الجندل :

ذكر لرسول الله ﷺ أن بدُومة الجندل[1] جمعاً كبيراً ، وأنهم يظلمون من مرّ بهم ، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة . فندب الناس ، فخرج في ألف من المسلمين في ربيع الأول سنة خمس .

فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم بني تميم ؛ فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم ، فأصاب من أصاب ، وهرب من هرب . وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا . فنزل الرسول ﷺ بساحتهم ، فلم يجد فيها أحداً ، فأقام بها أياماً ، وبث السرايا ، فلم يصب منهم أحداً ، ثم رجعوا الى المدينة في العشرين من ربيع الآخر[2] .

16 ـ غزوة بني المُصطَلِق :

اختُلِف في تاريخ هذه الغزوة التي تسمى بغزوة المُرَيْسيع[3] أيضاً :

فقال محمد بن اسحق : « ثم غزا بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست » .

وقال الواقدي : كانت لليلتين من شعبان سنة خمس . وهذا ما رواه الحاكم والبيهقي عن قتادة وعروة ، وقرره ابن القيم ورجحه ابن حجر .

ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك الذي وقع أثناء رجوعهم من هذه الغزوة أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة في أصحاب الإفك . وقد مات ابن معاذ أيام قريظة سنة خمس كما سيأتي إن شاء الله .

---

(١) تقع في منطقة الجوف على مقربة من سكاكا الى الشرق من تبوك . بينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ، زاد المعاد ج٢ ص ١١٢ .

(٣) المريسيع : ماء لخزاعة من ناحية قديد الى الساحل . والمصطلق : لقب جَذيمة ابن سعد من بني خزاعة .

وسبب هذه الغزوة أنه بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ، فخرج عليهم في سبعمائة من أصحابه . وأغار عليهم وهم غارّون[1] ، وأنعامهم تستقي على الماء ، فأوقع بهم[2] .

وكان الحارث قد أرسل عيناً يأتيه بخبر المسلمين ، فظفروا به فقتلوه . فلما انتهى النبي ﷺ صف أصحابه للقتال ، ثم حملوا عليهم حملة واحدة ؛ فقتل منهم عشرة، وانهزموا . ونفل رسول الله ﷺ نساءهم وأبناءهم وأموالهم.

ولما قسم رسول الله ﷺ السبايا وقعت جويرية بنت الحارث سيد القوم في السهم لثابت بن قيس ، فكاتبته على نفسها فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابها . فقال لها : هل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله.

قال : أقضي عنك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله . فتزوجها .

وكانت تحت مسافع بن صفوان ، فقتل في تلك الغزوة . وكانت بنت عشرين سنة . وكان رسول الله ﷺ يقسم لها كما يقسم لنسائه ، وضرب عليها الحجاب[3] .

وعلم الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ، فقالوا : أصهار رسول الله ﷺ ، وأرسلوا ما بأيديهم .

قالت عائشة : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق. فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها . ثم أسلموا بعد ذلك .

وفي تلك الغزوة ازدحم على الماء أجير لعمر بن الخطاب يقال له : جهجاه، وسنان الجهني ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه :

---

(١) غافلون ، أي أخذهم على غرّة .

(٢) رواه الشيخان عن نافع : خ (٢٥٤١) ، م (١٧٣٠) .

(٣) رواه الواقدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ج١ ص ٤١٣) .

يا معشر المهاجرين ؛ فغضب عبد الله بن أبي ابن سلول فقال : أو قد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ! والله ما أعدّنا وجلابيب قريش[1] إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ! أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل • ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ؛ أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم • أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم •

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، وكان غلاماً حدثاً ، فمشى به الى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال مر به عباد بن بشر فليقتله •

فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذّن بالرحيل • فارتحل الناس •

ثم لقي أسيد بن حضير رسول الله ﷺ فحياه وقال : يا رسول ! لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها ؟ فقال له : أوما بلغك ما قال عبد الله بن أبي ؟ قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع الى المدينة أخرج الأعز منها الأذل •

قال : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت • هو والله الذليل ، وأنت العزيز • ثم قال : يا رسول الله ! ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه يرى أنك قد استلبته ملكاً •

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فوقعوا نياماً • وإنما فعل ذلك ليشغلهم عن حديث عبد الله بن أبي •

---

(١) أصل الجلابيب : الأزر الغلاظ ؛ كان المهاجرون يلتحفون بها ، فلقبهم بذلك المشركون من أهل المدينة والمنافقون •

ومشى عبد الله بن أبي الى رسول الله ﷺ فحلف بالله ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به . فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار : يا رسول الله ! عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل !

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين ، وفيها قوله تعالى :

« هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون. يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

(سورة المنافقون ٧ ـ ٨)

فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم وابتسم في وجههوقال: « هذا الذي أوفى لله بأذنه » .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه فقال : يا رسول الله ! إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت لابد فاعلاً فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل رجلا مؤمناً بكافر ، فأدخل النار .

فقال رسول الله ﷺ : بل نترفق به ، ونحسن صحبته ما بقي معنا .

ثم إن عبد الله بن عبد الله بن أبي وقف لأبيه في وادي العقيق ، فقال : قف ، فوالله لا تدخلها حتى تقر أنك الذليل وأن رسول الله العزيز، وحتى يأذن رسول الله ﷺ في ذلك .

فلما جاء رسول الله ﷺ استأذنه ، فأذن له ، فأرسله حتى دخل المدينة .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومههمالذين يعاتبونه ويأخذو ويعنفونه .

فقال رسول الله ﷺ لعمر حين بلغه ذلك من شأنهم : « كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » .

قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري .

وقدم رسول الله ﷺ المدينة هلال رمضان . فكانت غيبته ثمانية وعشرين يوماً[1] .

(1) تهذيب السيرة ج٢ ص ١٥-١٩ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٢٩٧ - ٣٠٣ ، زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ج٢ ص ١١٢ - ١١٣ ، فتح الباري ج٧ ص ٤٣٠ - ٤٣١ ، السيرة الحلبية ج٢ ص ٢٧٨ - ٢٩١ . المغازي للواقدي ج١ ص ٤٠٤ - ٤١٣ ؛ ج٢ ص ٤١٥ - ٤٢٦ .

حديث الافك :

روى البخاري عن الزهري قوله : كان حديث الإفك في غزوة المريسيع.

وهذه قصته اختصرناها من الصحيحين :

قالت عائشة : (كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها . فأقرع بيننا في غزوة غزاها[1] ، فخرج سهمي ، فخرجت معه بعدما أنزل الحجاب[2] ، فأنا أحمل في هودج[3] ، وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل[4] ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت الى الرحل ، فلمست صدري فإذا عقد لي من جَزْع[5] ظَفَارِ[6] قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه[7].

فأقبل الذين يَرحلون[8] لي ، فاحتملوا هودجي ، فرحلوه[9] على بعيري ، وهم يحسبون أني فيه . وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهنّ

---

(١) هي غزوة بني المصطلق كما روى البخاري ، وصرح بذلك محمد بن اسحق في روايته ، وأفلح بن عبد الله عند الطبراني ، وعنده في رواية أبي أويس : « فخرج سهم عائشة في غزوة بني المصطلق من خزاعة » . وعند البزار من حديث أبي هريرة : « فأصابت عائشة القرعة في غزوة بني المصطلق » .

(٢) أي بعد ما نزل الأمر بالحجاب .

(٣) الهودج : محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه ، يوضع على ظهر البعير ، يركب عليه النساء ليكون استر لهن .

(٤) أي رجع من غزوته .

(٥) خرز في سواده بياض كالعروق .

(٦) مدينة في اليمن .

(٧) أي طلبه .

(٨) رحلت البعير : شددت عليه الرحل .

(٩) أي وضعوه .

اللحم ، وإنما يأكلن العُلْقة[1] من الطعام . فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه. وكنت جارية حديثة السن[2]. فبعثوا الجمل وساروا.

فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منزلهم وليس فيه أحد ، فأممت[3] منزلي الذي كنت فيه ، فظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليّ ، فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت .

وكان صفوان بن المعطّل السُّلمي من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني ، وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه[4] حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، والله ما تكلمنا بكلمة . وأناخ راحلته فركبتها . فانطلق يقود بي حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا في نحر الظهيرة[5] .

فهلك من هلك ، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول.

فقدمنا المدينة ، فاشتكيت بها شهراً ، والناس يفيضون[6] في قول أصحاب الإفك . ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض ، إنما يدخل فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت . فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل . فعثرت في مِرْطها[7] فقالت : تعس مسطح . فقلت لها : بئس ما قلت ، أتسبين رجلاً شهد بدراً !

(١) أي القليل .
(٢) كانت في الثالثة عشرة من عمرها .
(٣) قصدت .
(٤) أي بقوله : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .
(٥) أولها ، وقت القائلة وشدة الحر .
(٦) يخوضون .
(٧) المِرط : كساء من صوف ، وقد يكون من غيره .

قالت : يا هَنْتَاه[1] ! ألم تسمعي ما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً على مرضي .

فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم فقال : كيف تيكم؟

فقلت : ائذن لي أن آتي أبويّ . فأذن لي .

فأتيت أبويّ فقلت لأمي : ما يتحدث به الناس ؟

فقالت : يا بنيــة ! هوني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأةٌ قط وضيئة[2] عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها[3] .

قالت : فبت تلك الليلة حتى أصبحت ، لا يرقأ[4] لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي .

فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله .

فقال أسامة : أهلك يا رسول الله ! ولا نعلم والله إلا خيراً .

وقال علي : يا رسول الله ! لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك .

فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال : يا بريرة ! هل رأيت فيها شيئاً يريبك ؟

فقالت : لا والذي بعثك بالحق ، إن رأيت منها امراً أغمصه[5] عليها قط أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن العجين فتأتي الداجن[6] فتأكله .

---

(١) أي هذه .
(٢) أي حسنة جميلة .
(٣) أي القول في عيبها ؛ تعرض بحمنة أخت زينب بنت جحش .
(٤) أي لا ينقطع .
(٥) أعيبــه .
(٦) الشاة التي تألف البيت ولا تخرج الى المرعى .

فقام رسول الله ﷺ من يومه ، فقال وهو على المنبر : من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي ؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً . وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي !

فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله ! والله أنا أعذرك منه ؛ إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

فقام سعد بن عبادة(1) وهو سيد الخزرج فقال:كذبت لَعمرُ الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك .

فقام أسيد بن حضير فقال: والله لنقتلنه،فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

فثار الحيان : الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله على المنبر . فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت .

وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح عند أبواي ، وقد بكيت ليلتين ويوماً حتى أظن أن البكاء فالق كبدي .

فبينا نحن كذلك دخل رسول الله ﷺ علينا ، فسلم ثم جلس ، ولم يجلس عندي من يوم قيل فيَّ ما قيل قبلها . وقد مكث شهراً لا يوحي إليه في شأني بشيء . فتشهد ثم قال : يا عائشة ! فإنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن

(1) قال ابن عبد البر : رواية من روى ان سعد بن عبادة راجع في قصة الإفك سعد بن معاذ ، وهم وخطأ . وإنما راجع سعد بن عبادة أسيد بن حضير كما ذكره ابن اسحق . وهو الصحيح ، فإن سعد بن معاذ مات في منصرفهم من غزوة بن قريظة ، لا يختلفون في ذلك ، فلم يدرك المريسيع ولا حضرها . وقال ابن العربي : اتفق الرواة على أن ذكر ابن معاذ في قصة الافك وهم . وتبعه على ذلك القرطبي . وبذلك قال ابن حزم . (فتح الباري جـ8ص472) ولعل الدافع الى أقوالهم هذه أنهم جعلوا غزوة المريسيع بعد غزوة بني قريظة . ولو أنهم جعلوها قبلها لما بقيت حاجة الى الطعن في الصحيح .

كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه ٠

فقلت لأبي : أجب عني رسول الله ﷺ ٠قال : والله لا أدري ما أقول له٠

فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله ﷺ ٠قالت:والله ما أدري ماأقول له٠

فقلت : إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ، ووقر في أنفسكم[1] ، وصدقتم به ٠ فإن قلت لكم : إني بريئة لا تصدقوني بذلك ٠ ولئن اعترفت لكم بأمر — والله يعلم أني بريئة — لتصدقني ، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال :

« فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » ٠
(سورة يوسف ١٨)

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، وأنا أرجو أن يبرئني الله ٠ ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحياً ، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري ٠ ولكني أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا تبرئني ٠فوالله ما رام[2] مجلسه ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي ، فأخذه ما يأخذه من البُرَحاء[3] حتى إنه ليتحدر[4] منه مثل الجُمان[5] ، وهو في يوم شات ٠ فلما سُرِّيَ[6] عنه وهو يضحك كانت أول كلمة تكلم بها : أبشري يا عائشة ! أما الله فقد برّأك٠

فقالت أمي : قومي إليه ٠

---

(١) ثبت واستقر فيها ٠
(٢) فارق ٠
(٣) شدة الحمى والكرب ٠
(٤) ليتصبب ٠
(٥) الجُمان : اللؤلؤ ، شبهت به قطرات عرقه ٠
(٦) كشف وازيل ٠

فقلت : لا والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله .

فأنزل الله تعالى :

« إن الذين جاؤُ بالافك عُصْبَة[1] منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسبت من الاثم والذي تولّى كِبْرَه منهم له عذاب عظيم . لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين . لولا جاؤُ عليه بأربعة شهداء فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم[2] فيه عذاب عظيم . إذ تَلَقَّوْنه[3] بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . ولولا إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بُهتان عظيم . يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين . ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . إنّ الذين يحبون أن تشيع[4] الفاحشة[5] في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنّ الله رؤوف رحيم . يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خُطُوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته

---

(١) جماعة وهم : عبد الله بن أبي، ومسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش .

(٢) قلتم

(٣) يرويه بعضكم عن بعض .

(٤) تظهر وتفشو .

(٥) الزنى .

ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكّي من يشاء والله سميع عليم » .

(سورة النور ١١ ـ ٢١)

قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال : يا زينب ما علمت ؟ ما رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله ! أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيراً .

قالت : وهي التي كانت تساميني[١] . فعصمها الله بالورع[٢] .

وقد دل هذا الحديث على حكمة الرسول ﷺ ، إذ بقي هادئاً رزيناً ، وقد طعن في أحب الناس إليه . ودل على أنه لا يعلم الغيب :

« قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني مَلك إنْ اتبع إلا ما يُوحى إليّ قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون » .

(سورة الانعام ٥٠)

ودل على أن الوحي لا ينزل على الرسول ﷺ في الوقت الذي يريده ، وإلا لما انتظر شهراً حتى نزلت عليه الآيات .

ودل على فضل الشورى وضرورتها ، وعلى التماس الرأي عند الشباب لشدة ذكائهم وحدة أذهانهم وجرأتهم في قول الحق ؛ اذ استشار الرسول ﷺ أسامة وعلياً في أخص شؤونه .

---

(١) اي تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب .

(٢) رواه البخاري : (٢٦٦١ ، ٤١٤١ ، ٤٧٤٩) ومسلم (٢٧٧٠) وأحمد والنسائي وابو داود والترمذي ، وابو عوانة والطبراني وابن مردويه .

كما دل على فضل عائشة رضي الله عنها ؛ إذ أنزل الله براءتها في قرآن يتلى الى يوم القيامة ، وعلى أدبها نحو رسول الله ﷺ ونحو أبويها ؛ اذ لم تجب رسول الله ﷺ الا بعد أن طلبت منهما اجابته . وعلى فضل أبويها ، كما يظهر في موقفهما المهذب أمام رسول الله ﷺ في تلك الحالة التي تستثير الغيرة والغضب . ولم يصدر منهما كلمة شتم نحو أحـد من الذين رمـوا كريمتهما الشريفة الغالية .

وأدى الى فضـح المنافقين ، وجعـل المسلمين يحذرون من أراجيفهم وشائعاتهم .

ثم إن هذا الحديث علم المسلمين أن يتثبتوا في الأخبار ، وأن يطلبوا الأدلة والشهود على ما ينقل إليهم منها وأن يبحثوا عن الطريق التي توصلهم إلى الحقيقة .

٣٨ ـ 17 ـ غزوة الخندق :

كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة .

وسببها ان نفراً من يهود بني النضير منهم سلاّم بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب قدموا على قريش ، فدعوهم الى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله . ثم جاؤوا غطفان فدعوهم الى حربه ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك .

فخرجت قريش وقائدها أبـو سفيان في أربعـة آلاف ، معهم ثلاثمائة فرس وألف بعير . وخرجت غطفان وقائدها عُيينة بن حِصن في بني فزارة والحارث بن عوف في بني مرة ، ومسعود[١] بـن رُخيلة فيمن تابعـه من أشجع . وعدة الجميع عشرة آلاف محارب ، وقائدهم العام أبو سفيان .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ضرب الخندق على المدينة ، وكان الذي أشار به سلمان الفارسي ، إذ قال للنبي ﷺ :« إنا كنا بفارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا ».وقد حفر شمالي المدينة من الحرّة الشرقية الى الحرة الغربية[٢]، وهي الجهة التي كانت تؤتى المدينـة من قِبَلها . أما بقيـة حدودها فكانت محاطة بالبيوت والنخيل ، فلا يتمكن العدو من اختراقها .

---

(١) سمي « مسعر » في السيرة لابن هشام ج٣ ص ١٢٨ ق٢ ٢١٥ ، وسمي « أبو مسعود » في السيرة الحلبية (ج٢ ص ٣١١) ، وسمي « مسعود » في المغازي للواقدي والسيرة النبوية لأحمد دحلان (ج٢ ص ١٠٣) . وأسد الغابة لابن الأثير .

(٢) كان طوله نحو ٢كم وعرضه ٣م فما فوق ، وعمقه ٥ر٢ ـ ٥ر٣ م .

وقد عمل رسول الله ﷺ والمسلمون في حفر الخندق ؛ وكانوا يحفرون وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون :

نحن الذين بايعوا محمداً　　على الاسلام ما بقينا أبداً

ويقول النبي ﷺ مجيباً لهم : « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة »(1) . وكان ﷺ ينقل التراب حتى اغبرّ بطنه(2) . كما كان يحطم أقسى الصخور التي تستعصي على أصحابه ، ويصبر على الجوع كما يصبر على التعب .

قال جابر رضي الله عنه : « إنا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كيدة(3) شديدة ، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا : هذه كدية(3) عرضَت في الخندق . فقال : أنا نازل . ثم قام وبطنه معصوب بحجر . ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبي ﷺ المِعول فضرب في الكدية ، فعاد كثيباً أهيل(4) .

فقلت : يا رسول الله ! ائذن لي إلى البيت . فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر ، فعندك شيء ؟

فقالت : عندي شعير(5) وعَنَاق(6) . فذبحت العناق ، وطحنتِ الشعير ، حتى جعلنا اللحم بالبُرمة .

---

(1) رواه البخاري (٤١٠٠) ومسلم (١٨٠٤ ، ١٨٠٥) عن أنس .

(2) رواه البخاري (٤١٠٤) ومسلم (١٨٠٣) عن البراء .

(3) الكيدة : القطعة الشديدة الصلبة في الأرض . وفي رواية : « فعرضت كُديه » وهي القطعة الصلبة الصماء .

(4) أي صار رملا يسيل ولا يتماسك .

(5) بين يونس بن بكير في روايته أنه صاع ، نحو ٢ كغ .

(6) الأنثى من ولد المعز .

ثم جئت النبي ﷺ ، والعجين قد انكسر[1] ، والبرمة بين الأثافي[2] قد كادت أن تنضج ، فقلت : طُعيّم لي ، فقم أنت يا رسول الله ، ورجل أو رجلان . قال : كم هو ؟ فذكرت له . فقال : كثير طيب . قال : قل لها : لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي . فقال : قوموا . فقام المهاجرون والأنصار .

فلما دخل على امرأته قال : ويحك ، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم .

فقال : ادخلوا ولا تضاغطوا . فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم، ويخمّر[3] البرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرّب الى أصحابه ثم ينزع . فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا[4] .وبقي بقية . قال : كلي هذا وأهدي ؛ فإن الناس أصابتهم مجاعة »[5] .

ومع شدة الجوع والخوف كان الرسول ﷺ يبشر أصحابه بالنصر والاستخلاف في الأرض .

عن سلمان الفارسي أنه قال : « ضربتُ في ناحية من الخندق فغلظت عليّ صخرة ، ورسول الله ﷺ قريب مني . فلما رآني أضرب ، ورأى شدة المكان علي ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى . فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله !

---

(١) أي اختمر .
(٢) الحجارة التي توضع عليها القدر .
(٣) أي يغطيها .
(٤) في رواية أخرى للبخاري : « وهم ألف » .
(٥) رواه البخاري « ٤١٠١ » ومسلم (٢٠٣٩) والدارمي .

ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟

قال : أما الأولى فإن الله فتح علي باب اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح علي باب الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح علي باب المشرق[1] » .

أما المنافقون فكانوا يبطئون في عملهم ، ويتسللون الى أهليهم بغير إذن رسول الله ﷺ ، بينما كان المسلمون يدأبون ،ولا يستأذن أحدهم إلا لحاجة لا بد له منها ، فإذا قضى حاجته رجع الى عمله . فأنزل الله فيهم وفي المنافقين قولـه :

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم . لا تجعلوا دعـاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لِواذاً[2] فليحذر الذيـن يخالفون عـن أمره أن تصيبهم فتنـة أو يصيبهم عذاب أليم » .

(سورة النور ٦٢ ــ ٦٣)

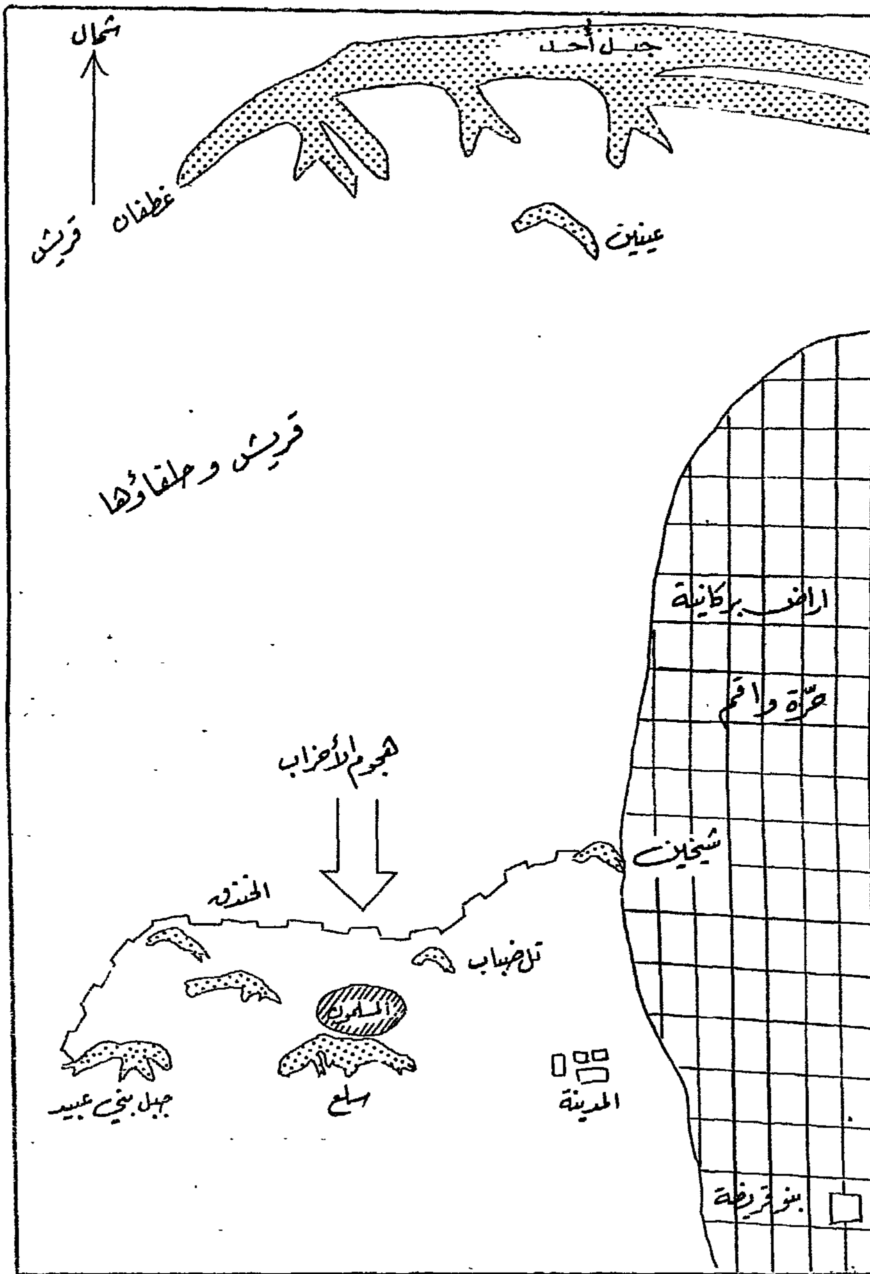
ولما فرغ المسلمون من الخندق أقبل المشركون ، فنزلت قريش بمجتمع الأسيال بين الجرف وزَغابة[3] ، ونزلت غطفان الى جانب أحد .

---

(١) رواه ابن اسحق وموسى بن عقبة والبيهقي .

(٢) اللواذ : الاستتار بالشيء عند الهرب .

(٣) قال الطبري : بين الجرف والغابة . ورجح السهيلي « زغابة » . (الروض الأنف ج٢ ص ١٨٩) .



غــزوة الخنـدق

ماخوذة من كتاب سيف الله خالد بن الوليد ـ الجنرال ا. اكرم ص ٤٦ ، ٨١

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين حتى جعلوا ظهورهم الى سَلْع[1] ، والخندق بينهم وبين عدوهم ، وجعلوا الذراري والنساء في الآطام[2] .

ولم تفت رؤية الأحزاب في عضد المؤمنين ، بل ازدادوا إيماناً وتوكلاً على الله :

« ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما » .

(سورة الأحزاب ٢٢)

وذلك لأنهم كانوا يعلمون أنه لا بد من أن يبتلوا بشدة الخوف والضر حتى يستحقوا النصر ويفوزوا برضوان الله عز وجل :

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزُلزِلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » .

(سورة البقرة ٢١٤)

ثم أتى حُيَيّ بن أخطب كعبَ بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له . فناداه حيي : ويحك يا كعب ! افتح لي .

قال : إنك امرؤ مشؤوم ، وإني قد عاهدت محمداً، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أرَ منه إلا وفاء وصدقاً . فلم يزل يكلمه حتى فتح له ، وأعلمه بمجيء قريش وغطفان للقضاء على المسلمين ، وجعله ينقض العهد مع رسول

---

(١) تل بجانب المدينة ، الى الجنوب من أحد ، يبلغ ارتفاعه نحو ٤٠٠ قدم .

(٢) الحصون .

الله ﷺ ، وقطع لكعب عهداً : لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك .

فلما انتهى الخبر الى المسلمين بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد ابن عبادة ، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوّات بن جبير فقال : انطلقوا حتى تنظروا : أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لحناً أعرفه ، ولا تفتوا في أعضاد الناس . وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ؛ إذ قالوا لهم : مَنْ رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ! ثم أقبلوا الى رسول الله ﷺ فقالوا : عَضَل والقارة[1] فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين ! .

وعند ذلك عظم البلاء واشتد الكرب ؛ إذ أصبح المسلمون محاصرين بين عدوين : المشركون من الخارج في الشمال،واليهود من الجنوب الشرقي[2] وليس بينهم وبين المدينة خندق أو حاجز طبيعي . قال الله تعالى في ذلك :

« إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفلَ منكم[3] وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزُلزِلوا زِلزالا شديداً » .

(سورة الأحزاب ١٠ ــ ١١)

---

(١) أي كغدرهم بأصحاب الرجيع : خبيب وأصحابه .

(٢) على بعد ميلين من المدينة .

(٣) الذين جاؤوا من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاؤوا من أسفل منهم قريش وغطفان . أو إن غطفان جاؤوا من أعلى الوادي من قبل المشرق ، وقريش جاؤوا من أسفل الوادي من قبل المغرب .

وهنالك ذعر المنافقون ، وانتحلوا الأعذار للفرار من ساحة المعركـة ، فقال أحدهم : يا رسول الله ! إن بيوتنا عورة من العدو ــ وذلك عن ملأ من رجال قومه ــ فأذن لنا أن نرجع الى دارنا ، فإنها خارج من المدينة • وقـال آخر : كان محمد يعد أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط ! وقال الله تعالى في ذلك :

« وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غـُروراً • وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُـقامَ لكم فارجعوا ويستأذن فـريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فِـراراً » •

(سورة الأحزاب ١٢ ــ ١٣)

فلما اشتد على الناس البـلاء بعث رسول الله ﷺ الى عيينة بن حصن والحارث بن عوف ، وهما قائدا غطفان ، فعرض عليهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما • فقبلا بذلك ، وكتبوا كتاب الصلح ، ثم استشار سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة في ذلك فقالا : يا رسول الله ! أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟•

قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر ما •

فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ! قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِـرى أو بيعاً• أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهـم •

قال رسول الله ﷺ : أنت وذاك ٠

فتناول سعد الصحيفة ، فمحاها ثم قال : ليجهدوا علينا ٠

ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا : والله إن هــذه لمكيدة ما كانت تكيدها العرب ٠

وأقام النبي ﷺ وأصحابه محاصرين ، ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا الرمي بالنبل ، ثم إن فوارس من قريش منهم : عمرو بن ود وعكرمة بن أبي جهل تلبسوا للقتال ثم أقبلوا تُعنق(١) بهم خيلهم ، وتيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق ، وضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم بين الخندق وسَلْع٠

وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه حتى أخذوا عليهم الثغرة التـي أقحموا منها خيلهم ، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ٠

وقال عمرو : من يبارز ؟ فبرز له علي،وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه٠ وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة ٠

كما إن نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي خرج فسأل المبارزة ، فخرج إليه الزبير بن العوام ، فضربه فشقه نصفين ٠

ثم مر سعد بن معاذ وعليه درع مقلّصة قد خرجت منها ذراعه كلها ٠ فرماه أحد المشركين بسهم فأصاب منه الأكحَل(٢) ٠ فقال سعد : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ٠ وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ، ولا تمتني حتى تُقرّ عيني من بني قريظة ٠

ووجه المشركون نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة ، فقاتلوهم يوماً

---

(١) تسرع ٠

(٢) شريان الذراع ٠

الى الليل ، ولم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا .

عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ جاء يــوم الخندق بعد ما غربت الشمس، جعل يسب كفار قريش. وقال : يا رسول الله! ما كدت أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب. قال النبي ﷺ : والله ماصليتها، فنزلنا مــع النبي ﷺ بُطحان[1] فتوضأنا لها ، فصلى العصر بعــدما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب[2] .

وعن علي ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق :

« ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عــن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس[3] » .

وعن عبد الله بن مسعود أن المشركين شغلوا النبي ﷺ عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ما شاء الله . فأمر بلالاً فأذن ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ثم أقام فصلى المغرب ، ثم أقام فصلى العشاء[4] .

ثم دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال :

« اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب . اللهم اهزمهم وزلزلهم[5] » .

وعن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : قلنا يوم الخندق : يا رسول الله ! هل من شيء نقوله ؟ فقد بلغت القلوب الحناجر ! قال : « نعم ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » .قال : فضرب الله ــ عز وجل ــ وجوه أعدائه بالريح، فهزمهم الله ــ عزوجل ــ بالريح[6] » .

---

(١) واد يمر من جنوب المدينة بالقرب من قباء الى شمالها غربي جبل سلع واحد .
(٢) رواه البخاري (٤١١٢) . (٣) رواه البخاري (٤١١١) .
(٤) رواه أحمد (٣٥٥٥) .
(٥) رواه البخاري (٤١١٥) ومسلم عن عبد الله بن أبي أوفى .
(٦) رواه أحمد (ج٣ ص ٣) وابن أبي حاتم .

ثم أتى نُعيم بن مسعود رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إنـي أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت . فقال رسول الله ﷺ : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت فـإن الحـرب خُدْعـة(١) » .

فأتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة ! عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت ، فلست عندنا بمتهم . فقال لهم : إن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه . وهم ليسوا مثلكم ، فإن رأوا نُهْزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا بلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخـذوا منهم رهناً من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأي .

ثم أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه من رجالهم : قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً ، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقـاً أن أبلغكموه ، فاكتموا عني . قالوا : نفعل . قال : تعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على مافعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم ، فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فـلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

---

(١) قوله ﷺ : « الحرب خُدعة » صحيح متواتر رواه الشيخان من حديث جابر وأبي هريرة وغيرهما . (خ : ٣٠٢٩ ، ٣٠٣٠) .

ثم أتى غطفان فقـال : يا معشر غطفان ! إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إليَّ ، ولا أراكم تتهموني ، قالوا : صدقت ؛ قال : فاكتموا عني ، قالوا نفعل ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش .

وأرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقال لهم : إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر[1]، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً .

فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم سبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ولا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنـا ؛ فإنا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا الى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا الى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا .

فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم لحق . ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم ، فأرسلوا إليهم : إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً ، فأبوا عليهم . وخذل الله بينهم .

وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد[2] ؛ فجعلت تكفأ

---

(١) الخف : الإبل ، والحافر والكُراع : الخيل .

(٢) كان ذلك في ١٨ آذار ٦٢٧ م .

قدورهم ، وتقوض خيامهم ، ودعا رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وقال له : اذهب فادخل في القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا .

قال حذيفة : فذهبت فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ! إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل .

ثم قام الى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث وما أطلق عقاله إلا وهو قائم .

فرجع حذيفة الى رسول الله ﷺ فأخبره .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فرجعوا الى بلادهم بعد حصار دام بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر .

واستشهد من المسلمين في هذه الغزوة ستة، وقتل من المشركين ثلاثة[1].

وأنزل الله يمتن على المؤمنين بهذا النصر قوله :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً»
(سورة الأحزاب ٩)

الى قوله :

(١) تهذيب السيرة ج١ ص ٢٠٢ ـ ٢١٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ١٧٨ ـ ٢٢٢ ، السيرة الحلبية ج٢ ص ٣٠٩ ـ ٣٣١ .

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً » .

(سورة الأحزاب ٢٥)

وقال رسول الله ﷺ في الريح التي أهلكت الأحزاب :

« نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور[١] » .

وبشر المسلمين بأن هذه آخر غزوة تقوم بها قريش ضدهم :

« الآن نغزوهم ولا يغزوننا[٢] » .

---

(١) رواه البخاري (١٠٣٥) ومسلم وأحمد ، عن ابن عباس .

(٢) رواه البخاري (٤١١٠) وأحمد عن سليمان بن صُرَد .

18 ـ غزوة بني قريظة :

لما أصبح الرسول ﷺ من تلك الليلة التي هزم فيها الأحزاب انصرف عن الخندق راجعاً الى المدينة ، ووضع السلاح واغتسل ، فلما كان الظهر أتاه جبريل فقال : « وضعت السلاح : والله ما وضعناه ، اخرج إليهم » . فقال رسول الله ﷺ : فأين ؟ فأشار الى بني قريظة[1] . وقال : « إن الله ـ عز وجل ـ يأمرك بالمسير الى بني قريظة ، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم » . فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس : « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » .

وسار رسول الله ﷺ والمسلمون ، فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيهم ، وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يُرد منا ذلك ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فلم يعنف واحداً منهم[2] .

وذلك لسبع بقين من ذي القعدة ، وكان المسلمون ثلاثة آلاف ،

---

(١) رواه مسلم عن عائشة (١٧٦٩) .

(٢) رواه البخاري (٤١١٧ ، ٤١١٩) ومسلم (١٧٧٠) والبيهقي . إلا أن مسلماً قال : « لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة » . وجمع بين الروايتين بأن الأمر كان بعد دخول وقت الظهر ، وقد صلاها بعضهم ، وبعضهم لم يصلها . فقيل لمن لم يصلها : لا يصلين أحد الظهر ، ولمن صلاها : لا يصلين أحد العصر . أو باحتمال ان تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة ؛ فقيل للطائفة الأولى : الظهر ، وللطائفة التي بعدها : العصر . (شرح الامام محمد عبد الباقي الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ج٢ ص ١٣٠) .

فحاصروهم[1] حتى جهدهم الحصار ، وقذف في قلوبهم الرعب ، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فقالت الأوس : يا رسول الله ! إنهم كانوا موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي اخواننا بالأمس ما قد علمت[2] . فقال لهم : « ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » قالوا : نعم . قال : فذلك الى سعد بن معاذ .

فجيء بسعد ، وكان رسول الله ﷺ قد جعله في خيمة لامرأة من أسلم[3] في مسجده ، حين أصابه السهم بالخندق ، فلما دنا منهم قال رسول الله ﷺ: قوموا الى سيدكم ، فقاموا إليه . ثم قال : إن هؤلاء نزلوا على حكمك ؟ فقال : تقتل مقاتليهم وتسبي ذراريهم ، فقال النبي ﷺ : قضيت بحكم الله ، وربما قال : بحكم المـِلك[4] .

ثم دعا سعد فقال : اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك . فانفجر كَلْمه[5] وكان قد برىء حتى لا يرى منه إلا مثل الخُرْص[6] ، فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضي الله عنه[7] .

ثم خرج رسول الله ﷺ الى سوق المدينة ، فخندق فيها خنادق ، وبعث

---

(١) قال ابن سعد : فحاصروهم خمسة عشر يوماً أشد الحصار ، ورموا بالنبل . وقال ابن اسحق : فحاصروهم خمساً وعشرين ليلة .

(٢) يعنون عفوه عن بني قينيقاع حين كلمه فيهم عبد الله بن أبي .

(٣) يقال لها رُفَيدة ، كانت تداوي الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين .

(٤) رواه البخاري (٤١٢١) ومسلم (١٧٦٨) وأحمد (جـ٣ ص ٢٢) ، عن أبي سعيد الخدري .

(٥) جرحه .

(٦) الحلقة الصغيرة من حلي الأذن .

(٧) رواه البخاري (٤١٢٢) ومسلم (١٦٦٩) وأحمد عن عائشة .

إليهم فضرب أعناقهم فيها ؛ وفيهم عدو الله حُيَي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم ، وكانوا ستمائة الى سبعمائة ، ولـم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ؛ قتلت لأنها طرحت الرَّحى على خلاد بن سويد فقتلته ٠

وفرغ منهم في ذي الحجة سنة خمس[1] ، وقسم أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وبعث سعيد بن زيد بسبايا منهم الى نجد ، فابتاع بها خيلاً وسلاحاً ٠

واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو[2]، وعرض عليها الإسلام فامتنعت ، ثم أسلمت بعد ذلك فسر باسلامها ، وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله! بل تتركني في ملكك ، فهو أخف عليَّ وعليك ، فلم تزل عنده حتى توفي عليه الصلاة والسلام[3] ٠

وأنزل الله ــ سبحانه وتعالى ــ في بني قريظة قوله :

« وأنزل الذين ظاهروهم من أهـل الكتاب من صياصيهم[4] وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقا ٠ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها ٠ وكان الله على كـل شيء قديراً » ٠

(سورة الأحزاب ٢٦ ــ ٢٧)

---

(١) قال ابن سعد : وذلك يوم الخميس لسبع ليال خلون من ذي الحجة٠ (الطبقات الكبرى : ج٢ ص ٥٤) ٠

(٢) وقيل : بنت يزيد من بني النضير ، وكانت عند رجل من بني قريظة يقال له الحكم ٠

(٣) وقيل : ماتت مرجعه من حجة الوداع ، ودفنت بالبقيع ٠ (الواقدي) ٠

(٤) حصونهم ٠

وبذلك تطهرت المدينة من رجس يهود ، وأمن أهلها من غزو المشركين من قريش . وأصبح واضحاً أن من واجب المسلمين حين يكونون مجتمعاً على أساس دينهم ألا يدعوا لليهود وأتباعهم أوكاراً فيه،فإنهم أخطر من كل الآفات، ولا يرقبون في مؤمن إلا[1] ولا ذمة[2] .

١١ ـ مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي :

كان سلاّم بن أبي الحُقَيق تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز ، وكان يقيم في حصن له في أرض خيبر منذ أن أجلي مع بني النضير عن المدينة ، وكان فيمن حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ . فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم . و « بعث رهطاً إليه ، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله[3] » .

وكان الخزرج حريصين على قتله لأن الذين قتلوا كعب بن الأشرف[4] كانوا من الأوس . وكان الأوس والخزرج يتسابقون في صنع ما يسرّ رسول الله ﷺ .

وكان قتله في ذي الحجة سنة خمس[5] .

---

(١) الإلّ : العهد والقرابة .

(٢) تهذيب السيرة ج٢ ص ٣ ـ ١٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٢٢٣ ـ ٢٤٣ ، ج٤ ص ٦٠٥ ـ ٦٠٦ ، الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٥٣ ـ ٥٥ ، السيرة الحلبية ج٢ ص ٣٣١ ـ ٣٤٧ ، فتح الباري ج٧ ص ٤٠٧ ـ ٤١٥ .

(٣) رواه البخاري (٤٠٣٨) عن البراء بن عازب .

(٤) انظر مقتل كعب ص ٥٢٩ .

(٥) سيرة ابن هشام ج٢ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٢٦١ ـ ٢٦٦ ، ٢٨٥ ، فتح الباري ج٧ ص ٣٤٠ ـ ٣٤٥ .

٣٩ ــ الغزوات والسرايا في السنة السادسة

١٢ ــ سرية محمد بن مسلمة الى القرطاء :

بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة الى القرطاء[1] في ثلاثين راكباً لعشر خلون من المحرم سنة ست ، وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار ، وأن يشن عليهم الغارة ، وصادف في طريقه ركباناً من محارب ، فنزل قريباً منهم ، ثم أمهلهم حتى برّكوا الإبل حول الماء ؛ وقتل عشرة منهم ، وهرب سائرهم ، واستاق نعماً وشاء .

ثم شن الغارة على بني بكر ، فقتل منهم عشرة ، وساق النعم والشاء . وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم .

وأخذت تلك السرية ثمامة بن أُثال الحنفي سيد أهل اليمامة ، وهم لا يعرفونه وجيء به الى سول الله ﷺ ، فقال لهم : أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفي فأحسنوا أساره.« فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال : ماذا عندك يا ثمامة ؟

قال : عندي خير يا محمد ! إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت ، فترك حتى كان الغد ، ثم قال له : ما عندك يا ثمامة ؟

فقال : ما قلت لك : إن تنعم تنعم على شاكر . فتركه حتى كان بعد الغد فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندي ما قلت لك . فقال : أطلقوا ثمامة .

فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، يا محمد ! والله ما كان على الأرض

---

(١) وهم بطن من بني بكر ، وكانوا ينزلون بناحية ضَريه على طريق البصرة الى مكة ، بينها وبين المدينة سبع ليال .

وجه أبغض إلي من وجهك : فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي ، والله ماكان من دين أبغض إلي من دينك ؛ فأصبح دينك أحب الدين إلي . والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك ؛ فأصبح بلدك أحب البلاد إلي ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟فبشره رسول الله ﷺ[1] وأمره أن يعتمر.

فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ؟ قال : لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ . ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ[2] .

ثم خرج الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا الى مكة شيئاً . فكتبوا إليه ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم ، وإن ثمامة قد قطع عنا ميرتنا وأضر بنا ، فكتب إليه أن يخلي بينهم وبين الحمل إليهم[3] .

١٣ ـ سرية عكاشة بن محصن :

وفي ربيع الأول سنة ست بعث رسول الله ﷺ عكّاشة بن محصَن في أربعين رجلاً الى بني أسد الذين كانوا يؤذون من يمر بهم من المسلمين ، فهربوا منه ، ونزل على مياههم بالغمر ، وبعث في آثارهم ، وأغار على مائتي بعير ، فاستاقها الى المدينة .

١٤ ـ سرية محمد بن مَسلمة الى ذي القصة :

وفيه بعث محمد بن مَسْلَمة في عشرة من المسلمين الى ذي القَصّة ،

---

(١) أي بخيري الدنيا والآخرة ، أو بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته السابقة .
(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة (٤٣٧٢) .
(٣) سيرة ابن هشام ق٢ ص ٦٣٨ ـ ٦٣٩ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ١٧٤ ـ ١٧٥، السيرة النبوية لأحمد دحلان ج٢ ص ١٣٧ ـ ١٣٩ .

لأن من فيها كانوا يريدون الاغارة على نَعم المسلمين ، فكمن لهم المشركون حتى ناموا ، فأحدقوا بهم ، فوثب المسلمون ، وتراموا ساعة • ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم، ووقع محمد بن مسلمة جريحاً، وظنوا موته ،فجردوهم من ثيابهم وانطلقوا ، ومر به رجل من المسلمين فحمله الى المدينة •

١٥ ـ سرية أبي عبيدة بن الجراح الى ذي القصة :

فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ربيع الآخر ليقتص منهم• فسار في أربعين رجلاً ، فهربوا منه في رؤوس الجبال ، فاستاق نعمهم ورجع•

١٦ ـ سرية زيد بن حارثة الى بني سليم :

وفيه بعث زيد بن حارثة الى بني سليم بالجَمُوم[١] ، فأصابوا امرأة من مزينة ، فدلتهم على منازل بني سليم ؛ فأصابوا منها نعماً وشاء ، وأسروا جماعة منهم، وكان فيهم زوج تلك المرأة، ورجعوا الى المدينة ، فوهب الرسول ﷺ للمرأة نفسها وزوجها وأطلقهما •

١٧ ـ سرية زيد بن حارثة الى بني ثعلبة :

وفي جمادى الآخرة بعث زيد بن حارثة أيضاً الى بني ثعلبة بالطَرِف[٢] في خمسة عشر رجلاً • فهربت منه الأعراب ، فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً، ثم رجع بعد أربع ليال[٣] •

---

(١) ناحية ببطن نخل على أربعة أميال من المدينة •

(٢) ماء على ست وثلاثين ميلا من المدينة بطريق العراق •

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٨ ، السيرة الحلبية ج٣ ص١٧٦ ــ ١٧٨ ، السيرة لأحمد دحلان ج٢ ص ١٤٥ ــ ١٤٨ ، نور اليقين ص ٢٠١ ــ ٢٠٢ •

١٩ — غزوة بني لحيان :

أقام رسول الله ﷺ في المدينة بعد قريظة بضعة أشهر،ثم خرج في جمادى الأولى سنة ست في مائتي رجل ، ومعهم عشرين فرساً الى بني لحيان طالباً بدماء أصحاب الرجيع ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة ، فسلك طريق الشام ، ثم عدل ذات اليسار وأسرع السير حتى نزل بأرضهم في وادي غُرَان بين أمج وعسفان . فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال ثم سار الى عسفان ليرهب أهل مكة ، ثم عاد بأصحابه الى المدينة[١] .

١٨ — سرية ابي عبيدة بن الجراح الى سيف البحر :

وفي رجب بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة قِبَل الساحل ليرصدوا عيراً لقريش[٢]،فأصابهم جوع شديد حتى أكلوا الخَبَط[٣]، فسمي ذلك الجيش جيش الخبط، ونحر قيس بن سعد بن عبادة ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم نهاه أبو عبيدة ، وألقى البحر حوتاً يقال له العنبر ، فأكلوا منه نصف شهر حتى صلحت أجسامهم[٤] .

وقد أورد بعضهم هذه السرية قبل غزوة الفتح ، ولكنا ذكرناها هاهنا لأن سياقها يدل على أنها كانت قبل الهدنة ، إذ أن الرسول ﷺ من حين صالح

---

(١) تهذيب السيرة ج٢ ص ١٢ — ١٣ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ١٥٦ — ١٦٠ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ٢ — ٣ .

(٢) عند الواقدي : « الى ساحل البحر الى حي من جهينة » . وعند مسلم عن جابر: « وبعث رسول الله ﷺ بعثاً الى أرض جهينة ، واستعمل عليهم رجلا ... » حديث رقم ٢١ — (١٩٣٥) .
وليس لعير قريش ذكر عند ابن اسحق .

(٣) ورق السَّلَم (نوع من الشجر) .

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٦١ ، ٥٤٩٣ ٥٤٩٤) ومسلم (١٩٣٥) ومالك والبيهقي عن جابر .

أهل مكة لم يكن يرصد لهم عيراً ، بل كان زمن أمن وهدنة الى حين الفتح ، كما ذكر ابن كثير وابن القيم والامام الحلبي . أما ابن حجر فقد مال الى أنها كانت قبل غزوة بدر ، وبعد غزوة بُواط[1] .

١٩ ـ سرية علي بن أبي طالب الى بني سعد :

وفي شعبان خرج علي بن أبي طالب في مائة رجل لغزو بني سعد بفَدَك[2] لأنهم كانوا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فسار إليهم بالليل وكمن بالنهار ، وأصاب عيناً لهم ، فأقر له أنه بعث الى خيبر يعرض عليهم النصرة على أن يجعلوا لهم تمر خيبر . فطلب منه أن يدلهم على قومه وهو آمن ، فدلهم . فخاف القوم ونفرقوا . وهرب الرعاة ، فساق المسلمون ألفي شاة وخمسمائة بعير لهم[3] .

٢٠ ـ سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل :

وفيه كانت سرية عبد الرحمن بن عوف في سبعمائة من الصحابة الى بني كلب في دومة الجندل . فدعاهم الى الإسلام فأسلم ملكهم الأصْبَغ بن عمرو وكان نصرانياً ، وأسلم معه كثير من قومه ، وأقام الآخرون على اعطاء الجزية . وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصْبَغ ، ثم أقبل بها[4] .

---

(١) سيرة ابن هشام ق٢ ص ٦٣٢ ، المغازي للواقدي ج٢ ص ٧٧٤ ــ ٧٧٧ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٥٢١ ــ ٥٢٣ ، زاد المعاد ج٢ ص ١٥٨ ، فتح الباري ج٩ ص ٦٢٠ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ١٩١ ــ ١٩٣ .

(٢) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة من جهة خيبر . (معجم البلدان) .

(٣) و (٤) السيرة لابن هشام ق٢ ص ٦٣٢ ، المغازي للواقدي ج٢ ص ٥٦٠ ــ ٥٦٣ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٩ ــ ٣٤٠ ، نور اليقين ص٢٠٤ .

٢١ ـ سرية زيد بن حارثة الى وادي القرى :

كانت هذه السرية في رمضان سنة ست من الهجرة . وسببها أن زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ خرج في تجارة الى الشام ، ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ ؛ فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر ، فضربوه وضربوا أصحابه ، وأخذوا ما كان معهم .

وقدم زيـد على رسول الله ﷺ فأخبره ؛ فبعثه إليهم في جيش ، وقال لهـم : اكمنوا النهار ، وسيروا الليل . فأحاطوا بمن حضر مـن بني فزارة فقتلوهم ، وأخذوا أم قِرْفة ، وهي بنت ربيعة بن بدر الفزاري ، وقتلوها لأنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها ليقتلوا محمداً ﷺ ، وأسروا بنتها ، وقدموا المدينة(١) .

٢٢ ـ سرية عبد الله بن رواحة الى أُسَير بن رِزام :

وفي شوال سنة ست كانت سرية عبد الله بن رواحة الى أُسَير بن رِزام الذي أمَّره اليهود بعد قتل أبي رافع ، وذهب الى غطفان يجمعهم لحرب النبي ﷺ ، فبعث إليه ثلاثين رجلاً ، وأمَّر عليهم ابن رواحة ، فقدموا على أسير وقالوا : إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليـه فيستعملك علـى خيبر ، ويحسن إليك ، فخرج معهم ، وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود ، مع كل رجل رديف من المسلمين . وكان عبد الله رديفاً لأسير ؛ فكأنه ندم علـى خروجه ، وأراد الفتك به ، ففطن له عبد الله وهو يريد السيف ، فاقتحم به ، ثم ضربه بالسيف . ومال أصحاب النبي ﷺ على أصحابه فقتلوهم إلا رجلاً واحداً أفلت منهم ، ولم يصب من المسلمين أحد(٢) .

---

(١)و(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص ٦١٧ ـ ٦١٨ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ١٨٠ ـ ١٨٣ ، السيرة لأحمد دحلان ج٢ ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ، ١٥٦ ـ ١٥٧ .

٢٣ ـ سرية كُرز بن جابر :

وفي شوال كانت سرية كُرْز بن جابر الفِهري في عشرين فارساً الى العُرَنيّين الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ ، واستاقوا الإبل ، وكفروا بعد إسلامهم . فبعث النبي ﷺ في طلبهم فأتى بهم[1] ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم[2] وتركهم في الحرة حتى ماتوا . وذلك لأنهم مثلوا بالراعي فقطعوا يديه ورجليه ، وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات[3] .

عن أنس قال : إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرّعاء[4] .

---

(١) قال ابن هشام : فأتي بهم رسول الله ﷺ مرجعه من غزوة ذي قرد .

(٢) كحلها بمسامير محمية . وفي بعض الروايات : سمل أعينهم ، أي فقاها .

(٣) صحيح البخاري ، رقم ٤١٩٢ ومسلم (١٦٧١) عن أنس ، السيرة النبوية لابن هشام ق٢ ص ٦٤٠ ـ ٦٤١ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ١٨٥ ، السيرة لأحمد دحلان ج٢ ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٤) رواه مسلم رقم : ١٤ ـ (١٦٧١) .

٤٠ ـ 20 ـ صلح الحديبيـة

رأى الرسول ﷺ في نومه أنـه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام ، فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة ، وخرج في نحو ألف وأربعمائة[١] من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من الأعراب. وساق معه سبعين بَدَنة ليعلم الناس أنه لم يأت محارباً . وذلك يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست[٢] .

فلما بلغوا عسفان[٣] علموا بأن المشركين أجمعوا على أن يصدوهم عن مكة ، وأنهم خرجوا حتى نزلوا بذي طوى[٤] ، وأرسلوا خالد بن الوليد في مائتي فارس الى كُرَاع الغيم[٥] ليعترض طريقهم ويكون طليعة ، فقال الرسول ﷺ : من يخرج بنا على غير طريقهم ؟

---

(١) روى البخاري (٤١٥٠) عن البراء قال : « كنا مع النبي أربع عشرة مائة » . وروى الشيخان عن جابر قوله : « كنا خمس عشرة مائة » . [خ ٤١٥٢ ، م ٧٣ ـ (١٨٥٦)] .
وهذا يعني أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة . فمن قال ألفاً وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال ألفاً وأربعمائة ألغاه . ويؤيده حديث البراء عند البخاري (٤١٥١) : « انهم كانوا ألفاً وأربعمائة أو أكثر » .
أما قول عبد الله بن أبي أوفى : « كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة . وكانت أسلم ثمن المهاجرين » . (البخاري ٤١٥٥ مسلم ١٨٥٧) فيمكن حمله على اطلع هو عليه ، أو العدد الذي ذكره جملة من ابتدأ الخروج من المدينة والآخرون تلاحقوا بهم بعد ذلك . أو أن الزيادة من الاتباع من الخدم والنساء والصبيان .
وأما قول ابن اسحق : إنهم كانوا سبعمائة فلم يوافق عليه . (فتح الباري ج٧ ص ٤٤٠) .

(٢) الموافق آذار سنة ٦٢٨ م

(٣) تبعد مرحلتين شما لمكة نحو ٨٠ كم .

(٤) موضع قرب مكة .

(٥) واد أمام عسفان بثمانية أميال الى جهة مكة .

فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله ! فسلك بهم طريقاً وعراً كثير الحجارة بين شعاب • ثم ساروا حتى إذا بلغوا ثنية المرار[١] بركت ناقة الرسول ﷺ ، فقال الناس : خلأت[٢] الناقة فقال : ما خلأت ، وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ، وأمر أصحابه بالنزول أقصى الحديبية[٣] •

ولما رأى فرسان المشركين أن المسلمين خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش •

ثم أتى بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي[٤] ومعهم العُوذ المطافيل[٥] • وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت •

فقال النبي ﷺ : إنا لم نجيء لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم[٦] الحرب ، وأضرت بهم ، فإن شاؤوا ماددتهم[٧] مدة ويخلوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه

---

(١) طريق في الجبل تشرف على الحديبية •

(٢) حرنت وبركت من غير علة •

(٣) تقع الحديبية الى الغرب من مكة على بعد ١٣ ميلا عنها •

(٤) ترجع إليهما أنساب قريش الذين كانوا بمكة •

(٥) العُوذ : جمع عائذ ، وهي الناقة ذات اللبن • المطافيل : الأمهات اللاتي معها أطفالها • يريد انهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها ، ولا يرجعوا حتى يمنعوه • أو إنهم خرجوا معهم بنسائهم وأولادهم لارادة طول المقام ، وليكون أدعى الى عدم الفرار •

(٦) أي بلغت فيهم حتى أضعفتهم •

(٧) أي جعلت بيني وبينهم مدة نترك الحرب فيها •

الناس فعلوا ، وإلا فقد جَمّوا[1] ، وإن هم أبو فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي[2] ، ولينفذن الله أمره .

فقال بديل : سأبلغهم ما تقول . فانطلقوا الى قريش وأعلموهم أن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت . فاتهموهم وجبهوهم[3]، وقالوا : والله لا يدخلها علينا عَنْوة ، ولا تحدث بذلك عنا العرب .

ثم بعثوا إليه مِكْرز بن حفص ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هذا رجل غادر . فلما كلمه قال له مثل ما قال لبديل .

ثم بعثوا إليهم الحُلَيس بن علقمة ، وكان سيد الأحابيش[4] . فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هذا من قوم يعظمون البدن . فابعثوها له ، فبعثوها ، واستقبله الناس يلبون ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ، فلما رجع إليهم قال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت .

فقالوا له اجلس ، فإنما أنت أعرابي لا علم لك ، فغضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش ؟ والله ما على هذا حالفناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ! فقالوا له : كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

---

(١) أي استراحوا من القتال .

(٢) السالفة : صفحة العنق ، كنى بذلك عن القتل .

(٣) أي اتهموهم بأن خزاعة موالية لمحمد ، وقابلوهم بما يكرهون .

(٤) الأحابيش هم : بنو الهون بن خزيمة بن مدركة ، وبنو الحارث بن عبد مناة ابن كنانة ، وبنو المصطلق بن خزاعة . كانوا تحالفوا مع قريش ، قيل : تحت جبل يقال له الحبشي أسفل مكة . وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم .

ثم جاء إليه عروة بن مسعود الثقفي • فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال : أي محمد ! أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح[1] أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فإني والله لا أرى وجوهاً ، وإني لأرى أشواباً[2] من الناس خليقاً[3] أن يفروا ويدعوك[4]

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : امصَص بَظْر اللات[5]، أنحن نفر عنه وندعه ؟

ثم جعل عروة يتناول لحية الرسول ﷺ وهو يكلمه ، وكان المغيرة بن شعبة بن مسعود الثقفي واقفاً على رأس رسول الله ﷺ ، فجعل يقرع يده إذا تناول لحيته ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك ، فيقول عروة : ويحك ما أفظك وأغلظك !

فكلمه رسول الله ﷺ بنحو ما كلم به أصحابه ، فرجع الى قريش فقال: يا معشر قريش ! إني قد جئت كسرى وقيصر والنجاشي ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه ! ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً• فروا رأيكم •

وبعث رسول الله ﷺ خِرَاش بن أمية الخزاعي الى قريش ليبلغ أشرافهم ما جاء له • فعقروا جمله وأرادوا قتله • فمنعه الأحابيش ، فخلوا سبيله حتى رجع •

---

(١) أي أهلك •

(٢) الأشواب : الأخلاط من أنواع شتى • وفي رواية « أوشاباً » • وفي أخرى : أوباشاً » • وهم الأخلاط من السفلة •

(٣) حقيقاً •

(٤) أي يتركوك •

(٥) اللات : صنم كانت قريش وثقيف يعبدونها • أراد شتمه بذلك القول •

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة ، فقال : يا رسول الله ! إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني ، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني : عثمان بن عفان •

فدعا عثمانَ فأرسله إليهم ، وقال : أخبرهم أنا لم نأت لقتال ، وإنما جئنا عماراً ، وادعهم الى الإسلام ، وأمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات ، فيبشرهم بالفتح ، ويخبرهم أن الله مظهر دينه •

فخرج عثمان الى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فأجاره • فانطلق حتى أتى عظماء قريش ، فبلغهم ما أرسله به رسول الله ﷺ ، فردوا عليه : إن محمداً لا يدخلها علينا أبداً • وقالوا له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ، واحتبسته قريش عندها ثلاثة أيام ، وبلغ المسلمين أنه قتل ؛ فقال رسول الله ﷺ حينئذ : لا نبرح حتى نناجز القوم • ودعا أصحابه الى البيعة • فبايعوه على القتال وعلى عدم الفرار ، وهي بيعة الرضوان تحت الشجرة •

ثم علم رسول الله ﷺ أن الخبر باطل ، ورجع عثمان رضي الله عنه •

وبعثت قريش سُهيل بن عمرو الى رسول الله ﷺ وقالوا : ائت محمداً وصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عامه هذا ، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً ، فلما انتهى سهيل الى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح •

ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليكتب ما اتفقوا عليه • فقال : اكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم »•فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب: « باسمك اللهم » • فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا « بسم الله الرحمن الرحيم » • فقال النبي ﷺ : « اكتب باسمك اللهم » •

ثم قال : اكتب : « هـذا ما صالح عليه محمد رسول الله .. » فقال سهيل : لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال لعلي : امحه. فقال علي : ما أنا بالذي أمحوه . فمحاه رسول الله ﷺ بيده ، وقال : والله إني لرسول الله وإن كذبتموني . اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو : اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرد عليه .. وإنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . وإنك ترجع عامك فلا تدخل علينا مكة ، وإذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب : السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها » .

ولم يقبل كثير من المسلمين بهذه الشروط ، وكان أشدهم معارضة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه . قال عمر : فأتيت نبي الله ﷺ فقلت : ألست نبي الله حقاً ؟ قال : بلى .

قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى .

قلت : فلمَ نعطي الدنية في ديننا إذاً ؟ قال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري .

قلت : أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟

قلت : لا قال : فإنك آتيه ومطوف به .

قال : فأتيت أبا بكر فقلت: ياأبا بكر ! أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال:بلى.

قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى .

قلت : فلمَ نعطي الدنية في ديننا إذاً ؟ قال : أيها الرجل إنه لرسول الله ، وليس يعصي ربه ، وهو ناصره فاستمسك بغرزه[1] ، فوالله إنه على الحق[2] .

وقد صعب على أصحاب رسول الله ﷺ أن يرجعوا بدون عمرة ، لأنهم خرجوا يحدوهم الشوق والحنين الى الكعبة ، وهم لا يشكون بدخول المسجد الحرام لرؤيا رسول الله ﷺ ، كما صعب عليهم أن يردوا من جاء مسلماً ، فقالوا : كيف نرد من جاء مسلماً ، ولا يردون من جاءهم مرتداً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاء منهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً[3] » .

وزاد في نقمتهم أنه بينما كان رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل ابن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف[4] في الحديد ، فلما رآه سهيل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ يتلببه[5] وقال : يا محمد ! أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي ، فقال النبي ﷺ إنا لم نقضِ الكتاب بعد . قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً .

قال النبي ﷺ : فأجزه لي ، قال : ما أنا بمجيزه لك .

وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ! أأرد الى المشركين يفتنوني في ديني ! فزاد ذلك الناس الى ما بهم .

فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل ! اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، وإنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم .

---

(١) أي : اتبع أمره . والغرز للرحل بمنزلة الركاب للسرج .
(٢) رواه مسلم عن أبي وائل (١٧٨٥) .
(٣) رواه مسلم عن أنس (١٧٨٤) .
(٤) أي يمشي مشياً بطيئاً بسبب القيد .
(٥) يجمع عليه ثوبه عند صدره ، ويقبض عليه ليجره .

فلما فرغ من الكتاب أشهد عليه رجالاً من المسلمين ورجالا من المشركين ثـم قال الرسول ﷺ لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا • فلم يقم منهم أحد ، وقال ذلك ثلاث مرات• فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس• فقالت : يا نبي الله ! اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك ، وتدعو حالقك فيحلقك ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً •

ودخلت خزاعة في عقد محمد وعهده ، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهـم •

وكانت اقامة الرسول ﷺ في الحديبية تسعة عشر يوماً ، ثم انصرف قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح :

« إنا فتحنا لك فتحاً مبينا • ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما • وينصرك الله نصراً عزيزاً » •

(سورة الفتح ١ ـ ٣)

وفيها الإشارة بالذين بايعوا الرسول ﷺ :

« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانمـا ينكث على نفسه(١) ومن أوفى بما عاهـد عليهُ اللهَ فسيؤتيه أجراً عظيماً » •

(سورة الفتح ١٠)

وبيان رضى الله عنهم :

---

(١) فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه •

« لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة[1] عليهم وأثابهم فتحا[2] قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً » ·

(سورة الفتح ١٨ ــ ١٩)

وفيها تأثيم الكافرين لصدهم المسلمين ، وتأكيد دخول المسجد الحرام :

« هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي[3] معكوفاً أن يبلغ محله[4] ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم مَعَرَّة[5] بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا[6] لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً · إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية[7] حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً · لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مُحَلِّقِين رُؤسكم ومُقَصِّرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً[2] قريبا » ·

(سورة الفتح ٢٥ ــ ٢٧)

---

(١) أي الطمأنينة والأمن ·

(٢) المراد بذلك فتح خيبر لأنها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين ·

(٣) ما يهدى الى الكعبة ·

(٤) محبوساً عن أن يبلغ مكانه الذي يجب فيه نحره ·

(٥) مكروه ومشقة ·

(٦) لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض ·

(٧) الأنفة ·

عن البراء ــ رضي الله عنه ــ قال : « تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً . ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية . كنا مع النبي أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر ، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ، ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ، ثم مضمض ودعا ، ثم صبه فيها ، فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا[1] ما شئنا نحن وركابنا[2] » .

وعن مجمع بن حارثة قال: (شهدنا الحديبية ، فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغيم وقد جمع الناس وقرأ عليهم : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » . فقال رجل : يا رسول الله ! أوَ فتح هو ؟ قال : أي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح . فقسمت خيبر على أهل الحديبية[3]) .

ويقول الزهري : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ؛ فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

ولما رجع النبي ﷺ الى المدينة جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح

(١) يعني إنهم رجعوا عنها وقد رووا .
(٢) رواه البخاري (٤١٥٠) .
(٣) رواه أحمد (ج٣ ص ٤٢٠) وأبو داود والحاكم .

عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعِصَم الكوافر وسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم » •

(سورة الممتحنة ١٠)

فلم يردهن إلى مكة •

ثم جاءه أبو بصير ، وكان ممن حبس بمكة ، وأرسل المشركون في طلبه رجلين فدفعه إليهما ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون ، فأخذ سيف أحدهما فقتله ، وفر الآخر حتى انتهى الى النبي ﷺ فقال : قتل والله صاحبي وإني لمقتول •

فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله ! قد والله أوفى الله ذمتك ، وقد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم ، فقال النبي ﷺ : « ويل أمه ! مِسْعَرَ حرب لو كان له أحد ! » •

فلما عرف أنه سيرده إليهم خرج حتى أتى سِيف البحر[1] ، وانفلت أبو جندل فلحق به • وجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، وكانوا لا يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام إلا اعترضوا لها ، فقتلوهم وأخذوا أموالهم •

فأرسلت قريش الى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم لما أرسل • فمن أتاه فهو آمن[2] •

---

(١) أي ساحله •

(٢) رواه البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) وابن اسحق ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم •

وهكذا ظهرت حكمة الرسول ﷺ وبعد نظره فيما قبل به من شروط، واتضح انها لم تكن في صالح المشركين كما كانوا يظنون ، كما ظهرت معرفته بالرجال ، وخبرته بنفسية أعدائه فضلاً عن أصحابه ، وتبين حسن قيادته للجيش في حالة الصلح والحرب ، وحسن تصرفه في أحواله كلها[1] .

---

(1) تهذيب السيرة ج٢ ص ٢٦ ــ ٣٦ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٣١٢ ــ ٣٣٧ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ٨ ــ ٣٠ ، السيرة النبوية لأحمد دحلان ج٢ ص ١٦١ ـ ١٩٣ .

٤١ ـ كتب الرسول ﷺ إلى الملوك

بعث الرسول ﷺ بعد رجوعه من الحديبية في أواخر سنة ست رسلا من أصحابه الى ملوك الآفاق يدعوهم الى الإسلام ، واتخذ خاتماً من فضة يختم به خطاباته ، وكان نقشه محمد رسول الله[١] .

١ ـ كتابه الى هرقل :

فبعث دحية بن خليفة الكلبي الى ملك الروم بكتاب جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم

سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[٢] .

و « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقل اشهدوا بأنا مسلمون[٣] » .

---

(١) رواه مسلم عن أنس (٢٠٩٢) . وكانت كلمة « الله » فوق « رسول » ، و « محمد » تحتها .

(٢) الأريسيين : جمع أريسي . قال ابن سيده : الأريس : الأكار ، أي الفلاح . وفي رواية ابن اسحق عن الزهري : « فإن عليك إثم الاكارين » . زاد البرقاني في روايته : يعني الحراثين . ويؤيده مافي رواية المدائني : « فإن عليك إثم الفلاحين » . وعند أبي عبيد في كتاب الأموال : « وان لم تدخل في الاسلام فلا تحل بين الفلاحين والاسلام » . قال ابو عبيد : المراد بالفلاحين أهل مملكته ، لأن كل من كان يزرع فهو عند العرب فلاح ، سواء كان يلي ذلك بنفسه أو بغيره . وقال الخطابي : أراد أن عليك بذلك اثم الضعفاء والاتباع اذا لم يسلموا تقليداً له ، لأن الأصاغر اتباع الأكابر . (فتح الباري ج١ ص ٣٩) .

(٣) سورة آل عمران : ٦٤ .

فلما وصله الكتاب قال : هل ها هنا أحد من قوم هـذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قالوا : نعم . فدعوا أبا سفيان في نفر من قريش ، كانوا قد خرجوا تجاراً الى الشام ، فجاؤوا بهم إليـه في ايلياء ، فدعاهم في مجلسه ، وحوله عظماء الروم ، ودعا بالترجمان ، فقال أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان : أنا. قال : ادنوه مني. وجعلوا أصحابه عند ظهره وقال : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كَذَبني فكذِّبوه .

فسأله عن نسبه ودعوته وأحواله ، واستمع الى أجوبته . ثم قال :

سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله ؟ فذكرت أن لا ، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت : رجل يتأسى بقول قيل قبله ، وسألتك : هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، فلوكان من آبائه من ملك قلت : رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقلت : ما كان ليذر الكذب على الناس ثم يكذب على الله ، وسألتك : أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتبـاع الرسل ، وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك : أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا. وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك : بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف .

فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

ثم جمع هرقل عظماء الروم في دسكرة[1] له ، وأمر بأبوابها فغلقت وقال : يا معشر الروم ! هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يثبت ملككم ؟ فتبايعوا لهذا النبي • فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الأبواب ، فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردوهم علي ، وقال : إنما قلت مقالتي آنفاً اختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه[2] •

٢ - كتابه الى كسرى :

وبعث عبد الله بن حذافة الى كسرى ملك فارس بكتاب هو :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله • أدعوك بدعاية الله ، فإني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين • أسلم تسلم ، فإن أبيت فإن عليك إثم المجوس •

فلما قرأه مزقه ، وكتب الى باذان نائبه على اليمن : أن ابعث إليه رجلين جلدين فليأتياني به •

ولما بلغ رسول الله ﷺ أن كتابه مزق « دعا عليهم أن يمزقوا كل ممزق[3] » ، فلما جاءه الرجلان أتاه الخبر من السماء بأن الله قد سلط على

---

(١) بناء كالقصر حوله بيوت •

(٢) رواه البخاري (٤٥٥٣،٧) ومسلم (١٧٧٣) ، عن ابن عباس ، ورواه ابن اسحق •

(٣) رواه البخاري عن ابن عباس (٤٤٢٤) •

كسرى ابنه شيرويه فقتله[1] ، فأخبرهما بذلك ، وردهما الى باذان ليقولا له : « إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك » .

ولم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يقول فيه : فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قِبَلك ، وانظر الرجل الذي كان كسرى قد كتب إليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه ، فبعث بإسلامه وإسلام من معه الى رسول الله ﷺ .

٣ – كتابه الى المقوقس :

وبعث حاطب بن أبي بلتعه الى المقوقس ملك الاسكندرية بكتاب نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإنما عليك إثم القبط .

و « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقل اشهدوا بأنا مسلمون[2] » .

فلما قرأ الكتاب أكرم حاطباً وأحسن نزله ، وأهدى معه الى النبي ﷺ جاريتين : احداهما مارية التي تسرى بها وولدت له ابراهيم[3] ، والأخرى سيرين التي وهبها لحسان بن ثابت . كما أهداه كسوة وبغلة وغلاماً .

(١) كان ذلك ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع .
(٢) سورة آل عمران : ٦٤ .
(٣) ولد في ذي الحجة سنة ثمان .

٤ ـ كتابـه الى النجاشي :

وبعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة بكتاب هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة

سلم أنت[١] ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى من روحه ونفحه ، كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني ، فإني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي .

والسلام على من اتبع الهدى .

ولما وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام ، وقال لعمرو : إني أعلم والله أن عيسى بشّرَ به ، ولكن أعواني بالحبشة قليل ، فانظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب .

وعرض عمرو على من بقي من مهاجري الحبشة المجيء الى رسول الله ﷺ بالمدينـة .

وطلب الرسول ﷺ الى النجاشي أن يزوجه أم حبيبة ، رملة بنت أبي سفيان ، وكانت قد هاجرت الى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش ، فتنصر زوجها ومات بالحبشة . والذي ولي نكاحها ابن عمها خالد بن سعد بن العاص ، وكان وكيلَ رسول الله ﷺ في قبول العقد اصحمه النجاشي . وأصدقها عنه أربعمائة دينار .

ثم حمل المهاجرين في سفينتين ، فقدموا المدينة ، والرسول ﷺ بخيبر .

---

(١) اي أنت سالم ، لأن السلم بمعنى السلامة . وقد أرسل الكتاب سنة ست .

٥ً ـ كتابـه الى أمير دمشق :

وبعث شجاع بن وهب الى الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان أميراً بدمشق من جهة قيصر ، وكان يقيم في غوطتها . وكتب اليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى الحارث بن أبي شمر .

« سلام على من اتبـع الهدى وآمن بالله وصدّق . وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك » .

فلما قرأ الكتاب رمى به ، واستعد ليرسل جيشاً لحرب المسلمين . ثم أرسل الى قيصر يخبره بذلك . فكتب إليه أن لا تسر إليه واله عنه . فأمر لشجاع بمائة مثقال ذهباً .

٦ً ـ كتابـه الى ملك البحرين :

وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنـذر بن ساوى ملك البحرين فأسلم . فأقره الرسول ﷺ عليها .

٧ً ـ كتابـه الى ملكي عمان :

وبعث عمرو بن العاص الى جيفر وعيّاذ[1] ملكي عمان في ذي القعدة سنة ثمان . وكتب له :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر وعياذ ابني الجلندي .

سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإني أدعوكما بدعاية الاسلام . اسلما تسلما ؛ فإني رسول الله الى الناس كافـة لأنذر من كان حيـاً ويحق

(١) اسمه « عياذ » في فتح الباري (ج٨ ص ٩٦) و « عبد » في سيرة ابن كثير والسيرة الحلبية والسيرة لأحمد دحلان .

القول على الكافرين • وإنكما إن أقررتما بالاسلام وليتكما • وإن أبيتما أن تقرا بالاسلام ، فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلي تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتي على ملككما •

فأسلما ، وأسلم معهما خلق كثير من قومهما •

وبقي عمرو بن العاص بعمان حتى توفي النبي ﷺ ؛ وكان قد أسلم بعد الحديبية ، وهاجر الى المدينة ، ومعه خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة في أول صفر سنة ثمان[1] •

٨ ـ كتابه الى ملك اليمامة :

وبعث سليط بن عمرو الى هوذة بن علي ملك اليمامة • وفي الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم •

من محمد رسول الله الى هوذة بن علي •

سلام على من اتبع الهدى• واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر• فأسلم تسلم ، واجعل لك ما تحت يديك •

فرد عليه بقوله : « ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم ، والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي بعض الأمر اتبعك » •

فقال رسول الله ﷺ : لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت • باد وباد مافي يديه • فلم يلبث أن مات منصرف الرسول ﷺ من فتح مكة •

---

(١) الموافق ٣١ أيار ٦٢٩ م •

٩ - كتابه إلى أمير بُصرى :

وبعث الحارث بن عمير الأزدي بكتاب الى أمير بصرى . فلما بلغ مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له : أين تريد ؟ قال : الشام . قال : لعلك من رسل محمد ؟ قال : نعم . فأمر به فضربت عنقه . ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره[1] .

وبإرسال هذه الكتب تحققت عالمية الرسالة بعد أن كان مجالها في جزيرة العرب . وكان هذا أثراً عظيماً لصلح الحديبية .

---

(١) تهذيب السيرة ج٢ ص ٤٣ ، ١٤٠ - ١٤١ ، ١٤٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٢٧٠ - ٢٧٦ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ٢٤٠ - ٢٥٦ ، السيرة النبوية لأحمد دحلان ج٣ ص ٥٥ - ٩٢ ، نور اليقين ٢١٨ - ٢٢٦ .

٤٢ — 21 — غزوة ذي قَرَد

جعل البخاري هذه الغزوة قبل خيبر بثلاث ليال ، أي في المحرم سنة سبع • ويؤيده في ذلك حديث سلمة بن الأكوع الذي أخرجه مسلم في هذه الغزوة ، اذ قال فيه :

« فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال[١] حتى خرجنا الى خيبر[٢] » • وكذلك ذكرها البيهقي بعد الحديبية وقبل خيبر •

أما ابن هشام فقد ذكرها بعد غزوة بنـي لحيان ، أي في جمادى سنة ست •

وسبب هـذه الغزوة ان عيينة بن حصن الفزاري أغـار في خيل من غطفان على لقاح[٣] لرسول الله ﷺ بالغابة[٤] ، فقتلوا راعيها ، وهو ولد أبي ذر ، واحتملوا امرأته[٥] في اللقاح •

وغدا سلمة بن الأكوع قبل الفجر يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبلـه ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر الى بعض خيولهم ؛ فأشرف في ناحية سَلْع ، ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم حتى لحق بهم ، فجعل يردهم بالنبل ، حتى استنقذ اللقـاح ، واستلب منهم ثلاثين بـردة ، ألقوها يستخفون منها •

---

(١) أي بعد رجوعهم من هذه الغزوة •
(٢) رواه مسلم رقم (١٨٠٧) •
(٣) اللقاح : ذوات الدر من الابل • وذكر ابن سعد انها كانت عشرين لِقحة •
(٤) موضع قرب المدينة من جهة الشمال الغربي •
(٥) أي زوجة أبي ذر •

وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع فخرج بالمسلمين ، وهم خمسمائة أو سبعمائة حتى أدركوهم، فلما رآهم المشركون ولّوا مدبرين، وسار الرسول ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرَد[1] . وتلاحق به الناس ، فأقام عليه يوماً وليلة . وقال سلمة : يا رسول الله ! قد حميت القوم الماء[2] وهم عِطاش فابعث إليهم الساعة . فقال : يا ابن الأكوع ! « ملكت فأسجح[3] » ، وقال : « إنهم الآن ليُقْرَوْن في أرض غطفان[4] » ، فلما أصبح ، رجعوا الى المدينة[5] .

(١) ماء على نحو بريد ، أي ٢٠ كم من المدينة مما يلي بلاد غطفان . وقيل على مسافة يوم . وقال ياقوت الحموي ، ذو قرد : ماء على ليلتين من المدينة ، بينها وبين خيبر .

(٢) منعتهم الماء .

(٣) رواه البخاري (٤١٩٤) ومسلم (١٨٠٦) . والمعنى : قدرت فاعفُ .

(٤) رواه مسلم (١٨٠٧) وأحمد . ويقرون : من القِرى ، وهي الضيافة ولابن اسحق : « إنهم الآن ليغبقون في غطفان » . من الغبوق : وهو شرب أول الليل .

(٥) تهذيب السيرة ج٢ ص ١٣ ــ ١٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٢٨٦ ــ ٢٩٣ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ٣ ــ ٨ .

٤٣ – 22 – غزوة خيبر ووادي القرى

خرج الرسول ﷺ الى خيبر في المحرم[١] سنة سبع . وكان يقيم فيها عشرة آلاف مقاتل من اليهود الذين كانوا يتربصون شراً بالمسلمين ، وبينهم نفر من أولئك الذين حرضوا المشركين في غزوة الأحزاب . وكانوا يشكلون خطراً على المدينة من جهة الشمال[٢].فكان لا بد من اخضاعهم حتى لايكونوا حجر عثرة في طريق الدعوة .

وقد وعد الله رسوله والمؤمنين بفتح خيبر أثناء رجوعهم من الحديبية بقولـه :

« وأثابهم فتحاً قريبا . ومغانم كثيرة يأخذونها » .

(سورة الفتح ١٨ ـ ١٩)

وخرج مع الرسول ﷺ نحو ألف وأربعمائة من المسلمين ، وفيهم مائتا فارس ، ولم يأذن للذين تخلفوا عن الحديبية باتباعه . وجاء إليه نسوة مـن غفار فقلن : يا رسول الله ! قد أردنا أن نخرج معك الى وجهك هذا ، فنداوي الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا . فقال : « على بركة الله[٣] » . فخرج معه من المدينة عشرون امرأة .

وبلغ الرسول ﷺ خيبر ليـلا ، وكان إذا أتى قومـاً بليل لم يغر بهم حتى يصبح . فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم[٤] ، فلما رأوه

---

(١) قال الواقدي : في صفر سنة سبع .

(٢) تبعد خيبر عن المدينة المنورة مسافة ١٧٠ كم .

(٣) أخرجه أبو داود وأحمد .

(٤) المساحي : جمع مسحاة وهي المجرفة. والمكاتل : جمع مكتل وهو القفة الكبيرة.

قالوا : محمد والله ، محمد والخميس[1] فقال النبي ﷺ : « خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين[2] » .

ورجع اليهود الى حصونهم ، وعسكر المسلمون شرقي حصون النطاة بواد يقال له الرجيع بين خيبر وغطفان ، ليحولوا بينهم وبين أن يمدوا أهلها ، ويكونوا بعيداً عن مدى النبل ، ثم ابتدأ القتال مع حصن ناعم ، ومضت سبعة أيام لم يتمكنوا فيها من فتحه ، ثم قال الرسول ﷺ : « لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » . فبات المسلمون يدوكون[3] ليلتهم : أيهم يعطاها ؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجوان يعطاها . فقال : « أين علي بن أبي طالب ؟ » فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه ، فأتى به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ، ودعا له فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع . فأعطاه الراية .

فقال علي : يا رسول الله ! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟

فقال : « انفذ على رسلك[4] حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم الى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم[5] » .

---

(١) أي الجيش .

(٢) رواه البخاري (٤١٩٧) ومسلم (١٣٦٥) عن أنس .

(٣) أي باتوا في اختلاط واختلاف . والدوكة : الاختلاط .

(٤) أي على هينتك .

(٥) حُمر النعم : من ألوان الإبل التي كانت العرب تتفاخر بها . والحديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد : خ (٤٢١٠) ، م (٢٤٠٦) .

ففتحه الله على يده • ثم انتقل اليهود الى حصن الصعب بن معاذ ، ففتحه المسلمون بعد حصار يومين أو ثلاثة • ولما فتح ذلك الحصن تحول مَن سلم مِن أهله الى حصن الزبير ، وكان على رأس قنّة • فأقام المسلمون على حصاره ثلاثة أيام ، وقطعوا عنهم الماء ؛ فعند ذلك خرجوا وقاتلوا أشد القتال • وفتح الحصن ، وهو آخر حصون النطاة •

ثم سار المسلمون الى حصون الشق ، وبدؤوا بحصن أبَيّ ؛ فقاتل أهله قتالا شديداً ، ودخله المسلمون ؛ وهرب من كان فيه الى حصن النزار ؛ ففتحه المسلمون • وتم بذلك فتح حصون النطاة والشق •

وانهزم من سلم من يهود تلك الحصون الى حصون الكتيبة ، وهي ثلاثة: القَمُوص ، والوَطيح ، والسُلالم • فحاصر المسلمون أولها عشرين ليلة ؛ ثم فتحه الله على يد علي رضي الله عنه • ومنه سبيت صفية بني حُيي بن أخطب[1] • ثم حاصروا حصني الوَطيح والسُلالم مدة أربعة عشر يوماً • حتى إذا أيقن اليهود بالهلكة صالحوا الرسولﷺعلى أن يجلوا منها بذراريهم، ويخلوا بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال أو أرض ، وعلى الصفراء والبيضاء[2] والسلاح ، وعلى البز إلا ثوباً على ظهر إنسان • واشترط عليهم ألا يكتموا ولا يعيبوا شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد • فلما تبين له أن ابن أبي الحقيق أخفى أموال وحلي بني النضير أمر بقتله •

وتم فتح خيبر في صفر ، وقد استشهد من المسلمين فيها عشرون رجلاً • وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون • وغنم المسلمون كثيراً من السيوف والرماح

---

(١) وقيل : سبيت من حصن النزار ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق. فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه •

(٢) أي الذهب والفضة •

والدروع والحلي والطعام • ووجدوا صحفاً من التوراة فأعطوها اليهود حين طلبوها منهم •

وأراد الرسول ﷺ اجلاء اليهود عن خيبر • فقالوا : يا محمد ! دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ، فأقرهم فيها على أن يعملوها ويزرعوها ، ولهم شطر ما يخرج منها[1] • وقال : « أقركم فيها على ذلك ما شئنا[2] » •

ولما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب ابنة الحارث شاة مشوية فيها سم[3] • وقد سألت : أي عضو من الشاة أحب الى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذراع • فأكثرت فيه من السم ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع ، فلاك منها مضغة فلم يسغها ولفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ، ثم دعابها فاعترفت • فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : أردت أن أعلم إن كنت نبياً فسيطلعك الله عليه ، وإن كنت كاذباً فأريح الناس منك، فتجاوز عنها • وكان بشر بن البراء بن معرور قد أكل منها فمات • فأمر بقتلها به[4] •

رجوع مهاجري الحبشة :

وقدم على رسول الله ﷺ وهو بخيبر جعفر بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ ومن كان بقي بالحبشة ممن هاجر إليها من المسلمين ، ومن انضم إليهم

---

(١) أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر (٤٢٤٨) •

(٢) اخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمر (٣٠٠٨) •

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة (٤٢٢٩) •

(٤) رواه البخاري (٣١٦٩) وأبو داود وأحمد والبيهقي وابن اسحق وعبد الرزاق والدارمي •

من أهل اليمن . وكان الذين تأخروا مع جعفر من أشل مكة الى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلاً .

أما الذين انضموا إليهم من أهل اليمن فكانوا ثلاثة وخمسين رجلاً ، وفيهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه . وكانوا قد خرجوا من اليمن ليهاجروا الى النبي ﷺ ، فركبوا سفينة فألقتهم الى النجاشي بالحبشة ، فأقاموا مع جعفر حتى قدموا جميعاً .

وسر الرسول ﷺ بقدومهم ، فتلقى جعفر بن أبي طالب فالتزمه وقبّل ما بين عينيه[١] . وقال : « ما أدري بأيهما أنا أسَرُّ : بفتح خيبر أم بقدوم جعفر[٢] » .

وقسم لهم رسول الله ﷺ ، ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرهم[٣] .

وكذلك قدم أبو هريرة بعدما افتتح رسول الله ﷺ خيبر . وكلم المسلمين فأشركوه وأصحابه في سهمانهم . وكان الطفيل بن عمرو الدوسي قد قدم مكة ورسول الله ﷺ بها ، فأسلم ثم رجع الى قومه ، فدعاهم الى الله ؛ وقدم بهم ورسول الله ﷺ بخيبر .

صلح فدك :

ثم صالح أهل فدك[٤] رسول الله ﷺ على مثل صلح أهل خيبر ، فكانت له خاصة ، وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة ، ثم يجعل ما بقي في مصالح المسلمين[٥] .

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٢٠) .
(٢) رواه البيهقي .
(٣) رواه مسلم (٢٥٠٢) .
(٤) حصن قريب من خيبر الى الجنوب منها .
(٥) رواه أبو داود (٣٠١٦) .

فتح وادي القرى :

ثم انصرف الرسول ﷺ الى يهود وادي القرى(١) فحاصرهم وقاتلهم حتى فتحها بعد أن قتل منهم احد عشر رجلا . وأقام فيها أربعة أيام ، وقسم ما أصاب على أصحابه . وترك الأرض والنخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها .

صلح تيماء :

ولما بلغ يهود تيماء(٢) ذلك صالحوا رسول الله ﷺ على مثل صلح أهل خيبر وفَدَك ووادي القرى .

وبذلك تم القضاء على قوة اليهود في الجزيرة العربية .

زواج صفية والعودة الى المدينة :

ثم رجع رسول الله ﷺ الى المدينة . حتى اذا بلغ سد الصهباء(٣) حلت(٤) صفية بنت حُيي . وكان رسول الله ﷺ قد دفعها الى أم سُليم حتى تعتد عندها وتهيئها . وعرض عليها الاسلام فأسلمت . فتزوجها ، وجعل عتقها صداقها . وكان عمرها لم يبلغ سبع عشرة سنة .

قالت صفية : « وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إلي ؛ قتل زوجي وأبي . فما زال يعتذر إلي ويقول : إن أباكِ ألّب عليّ العرب ، وفعل ما فعل ، حتى ذهب ذلك من نفسي » .

---

(١) واد بين تيماء وخيبر ، فيه قرى كثيرة .

(٢) قرية كبيرة تقع بين المدينة وتبوك ، تبعد عن المدينة ٤٢٥ كم .

(٣) تبعد ١٢ ميلا عن خيبر الى جهة المدينة .

(٤) أي طهرت من الحيض .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ أقام على صفية بنت حيي بطريق خيبر ثلاثة أيام حتى أعرس بها، وكانت فيمن ضرب عليها الحجاب[1].

وحين قفل[2] رسول الله ﷺ من غزوة خيبر سار ليلة حتى إذا أدركه الكرى عرّس[3] وقال لبلال: « اكلأ لنا الليل »[4]. فصلى بلال ما قدر له. ونام رسول الله ﷺ وأصحابه. فلما تقارب الفجر استند بلال الى راحلته مواجه الفجر[5]، فغلبت بلالا عيناه؛ وهو مستند الى راحلته. فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس. فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً، ففزع رسول الله ﷺ فقال: أي بلال! فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ ـ بأبي أنت وأمي يارسول الله ـ بنفسك. قال: اقتادوا[6] فاقتادوا رواحلهم شيئاً، ثم توضأ رسول الله ﷺ وأمر بلالا فأقام الصلاة، فصلى بهم الصبح. فلما قضى الصلاة قال: « من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها. فإن الله قال: أقم الصلاة لذكري »[7].

---

(١) رواه البخاري (٤٢١٢).

(٢) رجع.

(٣) الكرى: النعاس، وقيل النوم، والتعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة.

(٤) ارقبه واحفظه واحرسه.

(٥) مستقبله.

(٦) قودوا رواحكم.

(٧) الآية في سورة طه: ١٤، والحديث بطوله رواه مسلم عن أبي هريرة [٣٠٩ ـ (٦٨٠)]. ومراجع الغزوة هي: السيرة لابن هشام ق٢ ص ٣٢٨ ـ ٣٥٣، المغازي للواقدي جـ٢ ص ٦٣٣ ـ ٧٢١، السيرة النبوية لابن كثير جـ٣ ص ٣٤٤ ـ ٤١٣، السيرة الحلبية جـ٣ ص ٣١ ـ ٦١، نور اليقين ص ٢٢٧ ـ ٢٣٣.

٤٤ ـ 23 ـ غزوة ذات الرقاع :

اختلف في تاريخ هذه الغزوة . فقال البخاري : « وهي غزوة محارب خَصفة وبني ثعلبــة من غَـطفان . فنزل نخلا[١] . وهي بعد خيبر ؛ لأن أبا موسى جاء بعد خيبر » .

ورَوى عن جـابر رضي الله عنــه : أن النبي ﷺ صلى بأصحابه في الخوف في غزوة السابعة[٢] غزوة ذات الرقاع[٣] .

وأن النبي ﷺ خرج الى ذات الرقاع من نخل ، فلقي جمعاً من غطفان، فلم يكن قتــال . وأخــاف الناس بعضهم بعضاً . فصلى النبي ﷺ ركعتي الخوف[٤] .

وروي عن أبي موسى الأشعري ــ رضي الله عنه ــ قال : خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ، ونحن في ستة نفر ، بيننا بعير نعتقبه[٥] ، فنقبت[٦] أقدامنا ، ونقبت قدماي ، وسقطت أظفاري ، فكنا نلف على أرجلنا الخِرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصِب من الخرق على أرجلنا[٧] .

---

(١) موضع في نجد من أرض غطفان .

(٢) اي في غزوة السنة السابعة من الهجرة كما قال الكرماني وغيره .

(٣)،(٤) رواه البخاري رقم : (٤١٢٥) ، (٤١٢٧) .

(٥) أي يركبه هذا قليلا ، ثم ينزل فيركبه الآخر ، حتى يأتي على سائرهم .

(٦) أي رقت وقرحت من الحفاء .

(٧) رواه البخاري (٤١٢٨) ومسلم (١٨١٦) .

وعدّها ابن اسحق بعد بني النضير وقبل الخندق ، سنة أربع ؛ فقال : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى . ثم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلا . وهي غزة ذات الرقاع . ويشهد له ما ذكره هو والواقدي من حديث جابر ــ رضي الله عنه ــ (أن الرسول الله ﷺ أدركه أثناء الرجوع من تلك الغزوة وسأله : هل تزوجت ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال : ثيباً أم بكراً ؟ قال : بل ثيباً .

قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ! قال : إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن . قال : أصبت إن شاء الله) .

مما يدل على قرب العهد بأحد ، ولا يعقل أن يكون ذلك بعد الخندق ، لما مر من صنع جابر وزوجه الطعام لرسول الله ﷺ وصحابته حينئذ .

وعند ابن حبان والواقدي وابن سعد انها كانت في المحرم سنة خمس.

وقال ابن حجر : « بل الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة ؛ لأنه تقدم أن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت . وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة الرقاع ، فدل على تأخرها بعد الخندق » .

ثم مال الى أنها بعد خيبر ، فقال : « وإذا تقرر أن أول ما صليت صلاة الخوف في عسفان ، وكانت في عمرة الحديبية ، وهي بعد الخندق وقريظة . وقد صليت صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع ، وهي بعد عسفان ؛ فتعين تأخرها عن الخندق وعن قريظة وعن الحديبية أيضاً ، فيقوى القول بأنها بعد خيبر ؛ لأن غزوة خيبر كانت عقب الرجوع من الحديبية »[1] .

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ٧ ص ٤١٧ ، ٤٢٣ ــ ٤٢٤ .

ويدل على أنها بعد خيبر ما رواه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال :

« صليت مع النبي ﷺ في غزوة نجد صلاة الخوف » . وانما جاء أبو هريرة الى النبي ﷺ أيام خيبر[1] .

أو لعل ذات الرقاع اسم لغزوتين مختلفتين كما اشار إليه البيهقي . ويكون سؤال جابر عن زواجه بعد الرجوع من التي بعد غزوة بني النضير . ويكون أبو هريرة وأبو موسى الأشعري قد شهدا التي بعد خيبر ، وهي التي كان فيها صلاة الخوف .

وسميت الغزوة بهذا الاسم لأنهم عصبوا الخِرق على أرجلهم ، وقيل : لأنهم رقعوا فيها راياتهم . وقيل : لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع . وقيل : لجبل فيه بقع حمر وسود وبيض .

وسبب هذه الغزوة أنه بلغ الرسول ﷺ أن قبائل من نجد يتهيؤون لحربه ، وهم بنو محارب وبنو ثعلبة[2] . فخرج إليهم في سبعمائة[3] . فسار حتى نزل نخلا ، فلقي بها جمعاً عظيماً من غطفان . فتقارب الجمعان ، ولم يكن بينهم حرب ، وخاف بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله ﷺ بالمسلمين صلاة الخوف . فألقى الله في قلوب الأعداء الرعب وتفرقت جموعهم ثم انصرف بالناس[4] .

---

(١) رواه البخاري (٤١٣٧) .

(٢) عند الواقدي : أنمار وثعلبة .

(٣) قال الواقدي : فخرج في أربعمائة من أصحابه، وقال قائل: سبعمائة أو ثمانمائة.

(٤) السيرة لابن هشام جـ٢ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٩ ، المغازي للواقدي جـ١ ص ٣٩٥ ـ ٤٠٢ ، السيرة النبوية لابن كثير جـ٣ ص ١٦٠ ـ ١٦٨ ، السيرة الحلبية جـ٢ ص ٢٧٠ ـ ٢٧٥ ، نور اليقين ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

ولما قفل رسول الله ﷺ أدركتهم القائلة[1] في واد كثير العضاه[2] . فنزل تحت سَمُرة[3] فعلق بها سيفه . وتفرق الناس في العضاه : يستظلون بالشجر فناموا . فإذا رسول الله ﷺ يدعوهم فجاؤوا ، فإذا عنده أعرابي[4] جالس فقال رسول الله ﷺ : إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم ، فاستيقظت وهو في يده صلتاً[5] فقال لي : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فهاهو جالس . ثم لم يعاقبه[6] .

---

(١) أي في وسط النهار وشدة الحر .

(٢) شجر عظيم له شوك .

(٣) أي شجرة كثيرة الورق .

(٤) اسمه غورث بن الحارث .

(٥) أي مجرداً من غمده مسلولا .

(٦) رواه البخاري (٤١٣٥) ومسلم [١٣ ـ (٨٤٣)] ، عن جابر .

٤٥ ـ السرايا التي بين فتح خيبر وعمرة القضاء :

ولما رجع الرسول ﷺ الى المدينة أقام بها حتى ذي القعدة . وبعث في تلك المدة عدة سرايا ، منها :

٢٤ ـ سرية زيد بن حارثة الى جُذام :

بعثه في جمادى الآخرة من هذه السنة في خمسمائة رجل الى جُذام من أرض خشين ، وهي قبيلة من معد بجبال حِسمى وراء وادي القرى ؛ لأنهم أغاروا على دحية بن خليفة الكلبي لما قدم من عند قيصر، وأصابوا كل شيء معه .

فأغار عليهم جيش زيد ، فقتلوا الرجلين اللذين أغارا على دحية ومن معهما ، وأخذوا ماشيتهم ونساءهم[١] .

٢٥ ـ سرية أبي بكر الصديق :

بعثه في شعبان من هذه السنة الى بني فزارة في نجد ، فورد الماء ، فقتل من قتل عليه وسبى[٢] .

٢٦ ـ سرية عمر بن الخطاب :

وفيه أيضاً بعث عمر في ثلاثين راكباً الى تُرَبة[٣] من أرض هوازن . وأتى الخبر إليهم فهربوا .

---

(١) السيرة لابن هشام ق٢ ص ٦١٢ ـ ٦١٦ ، السيرة الحلبية جـ٣ ص ١٧٨ـ١٧٩، السيرة لاحمد دحلان جـ٢ ص ١٤٨ ـ ١٥٠ .

(٢) ذكرها مسلم عن سلمة بن الأكوع ، رقم (١٧٥٥) .

(٣) واد بالقرب من مكة ، على مسافة يومين منها .

٢٧ ــ سرية بشير بن سعد الى بني مرة :

وفيه أيضاً بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكباً الى بني مرة بناحية فدك • فقاتل قتالاً شديداً حتى أثخنته الجراح وظُن أنه مات • وقتل عامة من معه• ثم قام وقدم المدينة •

٢٨ ــ سرية غالب بن عبد الله الليثي الكلبي الى أهل الميفَعَة :

بعثه في رمضان من هذه السنة في مائة وثلاثين رجلاً الى أهل المِيفَعَة بناحية نجد وراء بطن نخل ، فهجموا عليهم في وسط محالهم ؛ فقتلوا من أشرف لهم ، واستاقوا نعماً وشاء الى المدينة •

وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نَهيك بن مِرداس(١) بعد أن قال : لا إله إلا الله ، فلما قدموا بلغ النبي ﷺ فقال : يا أسامة ! أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله ! فقال : يا رسول الله ! كان متعوذاً من القتل ، فما زال يكررها حتى تمنى أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم(٢) •

٢٩ ــ سرية بشير بن سعد الى غطفان :

بعثه في شوال في ثلاثمائة رجل الى ناحية خيبر لأنه بلغه أن ثمة عيينة بن حصن قد واعد جماعة من غطفان للغارة على المدينة • فساروا إليهم حتى أتوا محلتهم ؛ فغنموا نعماً كثيرة ، ثم رجعوا الى المدينة •

---

(١) اسمه عند ابن اسحق: مرداس بن نهيك • وقد ذكره في سرية غالب بن عبد الله الى بني مرة التي سيجيء ذكرها برقم ٣٣ ص ٦٣٩ •

(٢) رواه البخاري عن أسامة رقم : (٤٢٦٩) •

٣٠ ـ سرية عبد الله بن أبي حدرد :

نزل بالغابة رفاعة بن قيس في بطن عظيم من جشم ، يريد محاربة رسول الله ﷺ ، فبعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد ورجلين من المسلمين . فخرجوا إليهم وكمنوا ليلا في ناحية منهم . حتى مر بهم رفاعة فضربه عبد الله بسهم أصابه في فؤاده ، ثم شدوا عليهم فانهزموا ، وساقوا إبلاً وغنماً كثيرة ، فجاؤوا بها الى رسول الله ﷺ[١] .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ق٢ ص ٦٢٩ ـ ٦٣١ ، السيرة النبوية لابن كثير جـ٣ ص ٤١٧ ـ ٤٢٣ ، السيرة الحلبية جـ٣ ص ١٨٥ ـ ١٨٨ ، ١٩٣ ـ ١٩٤، السيرة النبوية لاحمد زيني دحلان جـ٢ ص ٢١٢ ـ ٢١٤ ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية جـ٢ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٢ ، نور اليقين ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥ .

٤٦ ـ عمـرة القضاء :

خرج الرسول ﷺ في ذي القعدة سنة سبع[١] معتمراً عمـرة القضاء مقابل التي صده المشركون عنها ، وهي التي كان قاضاهم عليها ، وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه إلا من مات أو استشهد ، وخرج معـه آخرون فكانت عدتهم ألفين .

فلما سمع بهم أهل مكة خرجوا وقالوا : إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم[٢] حُمّى يثرب ، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا[٣] الأشواط[٤] الثلاثـة ، وأن يمشوا ما بين الركنين[٥] . ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الابقاء[٦] عليهم[٧] .

ولما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه[٨] ، وأخرج عضـده اليمنى ، ثم قال : « رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة[٩] .

---

(١) الموافق لشهر آذار سنة ٦٢٩ م .

(٢) أي أضعفتهم .

(٣) أي أن يهرولوا ويسرعوا .

(٤) جمع شوط ، والمراد به هنا الطوفة حول الكعبة .

(٥) الركن اليماني والركن الذي فيـه الحجر الأسود . وهـذا لأن المشركين كانوا ينظرون إليهم من قِبَل قُعَيقعان . ومن كان به لا يرى ما بين الركنين .

(٦) الرفق والشفقة .

(٧) رواه البخاري (١٦٠٢ ، ٤٢٥٦) ومسلم [٢٤٠ ـ (١٢٦٦)]،عن ابن عباس.

(٨) أي أدخل رداءه تحت ابطه الأيمن ، ورد طرفه عن منكبه الأيسر ، فأبدى منكبه الأيمن وستر الأيسر .

(٩) رواه ابن اسحق عن ابن عباس .

فقال المشركون : هؤلاء الذين زعمتم أن الحُمّى قد وهنتهم • هؤلاء أجلد[1] من كذا وكذا[2] •

وبعث رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب الى ميمونة بنت الحارث العامرية ، فخطبها عليه • فجعلت أمرها الى العباس زوج أختها أم الفضل • فزوجها العباس رسول الله ﷺ • وكانت قبله تحت أبي رهم بن عبد العزى ، فتوفي عنها • وأمها هند بنت عوف الهلالية • وهي أخت زينب بنت خزيمة لأمها • وكان اسمها بَرّة ، فسماها النبي ﷺ ميمونة •

وأقام الرسول ﷺ بمكة ثلاث ليال • فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى في نفر من قريش فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا • فقال : « إني قد نكحت فيكم امرأة ، فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ، ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا ؟ » فقالوا: نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا • فأمر بالرحيل ، وخلف أبا رافع ليحمل ميمونة • وأقام بسَرِف[3] حتى قدمت عليه ، فبنى بها هنالك • ثم انصرف الى المدينة[4] •

---

(١) الجَلَد : القوة والصبر •

(٢) رواه مسلم عن ابن عباس ٢٤٠ ــ (١٢٦٦) •

(٣) موضع قرب التنعيم •

(٤) تهذيب السيرة جـ٢ ص٤٤ــ٤٥ ، السيرة النبوية لابن كثير جـ٣ ص٤٢٨ــ٤٤٤ •

٤٧ ـ السرايا بين العمرة والفتح :

وبعث الرسول ﷺ بعد رجوعه عدة سرايا منها :

٣١ ـ سرية الأخرم بن أبي العوجاء السلمي :

بعثه رسول الله ﷺ الى بني سُليم في ذي الحجة سنة سبع ، في خمسين رجلاً . فعلموا بهم ، وجمعوا لهم جمعاً كثيراً . فتراموا بالنبل . وقاتل المسلمون قتالاً شديداً حتى قتل عامتهم . وأصيب ابن أبي العوجاء مع القتلى ، ثم تحامل حتى قدم المدينة(١) .

٣٢ ـ سرية غالب بن عبد الله الليثي الى بني الملوّح :

بعثه في صفر ٨ هـ . في بضعة عشر رجلاً من الصحابة الى بني الملوّح بالكَديد(٢) فشنوا عليهم الغارة ليلا ، واستاقوا النعم ، واستنجد المشركون بقومهم ، فجاء ما لا قبل للمسلمين به ؛ حتى إذا لم يكن بينهم وبين عدوهم إلا بطن الوادي من قَديد أرسل الله سيلا عظيماً منع المشركين من اللحاق بهم(٣) .

٣٣ ـ سرية غالب بن عبد الله الى بني مرّة :

ثم بعثه في مائتي رجل ليقتص من بني مرّة بفدك ، وهم الذين أصابوا

---

(٢) ماء بين عسفان وقديد ، على ثلاث مراحل من مكة ، نحو ١٢٠ كم .

(١)و(٣) السيرة النبوية لابن هشام ق٢ ص ٦٠٩ ـ ٦١٢ ، المغازي للواقدي جـ٢ ص ٧٢٣ ـ ٧٢٦ ، ٧٥٠ ـ ٧٥٣ ، السيرة النبوية لابن كثير جـ٣ ص ٤١٩ ـ ٤٢٢ ، ٤٥٤ ، السيرة الحلبية جـ٣ ص ١٨٨ ـ ١٩٠ ، السيرة النبوية لأحمد زيني دحلان جـ٢ ص ٢١٧ ، ٢٢٣ ، شرح المواهب جـ٢ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٧ ، نور اليقين ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩ .

سرية بشير بن سعد • فأحاطوا بهم ، وخرج إليهم الرجال ، فقاتلوا ساعـة ، فقتلوا كثيراً منهم ، واستاقوا نعمهم •

٣٤ ـ سرية شجاع بن وهب الأسدي :

بعثه في شهر ربيع الأول سنة ثمان في أربعة وعشرين رجلاً الى جمع من هوازن يقال لهم : بنو عامر ، وأمره أن يغير عليهم ، فأصابوا نعماً كثيراً وشاءً، واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة(١) •

٣٥ ـ سرية كعب بن عمير الغفاري :

بعثه في ربيع الأول أيضاً الى ذات أطلاح من أرض الشام، في خمسة عشر رجلاً،•فوجدوا جمعاً كثيراً فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل ، فقاتلهم الصحابة حتى قتلوا ، ونجا أحدهم ، وأتى الخبر الى رسول الله ﷺ ؛ فأراد أن يبعث إليهم من يقتص منهم ، فبلغه أنهم تحولوا عن مكانهم، فعدل عن ذلك(٢) •

٣٦ ـ غزوة مؤتـة(٣) :

بعث الرسول ﷺ زيد بن حارثة في نحو ثلاثة آلاف الى أرض البلقاء

---

(١)،(٢) المراجـع السابقة •

(٣) سميت غزوة لأهميتها وكثرة جيشها مع أن الرسول ﷺ لم يذهب فيها ، ومؤتة: قرية قريبة من الكرك ، جنوب شرقي البحر الميت •

من أطراف الشام في جمادى الأولى سنة ثمان[1] ؛ ليقتصوا ممن قتلوا الحارث ابن عمير الأزدي رسوله الى أمير بُصرى ، وقال لهم : « إن قُتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة[2] » .

ثم مضوا حتى نزلوا مَعَان[3] من أرض الشام ، فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم مثلهم أو خمسون ألفاً من القبائل العربية الموالية لهم[4] . فقال بعض المسلمين : نكتب الى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي له . فقال عبد الله بن رواحة : يا قوم ! والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون : الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به . فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة . فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة .

ومضوا فالتقى الجيشان عند مؤتة ، واقتتلوا ، فقاتل زيد حتى قتل . فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، وقاتل حتى قطعت يمينه ، فأخذها بشماله ، فقطعت شماله ، فاحتضنها بعضديه حتى قتل ، فأخذها عبد الله بن رواحة ، وقاتل حتى قتل . ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ، ودافع القوم ،وحاشى بالمسلمين[5] حتى خلصهم من عدوهم. وبات تلك الليلة، فلما أصبح غدا وقد

---

(١) الموافق لأيلول ٦٢٩ م .

(٢) رواه البخاري عن عبد الله بن عمر ، رقم (٤٢٦١) .

(٣) تبعد ٩٣٦ كم عن المدينة المنورة .

(٤) رجح العماد مصطفى طلاس في كتابه : (الرسول العربي وفن الحرب) ان عدد الروم ومن والاهم لم يجاوز عشرين ألف مقاتل . وقال الجنرال الباكستاني أ. أكرم : « وقد قدر بعض المؤرخين أن قواتهم بلغت مائة ألف ، بينما يضاعف البعض الآخر ذلك الرقم . إن هذه التقديرات لا شك خاطئة . وربما كانت قوات العدو تتراوح بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألفاً » .

(٥) انحاز بهم .

جعل مقدمة الجيش ساقة ، وساقته مقدمة ، وميمنته ميسرة ، وميسرته ميمنه، فتوهم الروم مجيء مدد الى المسلمين ، فرعبوا وانكشفوا منهزمين • ورجع المسلمون الى المدينة ، وقتل منهم اثنا عشر رجلا[1] •

ثم إن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب ــ وعيناه تذرفان ــ حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم[2] » •

٣٧ ــ سرية ذات السلاسل :

وفي جمادى الآخرة بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من قضاعة قد تجمعوا وراء وادي القرى يريدون أن يدنوا الى أطراف المدينة ، فأرسل إليهم عمرو بن العاص في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار • فلما كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل بلغه أن لهم جمعاً كثيراً فبعث الى رسول الله ﷺ يستمده• فأمده بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين الأولين ، وفيهم أبو بكر وعمر •

وسار بهم عمرو حتى وطىء بلاد قضاعة ودوخها ، حتى انتهى الى أقصى بلادهم • ولقي في آخر ذلك جمعاً فاقتتلوا ساعة ، وحمل المسلمون عليهم فهزموهم حتى هربوا وتفرقوا • ثم رجعوا الى المدينة ظافرين[3] •

---

(١) تهيب السيرة جـ٢ ص ٤٥ ــ ٥٠ • السيرة النبوية لابن كثير جـ٣ ص ٤٥٥ ــ ٤٩٠ ، فتح الباري جـ٧ ص ٥١٠ ــ ٥١٦ ، سيف الله خالد بن الوليد للجنرال أ• أكرم ص ١٠٥ •

(٢) رواه البخاري عن أنس بن مالك (٤٢٦٢) •

(٣) سيرة ابن هشام ق٢ ص ٦٢٣ ــ ٦٢٦ ، السيرة النبوية لابن كثير جـ٣ ص٥١٦ ــ ٥٢٠ ، زاد المعاد جـ٢ ص ١٥٧ ، فتح الباري جـ٨ ص ٧٤ ــ ٧٥ •

٣٨ ـ سرية أبي قتادة الى غطفان :

واسم أبي قتادة الحارث ، وقيل عمرو أو النعمان بن ربعي الأنصاري السلمي • بعثه ﷺ الى أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان • وبعث معه خمسة عشر رجلا ، وأمره أن يشن الغارة عليهم ، فهجم عليهم، وقتل من أشرف منهم ، وسبى سبياً كثيراً ، واستاقوا الابل والغنم[1] •

٣٩ ـ سرية أبي قتادة الى إضَم :

لما هَمَّ رسول الله ﷺ أن يغزو أهل مكة بعث أبا قتادة[2] في ثمانية نفر الى بطن إضَم[3] في أول رمضان سنة ثمان ؛ ليظن أنه توجه الى تلك الناحية، وتنشر بذلك الأخبار ، فلا تستعد قريش لحربه •

فخرجوا الى تلك الناحية ، ولم يلقوا جمعاً • وبلغهم أن رسول الله ﷺ توجه الى مكة ، فلحقوا به[1] •

---

(١) السيرة الحلبية جـ٣ ص ١٩٣ ، ١٩٥ السيرة النبوية لأحمد زيني دحلان جـ٢ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧ •

(٢) ذكر ابن هشام سرية ابن أبي حدرد الى إضم في نفر من المسلمين ، فلعلها هي سرية أبي قتادة •

(٣) واد على ثلاثة برد من المدينة ، نحو ٦٠ كم •

٤٨ — 24 — فتح مكة المكرمة :

لقد نقضت قريش الصلح مع المسلمين حين أعانت بني بكر على خزاعة بالكراع والسلاح ، وقاتلت معهم[١] . فقدم عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله ﷺ وناشده النصرة على من اعتدى عليهم . فقال له : « نصرت يا عمرو بن سالم » . وقال ﷺ لأصحابه : « كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد في العقد ويزيد في المدة » !

فقدم أبو سفيان المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته . فقال : يا بنية ! ! ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش ، أو رغبت به عني ؟

فقالت : هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس عليه .

فقال : والله لقد أصابك بعدي شر .

فقالت : بل هداني الله للاسلام .

ثم أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد ! اشدد العقد وزدنا في المدة .

فقال رسول الله ﷺ : « ولذلك قدمت! هل كان من حدث قِبَلكم؟ »

---

(١) جاء رجال من بني بكر وقريش الى خزاعة ليلا بغتة وهم آمنون على ماء يقال له الوتير ، فقتلوا منهم عشرين أو ثلاثة وعشرين ، بثارات كانت بين بني بكر وخزاعة قبل الاسلام .
وكانت خزاعة في حلف محمد ،وبنو بكر في حلف قريش كما أسلفنا في صلح الحديبية .

قال : معاذ الله ! نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل .

فقال رسول الله ﷺ : فنحن على مدتنا وصلحنا .

ثم ذهب الى أبي بكر ، فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ .

فقال : ما أنا بفاعل .

ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه .

فقال : أنا أشفع لكم الى رسول الله ﷺ ! فوالله لولم أجد الا الذر(١) لجاهدتكم به .

ثم دخل على علي بن أبي طالب فقال له : يا علي ! إنك أمس القوم بي رحماً ، فاشفع لي الى رسول الله .

فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عـزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيـه . ولكنك سيد بني كنانة ؛ فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك .

فقام أبو سفيان في المسجد فقال : أيها الناس! إني قد أجرت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق . فلما قدم على قريش وأخبرهم بما فعل قالوا : هـل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويحك ! ما زادك الرجل على أن لعب بك ؛ فما يغني عنا ما قلت . فقال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

ثم أمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهزوه ، وأرسل الى أهل البادية ومن حوله من المسلمين في كـل ناحية يقول لهم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة . فقدمت من قبائل العرب : أسلم وغفار ومزينة(٢) وأشجع وجهينة .

---

(١) صغار النمل .

(٢) كانوا ألفاً وثلاثمائة . وقد وفد منهم اربعمائة على رسول الله ﷺ في رجب سنة خمس . فقال لهم : أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا الى أموالكم . فرجعوا . (السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص ٧٨)

وقال ﷺ : « اللهم خذ العيون عن قريش حتى نبغتها[1] في بلادها » . وأوقف بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها . وقال لهم : « لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه الا رددتموه » .

فلما أجمع المسير الى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً الى قريش يخبرهم بذلك . واعطاه امرأة من مزينة[2] ، وجعل لها جُعلا على أن تبلغه قريشاً .

وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء ، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد[3] فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة[4] معها كتاب فخذوه منها » .

فأدركوها هناك ، فقالوا : أخرجي الكتاب : فقالت : ما معي . فقالوا : لتخرجن الكتاب ، أو لنلقين الثياب . فأخرجته من عقاصها[5] . فأتوا به رسول الله ﷺ . فإذا فيه :

من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس بمكة من المشركين . يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ .

فقال : يا حاطب ! ما هذا ؟

فقال : يا رسول الله ! لا تعجل علي ؛ إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش

---

(١) أي نفجأها .

(٢) هي سارة مولاة لبعض بني المطلب بن عبد مناف .

(٣) ذكر في رواية أخرى أبو مرثد بدلا من المقداد . . ولعلهما كانا جميعاً .

(٤) في رواية أخرى : « فإن بها امرأة من المشركين » .

(٥) أي شعرها المظفور .

ــ يقول : كنت حليفاً ، ولم أكن من أنفسها ــ وكان من معك من المهاجرين من لهم بهـا قرابات يحمـون أهليهم وأموالهم ، فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهـا أن اتخذ عندهم يـداً يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الاسلام ،

فقال رسول الله : « أما إنه قد صدقكم » ،

فقال عمر : يا رسول الله ! دعني أضرب عنق هذا المنافق ،

فقال : إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً

فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ،

فأنزل الله :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقـد كفروا بما جاءكـم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكـم إنْ كنتم خرجتم جهـاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم ومـا أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل[1] » ،

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة ، ومعه عشرة آلاف ، لعشر مضين من شهر رمضان[2] سنة ثمان فسار هو ومن معه من المسلمين الى مكة ، يصوم

(١) الآية في سورة الممتحنة : ١ ، والحديث أخرجه البخاري (٤٢٧٤) ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب وبقية الجماعة إلا ابن ماجه ، وقـال الترمذي : حسن صحيح ،

(٢) ذكر ذلك ابن اسحق والواقدي ، وقيل إن هذا التاريخ يوافق الأول من كانون الثاني ٦٣٠ م وروي أنه خرج لليلتين خلتا من شهر رمضان ،

ويصومون حتى بلغ الكديد ، وهو ماء بين عُسفان وقُديد أفطر وأفطروا . فلم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر[1] .

والتقى الرسول ﷺ بعمه العباس[2] وابن عمه أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وابن عمته عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي[3] ، قد جاؤوا مهاجرين الى المدينة . فساروا معه .

ثم نزل الرسول ﷺ مرَّ الظهران[4] عشاء . وأمر الجيش ، فأوقدوا وخرج أبو سفيان بن حرب وبُديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يتحسسون ؛ الأخبار ؛ فرأوا نيراناً عظيمة ، فقال ابو سفيان : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً ! وقال بديل : هذه والله خزاعة حمشتها الحرب[5] . فقال أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها .

وكان العباس قد خرج الى جهتهم على بغلة رسول الله ﷺ ؛ فعرف صوته ، فناداه قائلا : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله ﷺ في الناس ، ولئن ظفر بك ليضربن عنقك . فاركب في عَجُز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك . فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن الك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » .

---

(١) رواه البخاري (٤٢٧٥ ، ٤٢٧٦) وأحمد (٣٠٨٩) والنسائي عن ابن عباس .

(٢) التقى به بالجحفة ، فبعث أهله الى المدينة ، ورجع مع النبي ﷺ .

(٣) وهو أخو أم سلمة لأبيها ، وقد سبق ذكره ص : ٤٣٣ ، ٤٣٧ .

(٤) على مرحلة من مكة ، نحو ٤٠ كم . وقال البكري : بينه وبين مكة ستة عشر ميلا . (عمدة القاري ــ العيني) .

(٥) أحرقتها وصليت بنارها .

فقال : بأبي أنت وأمي ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً .

قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ »

قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله إن في النفس منها حتى الآن شيئاً .

فقال له العباس : ويحك ، أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك فشهد شهادة الحق فأسلم .

فقال العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً .

قال : « نعم . من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن[1] » .

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : « يا عباس ! احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل[2] حتى تمر به جنود الله فيراها » . فخرج به حيث أمره .

ومرت به قبيلة فقال : يا عباس ! من هؤلاء ؟ فقال : سُليم[3] . فقال :

---

(١) رواه أبو داود عن ابن عباس (٣٠٢٢) .

(٢) خطم الجبل : أنف يخرج منه ، ويضيق به الطريق .

(٣) كان رجل منهم يقال له : قيس بن نشبة قد قدم على رسول الله ﷺ . فدعاه الى الاسلام فأسلم . ثم رجع إليهم فقال : قد سمعت ترجمة الروم وهينمة فارس وأشعار العرب وكهانة الكهان وكلام مقاول حمير ؛ فما يشبه كلام محمد شيئاً ، فأطيعوني وخذوا بنصيبكم منه .
فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم فلقوا رسول الله ﷺ بقديد ، وهم سبعمائة ، ويقال : كانوا ألفاً . وفيهم العباس بن مرداس وجماعة من أعيانهم . فأسلموا وقالوا : اجعلنا في مقدمتك . فشهدوا معه الفتح والطائف وحنيناً . (السيرة لابن كثير ج٤ ص ١٧٧) .

مالي ولسليم . ثم مرت به قبيلة أخرى فقــال : من هؤلاء ؟ فقال : مزينة . حتى نفدت القبائل كلها ، ما تمر به قبيلة إلا سأل عنها ، فإذا أخبر قــال : مالي ولبني فــلان . حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبتــه الخضراء[1] ، وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحَدَقُ من الحديد . فقال : سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحد بهؤلاء من قِبَل ولا طاقة . والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ! .

قال : يا أبا سفيان ! إنها النبوة . قال : فنعم إذن . قال النجاء الى قومك .

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ! هذا محمد قــد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهــو آمن . قالوا : قاتلك الله ! وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد .

ولما مرت كتيبة الأنصار بأبي سفيان قال له سعد بن عبادة : اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة . فلما مر به رسول الله ﷺ أخبره فقال : « كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة[2] » .

وأرسل الى سعد فأخذ الراية منه فدفعها الى ابنه قيس .

ثم فرق رسول الله ﷺ جيشه من ذي طوى :

فأمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدىً[3] . وكان على المجنبة اليسرى .

---

(١) قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها . والعرب تطلق الخضرة على السواد ، وبالعكس .

(٢) رواه البخاري عن عروة (٤٢٨٠) .

(٣) كُدى : الثنية السفلى ممــا يلي باب العمرة عنــد باب شبيكة بقرب شعب الشاميين من ناحية قعيقعان . (النهاية لابن الأثير) .
وكُدي : بالضم والتصغير : يخرج منه الى جهة اليمن . (فتح الباري ج٣ ص ٤٣٥ ــ ٤٣٨) .

وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من اللّيط[1] في بعض الناس ، وكان على المجنبة اليمنى .

وأمر سعد بن عبادة أن يدخل من كـداء[2] في بعض الناس . والرايـة مع ابنه قيس .

وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ، يَنْصبّ لمكة بين يدي رسول الله ﷺ .

ومضى رسول الله ﷺ فدخل من أذاخِر حتى نزل بأعلى مكة[3] .

وذلك لأن مكة تقع بين تلال سوداء وعرة ترتفع الى ما يزيد عن ألف قدم فوق مستوى الأرض المحيطة بها . ويتم دخولها عبر أربع ممرات . وبذلك لا يتمكن المشركون من تجميع قواتهم على جهة واحدة ، ولا يتمكنون من مغادرة مكة . ويمكن متابعة الهجوم إذا أوقف في بعض الجهات[4] .

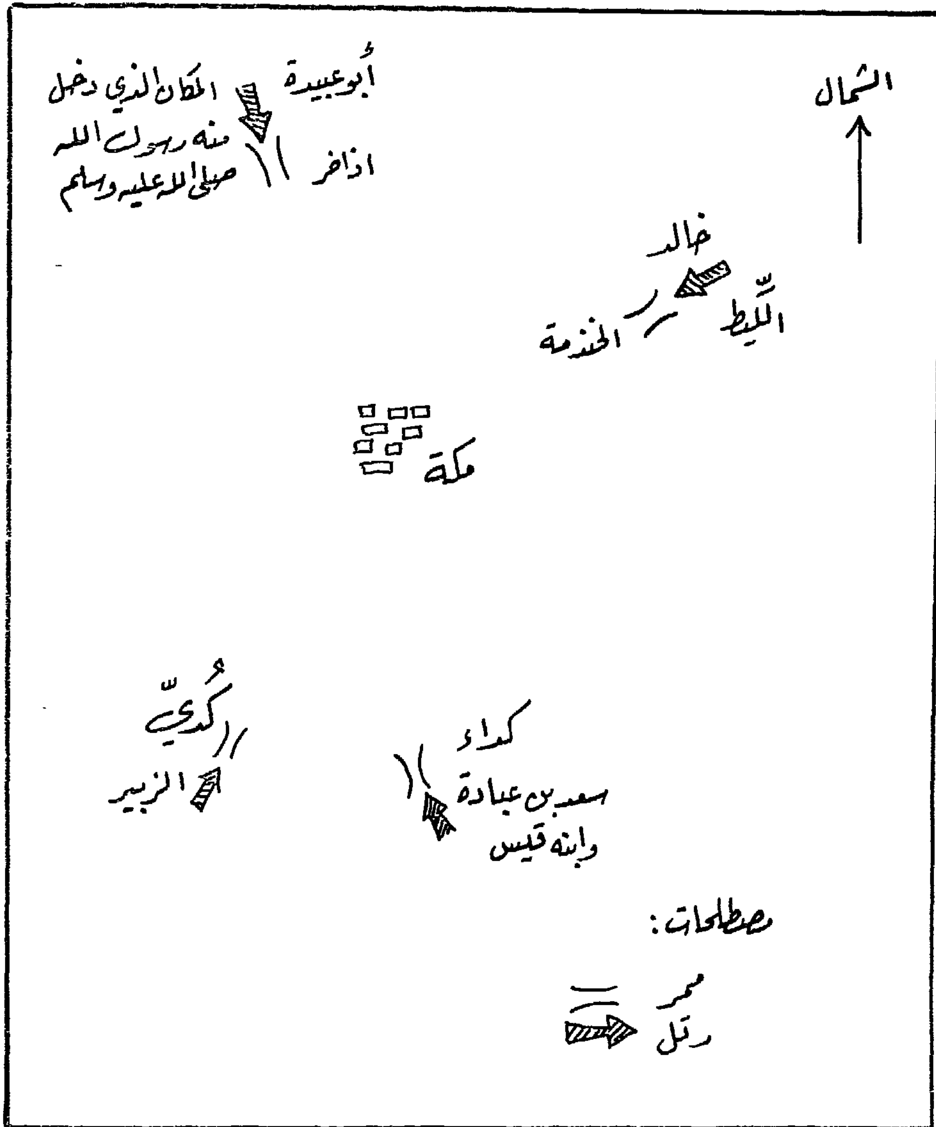
---

(١) موضع بأسفل مكة .

(٢) قال أبو عبيد : كداء : الثنية التي ينزل منها الى المعلى مقبرة أهل مكة ، وهي التي يقال لها الحجُون . وكانت صعبة المرتقى فسهلت .

(٣) سيرة ابن هشام ق٢ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ، المغازي للواقدي ج٢ ص ٨٢٥ ، طبقات ابن سعد ج٢ ص٩٨ وروى البخاري عن عائشة وعروة : « أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة » (رقم ٤٢٩٠ ـ ٤٢٩١) كما روى عن هشام عن أبيه عروة قال : « وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ، ودخل النبي ﷺ من كُدا » . (البخاري ، رقم : ٤٢٨٠) .

(٤) سيف الله خالد بن الوليد ـ الجنرال أ. أكرم ص ١١٤ ـ ١١٦ .



فتح مكة المكرمة

اخذنا هذا المخطط من كتاب سيف الله خالد بن الوليد ص : ١١٥

ودخل ﷺ على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح[1] . وإنـه ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح . حتى أن عُثنُونة[2] ليكاد يمس واسطة الرحل[3].ولم يلقَ أي مقاومة.وأمر أن تركز رايته بالحجون[4] فضرب له هناك قبة من أدم . فأقبل حتى انتهى إليها ، ومعه أم سلمة وميمونة.

واعترض بعض المشركين طريق خالد بن الوليد ، فأصيب منهم ثلاثة عشر[5] ثم انهزموا . وقتل من جيش خالد ثلاثة .

ودخل الرسول ﷺ مكة لعشر بقين من رمضان[6] ولمـا اطمأن الناس جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته : يستلم الركن بمحجن[7] ، يده . وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : « جاء الحق وزهق[8] الباطل إن الباطل كان زهوقاً » . « جـاء الحق وما يُبدىء الباطل وما يُعيد »[9] .

---

(١) أخرجه البخاري عن عبد الله بن مغفل ، رقم (٤٢٨١) .

(٢) العثنون : اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين .

(٣) رواه الحاكم في الاكليل عن أنس .

(٤) الحجون : مرتفع شرقي مكة عند مقبرتها في الأبطح ، على ميل ونصف من البيت الحرام . (التاج) .

(٥) هذا ما ذكره ابن اسحق.وذكر ابن سعد وموسى بن عقبة ان عدة من أصيب من الكفار أربعة وعشرون رجلا .

(٦) هذا ما ذكره ابن اسحق والواقدي (المغازي ص ٨٨٩) . واخرج البيهقي عن ابن عباس قال: « صبح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة خلت من رمضان.

(٧) عود معوج الطرف .

(٨) اضمحل وبطل .

(٩) الآيتان في (سورة الاسراء : ٨١) و (سبأ : ٤٩) والحديث رواه البخاري (٤٢٨٧) ومسلم (١٧٨١) عن ابن مسعود .

وبذلك سقطت الأصنام كلها . ثم أمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة . ففتحت له فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها . ورأى صورة ابراهيم واسماعيل ـ عليهما السلام ـ وفي أيديهما الأزلام ، فقال : « قاتلهم الله ! لقد علموا ما استقسما بها قط[1] » . وطمس ما على جدرانها من صور . ودعا وكبر وصلى ركعتين . ثم خرج وقام على باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهـزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج . ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيـه الديـة مغلظة : مائة من الابل ، أربعون منها في بطونها أولادها . يا معشر قريش! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس من آدم، وآدم من تراب . ثم تلا :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .
(سورة الحجرات ١٣)

ثم قال : يا معشر قريش ! ما ترون أني فاعل بكم ؟

قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم .

قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد ، ومفتاح الكعبة في يـده . فقام إليه علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله ! اجمع لنا الحجابة مع السقاية .

فقال رسول الله ﷺ : « أين عثمان بن طلحة » ؟ فدعي له فقال : « هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء » .

---

(١) رواه البخاري عن ابن عباس (٤٢٨٨) .

ثم أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن فوق الكعبة ، وأبو سفيان بن حرب، وعتّاب بن أُسَيد والحارث بن هشام جلوس بفنائها . فقال عتاب : لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه ! فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصا . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « لقد علمت الذي قلتم » ، وذكره لهم . فقال الحارث وعتاب . نشهد أنك رسول الله ، ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك .

وأراد فضالة بن عمير الليثي قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت . فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أفضالة ؟ قال : نعم . قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله ! فضحك النبي ﷺ ثم قال : استغفر الله . ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه . فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه .

وكان رسول الله ﷺ قد عهد الى أمرائه حين أمرهم أن يدخلوا مكة ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم . إلا أنه أمر بقتل نفر سماهم[1] وإن وجِدوا تحت أستار الكعبة ، فقتل منهم :

١ً ــ عبد الله بن خَطَل : وكان قد أسلم ، فبعثه رسول الله ﷺ لجمع الزكاة ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً . فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع طعاماً . فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً ؛ فعَدا

(١) وعددهم ستة رجال عند ابن سعد (الطبقات جـ٢ ص ٩٨) وأحد عشر رجلا في السيرة الحلبية ، وأربع نسوة هن : قينتا ابن خطل ، وهند زوج أبي سفيان ، وسارة مولاة بني المطلب ، وهي التي وجد معها كتاب حاطب ، ولم يقتل منهم سوى ثلاثة وقينة ابن خطل .

عليه فقتله ، ثم ارتد مشركاً . فقتلــه سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي .

٢ً ــ وكانت لعبد الله بن خطل قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ . فأمر بقتلهما معه . فقتلت احداهما ، وهربت الأخرى حتى استؤمن لها .

٣ً ــ الحُويرث بن نُقَيذ بن وهب : وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ بمكة . ولما حمل العباس فاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما الى المدينة أول الهجرة، نخس بهما الحويرث الجمل الذي يحملهما ، فسقطتا الى الأرض . فلما أهدر دمه قتله علي بن أبي طالب .

٤ً ــ مِقْيَس بن صُبابة : لأنه قتل الأنصاري الذي كان قد قتل أخاه خطأً بعدما أخذ الدية ، ورجع الى قريش مشركاً ؛ فقتله رجل من قومه يقال له: نُمَيلة بن عبد الله الليثي .

وعفا الرسول ﷺ عن آخرين منهم :

١ً ــ عبــد الله بن سعد : وكان أخــاً لعثمان بن عفان من الرضاعة ، فأستأمن لــه .

٢ً ــ عكرمة بن أبي جهل : وكان قد هرب الى اليمن ، ثم أسلمت امرأته فاستأمنت له . وخرجت في طلبه فأدركته في ساحل البحر الأحمر وقد ركب سفينة ، وأتت به فأسلم .

٣ً،٤ً ــ الحارث بن هشام ، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة ، وقــد أجارتهما أم هانىء ابنة أبي طالب .

٥ً ــ صفوان بن أمية ، وقد خرج الى جدة ليركب منها الى اليمن ، أو ليقذف نفسه في البحر . فاستأمن له عمير بن وهب ، فرجع معه حتى وقف على

رسول الله ﷺ ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني ؟ قال : صدق • قال : فاجعلني بالخيار شهرين • قال : أنت بالخيار أربعة أشهر • ثم أسلم وحسن اسلامه •

٦ً ـ وحشي قاتل حمزة • وقد جاء مسلماً •

٧ً ـ هبار بن الأسود : وهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت ، فروعها بالرمح ونخس بها ، حتى سقطت على صخرة، وأسقطت ما في بطنها • فأسلم فعفى عنه •

٨ً ـ كعب بن زهير بن أبي سُلمى : وقد قدم المدينة تائباً مسلماً ، وأنشد قصيدة في مدح رسول الله ﷺ •

وشرع الناس يدخلون في الإسلام • وأنزل الله تعالى :

« إذا جاء نصر الله والفتح [1] » •

وممن أسلم في ذلك اليوم : معاوية بن أبي سفيان ، وأبو قحافة ، وقد أتى به ابنه أبو بكر فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ » قال أبو بكر : يا رسول الله ! هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت •

واجتمع الناس لبيعة رسول الله ﷺ ، فجلس لهم على الصفا ، وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا •

فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء ، فقال لهن :

(١) الواقدي عن الزهري ص ٨٨٩ •

« بايعنني على ألا تشركن بالله شيئاً » .

فقالت هند بنت عتبة ، وكانت متنقبة متنكرة لما كان من صنيعها بحمزة. والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه من الرجال .

فقال : « ولا تسرقن » .

فقالت : والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهَنة بعد الهَنة ، وما كنت أدري أكان ذلك علينا حلالاً أم لا ؟ فقال أبو سفيان ، وكان شاهداً لما تقول : أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حِلّ .

فقال رسول الله ﷺ : « وإنكِ لهند بنت عتبة » ؟

قالت : نعم فاعفُ عما سلف ، عفا الله عنك .

ثم قال : « ولا يزنين » . فقالت : يا رسول الله ! وهل تزني الحرة !

ثم قال : « ولا تقتلن أولادكن » .

قالت : قد ربيناهم صغاراً ، أفنقتلهم كباراً ؟ فأنت وهم أعلم ! فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق .

ثم قال : « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » .

فقالت : والله إن إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التجاوز أمثل .

ثم قال : « ولا يعصينني » فقالت : في معروف .

وما كان يبايعهن إلا كلاماً . وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء ، ولا يمس إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه[1] .

---

(1) قالت عائشة : والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمره الله تعالى . وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط . وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن : « قد بايعتكن » كلاما . (مسلم ١٨٦٦) .

وقالت هند : يا رسول الله ! والله ما كان على ظهر الأرض خباء[1] أحب إليّ من أن يذلوا من أهل خبائك ؛ وما أصبح اليوم على ظهر الأرض أحب إليّ من أن يعزوا من أهل خبائك .

فقال رسول الله ﷺ : « وأيضاً والذي نفس محمد بيده »[2] .

وأقام رسول الله ﷺ بمكة خمسة عشر يوماً يقصر الصلاة[3] .

وقبل المسير الى هَوَازن بعث عدة سرايا نبينها فيما يلي :

---

(1) الخباء يعبر به عن مسكن الرجل وداره .

(2) رواه مسلم ٩ ـ ١٧١٤ والبيهقي .

(3) رواه أبو داود عن ابن عباس ، رقم (١٢٣١) ، وعمر بن شبة وابن ادريس وابن اسحق . وروى البخاري عن ابن عباس (٤٢٩٨ ، ٤٢٩٩) أنه أقام تسعة عشر يوما . ولا تتفق هذه المدة مع تاريخ دخوله مكة وخروجه منها الى حنين .

٤٩ ـ سرايـا أعقبت الفتـح :

٤٠ ـ سرية خالد بن الوليد الى بني جَذيمة :

بعثه في ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار وبني سُليم الى بني جَذيمة من كنانة[١] فدعاهم الى الاسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا ، صبأنا • فظن أنهم قالوا على سبيل الأنفة وعدم الانقياد الى الاسلام ؛ فقتل طائفة كبيرة منهم وأسر بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى •

فلما انتهى الخبر الى رسول الله ﷺ رفع يديه ثم قال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » ، ثم دعا علي بن أبي طالب ؛ فجاءهم ومعه مال ، فودى الدماء وما أصيب لهم من الأموال[٢] •

٤١ ـ سرية خالد بن الوليد لهدم العزى :

بعثه لخمس بقين من رمضان عامئذ في ثلاثين فارساً لهدم العزى ، وكانت بنخلة[٣] ، وكان يعظمها قريش وكنانة ومضر ، فخرب البيت التي هي فيه ، وأخذ ما كان فيه من الأموال وكسر الصنم، ورجعوا الى رسول الله ﷺ بمكة•

٤٢ ـ سرية عمرو بن العاص لهدم سُوَاع :

وهو أعظم صنم لهذيل ، وهيكله على ثلاثة أميال من مكة • فذهب إليه وهدمـه •

---

(١) كانوا بأسفل مكة من ناحية يلملم التي تبعد خمسين ميلا عن مكة •

(٢) رواه ابن اسحق وأحمد والبخاري (٤٣٣٩) والنسائي •

(٣) موضع على ليلة من مكة •

٤٣ ـ سرية سعد بن زيد الأشهلي لهدم مناة :

وهي صنم لكلب وخزاعة ، وكانت الأوس والخزرج يعظمونها. وهيكلها بالمشلل، وهو جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد، فتوجه إليها في عشرين فارساً فهدموها[1] .

(١) رجعنا في هذه السرايا وفي فتح مكة الى : السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص ٤٣٧ ـ ٨٣٩ ، تاريخ الطبري ج٣ ص ٤٢ ـ ٦٩ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٥٢٦ ـ ٦٠٩ ، فتح الباري ج٨ ص ٣ ـ ٢١ ، ٥٧ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ٧٠ ـ ١٠٥ ، ١٩٥ ـ ١٩٩ ، السيرة لأحمد دحلان ج٢ ص ٢٣٧ ـ ٢٩٤ ، سنن البيهقي ج٩ ص ١١٧ ـ ١٢٢ ، نور اليقين ص ٢٤٣ ـ ٢٥٣ .

٥٠ – 25 – غزوة حُنَين :

لما سمعت قبيلة هَوَازن بفتح مكة جمعها مالك بن عوف النصري للمسير الى رسول الله ﷺ ، واجتمع إليه ثقيف كلها ، واجتمعت نصر وجشم وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال ، وساق مع الناس نساءهم وأبناءهم ومواشيهم ، ونزلوا باوطاس[١] . وجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم .

ولما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق إليهم ، وعلم ما قد جمعوا له من حرب رسول الله ﷺ .ثم أتى فأخبره.

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير الى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعاً وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : يا أبا أمية ! أعرنا سلاحك نلق به عدونا غداً ، فقال صفوان : أغصباً يا محمد ؟ قال : بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك . قال : ليس بهذا بأس . فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح[٢] .

وخرج مع رسول الله ﷺ ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم ، فكانوا اثني عشر ألفاً . وكانت هوازن عشرين ألفاً . وكان خروجهم في خامس شوال[٣] سنة ثمان .

---

(١) واد في ديار هوازن .

(٢) رواه أحمد والنسائي والبيهقي (السنن الكبرى ج٦ ص ٨٩) .
ورواه أبو داود بلفظ : « فأعاره ما بين الثلاثين الى الأربعين درعاً » .
(مختصر سنن أبي داود رقم ٣٤١٩) .

(٣) قال الواقدي : ثم غدا يوم السبت لست ليال خلون من شوال . (المغازي ص ٨٨٩) .

ولما استقبلوا وادي حنين[1] انحدروا فيه في عماية الصبح[2] . وكان القوم قد سبقوهم الى الوادي فكمنوا في شعابه وأحْنَائه[3] ومضايقه . فما راعهم إلا الكتائب قد شدوا عليهم شدة رجل واحد ، وأمطروهم بوابل من السهام ؛ فانكفأ الناس منهزمين ؛ لا يلوي أحد على أحد .

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلموا إلي؛ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله،أنا النبي لا أكذب،أنا ابن عبد المطلب[4]، وبقي معه نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته . وطفق رسول الله ﷺ يَرْكُضُ بغلته[5] قِبَل الكفار ؛ والعباس آخذ بلجامها يكفها إرادة ألا تسرع ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « أي عباس ! نادِ أصحاب السمرة[6] » .

فقال العباس ـ وكان رجلاً صيتاً[7] ـ فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة ؟

قال : فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها .

فقالوا : يا لبيك ! يا لبيك ! فاقتتلوا والكفار[8] .

---

(١) واد الى جنب ذي المجاز قريب من الطائف ، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات .

(٢) ظلامه من قبل أن يتبين .

(٣) جوانبه .

(٤) أخرجه البخاري (٤٣١٦) ومسلم (١٧٧٦) وأحمد والنسائي عن البراء .

(٥) أي يضربها برجله على كبدها لتسرع .

(٦) يعني الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان .

(٧) قوي الصوت .

(٨) رواه مسلم عن العباس (١٧٧٥) .

وكان الرجل يريد أن يثني بعيره ، فلا يقدر على ذلك ؛ فيأخذ سيفه وترسه ، ويقتحم عن بعيره ، ويخلي سبيله ، ويؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله ﷺ .حتى إذا اجتمع منهم مائة استقبلوا الكفار فاقتتلوا .

ونظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال : « هذا حين حمي الوطيس » . ثم أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال : « انهزموا ورب محمد[1] » .

فما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف.وعسكر بعضهم بأوطاس . وتوجه بعضهم نحو نخلة .

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت من الإبل والغنم والرقيق ، وأمر أن تساق الى الجعرانة[2]،فتحبس هناك،وجعل عليها مسعود بن عمروالغفاري.

وقتل في هذه الغزوة أربعة من المسلمين ، وسبعون من المشركين[3] .

وأنزل الله في يوم حنين :

« لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين»

(سورة التوبة ٢٥ ـ ٢٦)

---

(١) رواه مسلم (١٧٧٥) .

(٢) تقع على الطريق الشمالي الشرقي من مكة الى الطائف على مسافة أكثر من ٢٠ كم وهي خارج الحرم .

(٣) سيرة ابن هشام ج٢ ص ٤٣٧ ـ ٤٥٩ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٦١٠ ـ ٦٤٤ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ١٠٥ ـ ١١٤ ، ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

وهكذا كان الزهو والعجب بالكثرة ، واشتمال الجيش على أفراد ليسوا مربين تربية اسلامية صحيحة ، من الألفين الذين انضموا إليه من أهل مكة سبباً في تلك الهزيمة المنكرة.ثم كان ثبات الرسول ﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار سبباً في النصر .

٤٤ ـ سرية أبي عامر الأشعري :

بعث رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري في آثار من توجه قبل أوطاس. فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال ، فرمي أبو عامر بسهم فقتل . فأخذ الراية ابن عمه[١] أبو موسى الأشعري ، فقاتلهم حتى هزمهم[٢].

وسار رسول الله ﷺ الى الطائف حين فرغ من حنين .

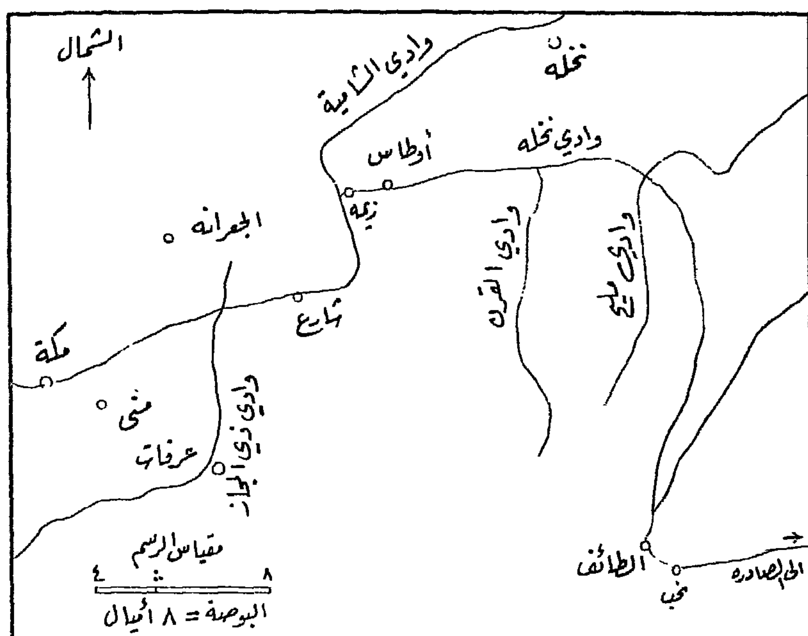
وهذا مخطط بمواقع غزوة حنين والطائف[٣] .

انظر المخطط على الصفحة ـ ٦٦٦ ـ

(١) وقيل ابن أخيه .

(٢) رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨) وابن اسحق .

(٣) مقتبسة من كتاب سيف الله خالد بن الوليد ـ الجنرال أ. أكرم ص ١٢٤ .



الشمال
وادي الشامية
نخله
أوطاس
وادي نخله
زيمه
الجعرانه
شرايع
مكة
منى
عرفات
وادي ذي المجاز
وادي القرن
وادي ليه
الطائف
نخب
الى الصادره
مقياس الرسم
٤
٨
البوصة = ٨ أميال

٥١ ـ 26 ـ غزوة الطائف :

لما قدم فَلّ ثقيف الطائف أغلقوا أبواب مدينتهم ، واستعدوا للقتال. ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف . فقتل ناس من أصحابه بالنبل ؛ فتأخروا عن السور ، وحاصروهم بضعاً وعشرين ليلة(١) يقاتلونهم من وراء حصنهم .

ثم رماهم المسلمون بالمنجنيق ، ودخل نفر منهم تحت دبابة(٢)، ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه . فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها . فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالا ؛ فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون . وبعثوا إليه : أن دعها لله وللرحم . فتركها .

وبعث رسول الله ﷺ منادياً ينادي : « من خرج إلينا من العبيد فهو حر » . فخرج إليه نفر منهم فأعتقهم .

عن ابن عباس قال : « لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف أعتق من خرج إليه من رقيقهم(٣) » .

وبعد هذا الحصار قال الرسول ﷺ : « إنا قافلون إن شاء الله » ...

---

(١) وقيل : عشرين يوماً . وقيل بضع عشرة ليلة .

(٢) كانت الدبابة آلة تصنع من الخشب وتغطى بالجلود ، ثم يدخل فيها الرجال ، فتوضع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها .

(٣) رواه أحمد في المسند رقم ٣٢٦٧ ، ٣٤١٥ .

فثقل على الصحابة وقالوا : نذهب ولا نفتحه ! فقال : « اغدوا على القتال ». فغدوا فأصابهم جراح ، فقال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » . فأعجبهم . فضحك النبي ﷺ[1] .

فلما أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ[2] . وقالوا له : يا رسول الله ! أحرقتنا نبال ثقيف فادعُ الله عليهم . فقال : « اللهم إهد ثقيفاً[3] » .

وجميع من استشهد في هذا الحصار أحد عشر رجلاً[4] .

---

(١) رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، البخاري رقم ٤٣٢٥ ومسلم رقم ١٧٧٨ .

(٢) انتهى الحصار في الرابع من ذي القعدة الموافق للثالث والعشرين من شباط .

(٣) رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .

(٤) ذكر ابن اسحاق انهم اثنا عشر رجلا : سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ، ورجل من بني ليث . وعد فيهم عبد الله بن أبي بكر الصديق ، وقال عنه : رمي بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ ! ولهذا لم أعده بين القتلى . (سيرة ابن هشام جـ٢ ص ٤٧٨ ـ ٤٨٧ ، السيرة النبوية لابن كثير جـ٣ ص ٦٥٢ ـ ٦٦٤ فتح الباري جـ٨ ص ٤٣ ـ ٤٦ ، السيرة الحلبية جـ ٣ ص ١١٤ ـ ١١٩ .

٥٢ ـ قسمة غنائم هوازن :

نزل الرسول ﷺ الجعرانة فيمن معه من المسلمين بعد أن انصرف عن الطائف ، وقد وصل إليها في خامس ذي القعدة . ثم احصى الغنائم ، فاتبعه الناس يسألونه أن يقسمها عليهم حتى اضطروه الى سَمُرة[١] ، فخطفت رداءه . فوقف النبي ﷺ فقال : « اعطوني ردائي ، لو كان لي عدد هذه العضاه[٢] نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوباً ولا جباناً »[٣] .

ثم قام الى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين اصبعيه ثم رفعها فقال : « أيها النـاس ! والله مالي من فيئكم ولا هـذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم[٤] . فأدّوا الخِياط والمخيط[٥] ، فإن الغلول عار ونار وشنار[٦] على أهله يوم القيامة » .

وأعطى رسـول الله ﷺ حينئذ عـدداً من أشراف الناس يتألف بهم قلوبهم، فأعطى كلا من أبي سفيان بن حرب وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمرو ، وعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وصفوان بن أمية، وآخرين مائة بعير . واعطى دون المائة رجالا من قريش . وكان هذا العطاء من سهمه من الخمس .

---

(١) السَمُرَة : شجرة من شجر البادية ، طويلة ، متفرقة الرأس ، قليلة الظل ، صغيرة الورق والشوك ، صلبة الخشب .

(٢) العضاه شجر ذو شوك . وقال الداودي : السمرة هي العضاه .

(٣) رواه البخاري عن جبير بن مطعم ، رقم (٢٨٢١) .

(٤) أخرجه أبو داود رقم (٢٦٩٤) والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو .

(٥) الخِياط : الخيط . والمخيط : الإبرة .

(٦) الشنار : أقبح العار .

فقـال ناس مـن الأنصار : يغفـر الله لرسول الله ﷺ ، يعطي قريشاً ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم !

فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم ؛ فأرسل الى الأنصار فجمعهم في قبـة من أدَم ، ولـم يدعُ معهم غيرهم . فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقـال : « ما حديث بلغني عنكم ؟ »

فقال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً . وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ، يعطي قريشاً ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم !

فقال رسول الله ﷺ : « فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم. أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون بالنبي الى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به » .

قالوا : يا رسول الله ! قد رضينا .

فقال لهم النبي ﷺ : « ستجدون أثرة شديدة ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ، فإني على الحوض »(١) .

ثم جاء وفد هوازن ، وفيهم تسعة نفـر من أشرافهم ، وقـد أسلموا فقالوا : يا رسول ! إنا أهل وعشيرة ، وقـد أصابنا من البلاء مالم يخفَ عليك ، فامنن علينا ، منّ الله عليك . وقام خطيبهم فقال : يا رسول الله ! إن اللواتي في الحظـائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، وأنت خـير المكفولين . وأنشده أبياتاً يستعطفه فيهـا . وسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم .

(١) رواه البخاري عن أنس بن مالك ، رقم ٤٣٣١ .

فقال لهم : « معي من ترون . وأحب الحديث إليّ أصدقه ؛ فاختاروا احدى الطائفتين : إما السبي وإما المال . وقد كنت استأنيت بكم » .

وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف .

فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا احدى الطائفتين قالوا : فإنا نختار سبينا .

فقام رسول الله ﷺ في المسلمين ، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « أما بعد ، فإن إخوانكم قد جاؤوا تائبين ؛ وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يُطيب(١) ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل » .

فقال الناس : قد طيّبنا ذلك يا رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ : « إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن ، فاجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » .

فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم . ثم رجعوا الى رسول الله ﷺ فأخبروه بأنهم قد طيبوا وأذنوا(٢) .

وذكر ابن اسحق ان الأقرع بن حابس وبني تميم ، وعيينة وبني فزارة، والعباس بن مرداس لم يأذنوا بذلك . فقال رسول الله ﷺ : « من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول فيء نصيبه » .

فردوا الى الناس نساءهم وأبناءهم .

وسأل الرسول ﷺ وفد هوازن عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا :

---

(١) أي يعطيه عن طيب نفس من غير عوض .

(٢) رواه البخاري عن المِسوَر بن مخرمة ومروان بن الحكم ، رقم : ٤٣١٨ ، ٤٣١٩ ، وأبو داود ، رقم : ٢٦٩٣ ، ٢٦٩٤ .

هو بالطائف مع ثقيف . فقال : « أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الأبل .

فأتى مالك بن عوف بذلك ، فخرج من الطائف ليلا ، فلحق برسول الله ﷺ . فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الابل ، واستعمله على من أسلم من قومه . فكان يقاتل بهم ثقيفاً ، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم [1] .

عمـرة الجِعرانـة :

ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً . وكانت عمرته في ذي القعدة[2] . فلما فرغ من عمرته انصرف راجعاً الى المدينة . واستخلف عتّاب ابن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن .

وقدم المدينة يوم الجمعة لثلاث ليال بقين من ذي القعدة[1] .

---

(١) تهذيب السيرة جـ٢ ص ٨٤ ـ ٩١ ، المغازي للواقدي جـ٣ ص ٩٧٣ ، السيرة النبوية لابن كثير جـ٣ ص ٦٦٧ ـ ٦٩٨ ، فتح الباري جـ٨ ص ٤٦ ـ ٥٦ ، السيرة الحلبية جـ٣ ص ١١٩ ـ ١٢٩ .

(٢) رواه البخاري عن أنس وهمام ، رقم : ١٧٧٨ ، ١٧٨٠ ، ومسلم وأبو داود والترمذي .

٥٣ ـ سرايا السنة التاسعة :

بعث رسول الله ﷺ المصدقين يأخذون الصدقات من الأعراب لما رأى هلال المحرم من سنة تسع[١] . وبعث عدداً من السرايا هي :

٤٥ ـ سرية عيينة بن حصن الى بني تميم :

بعثه في المحرم من هذه السنة الى بني تميم ليغزوهم في خمسين فارساً ؛ لأنهم منعوا بشر بن سفيان من أخذ صدقات بني كعب . فأسر منهم عدداً من الرجال والنساء والصبيان وساقهم الى المدينة .

فقدم فيهم عدد من رؤسائهم ، وأعلنوا اسلامهم . فرد عليهم اسراهم . وأكرمهم ، كما سيأتي في الوفود .

٤٦ ـ سريـــة قطبة بن عامر :

بعثه في عشرين رجلا الى حي من خثعم بناحية تبالة قريب من تُربــة ، فخرجوا إليهم ، وشنوا الغارة عليهم ، فاقتتلوا ، وقتل قطبة . ثم ساقوا النعم والنساء والشاء الى المدينة . وكانت في صفر من هذه السنة .

٤٧ ـ سرية الضحاك بن سفيان الكلابي :

بعثه الى بني كلاب في ربيـــع الأول . فدعوهم الى الاسلام فأبــوا ، فقاتلوهم ،فهزموهم وغنموا أموالهم .

٤٨ ـ سرية علي بن أبي طالب الى طيء :

بعثه في ربيع الأول في مائة وخمسين رجلا من الأنصار الى صنم طيء ليهدمه[٢] . فهدموه ، ورجعوا بالسبي والنعم والشاء .

---

(١) المغازي للواقدي جـ٣ ص ٩٧٣ .

(٢) واسم الصنم الفُلْس .

وكان في السبي سَفّانة أخت عدي بن حاتم. فمن عليها رسول الله ﷺ، فأتت أخاها الذي فر الى الشام ؛ ورغبته في المجيء إليه ، فقدم على رسول الله ﷺ المدينة . فدخل عليه وهو في مسجده ، فسلم عليه فقال : من الرجل : قال : عدي بن حاتم . فقام رسول الله ﷺ فانطلق الى بيته . فلقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها .

قال عدي : قلت في نفسي : والله ما هذا بملك . قال : ثم مضى بي حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إلي فقال : اجلس على هذه .

قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال بل أنت . فجلست عليها . وجلس رسول الله ﷺ بالأرض . قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك .

ثم قال : « لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم . فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه . ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم . فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف . ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم . وايم والله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم » .

قال : فأسلمت .

٤٩ ـ سرية علقمة بن مُجَزِّز[1] المدلجي :

بعثه في شهر ربيع الآخر . في ثلاثمائة الى جزيرة في البحر مقابل جدة ، لما بلغه أن جمعاً من الحبشة هناك يريدون الاغارة عليها . فخاض إليهم البحر ، فهربوا منه[2] .

---

(١) قال عياض ، وقع لأكثر الرواة بسكون المهملة وكسر الراء المهملة (مُحرِز) وعن القابسي بجيم ومعجمتين (مجزز) ، وهو الصواب .

(٢) سيرة ابن هشام ق٢ ص ٥٧٨ ـ ٥٨١ ، زاد المعاد جـ٢ ص ٢٠١ ـ ٢٠٥ . السيرة الحلبية جـ٣ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٥ ، السيرة النبوية لأحمد دحلان جـ٢ ص ٣١٤ ـ ٣٢٠ .

٥٤ ـ 27 ـ غـزوة تبـوك :

بلغ رسول الله ﷺ أن الروم جمعت الجموع تريد غزوه في بلاده . فأمر الناس بالتهيؤ لغزوهم ، وذلك في زمن عسرة من الناس وشـدة من الحر وجدب من البلاد ، ولذلك سميت بغـزوة العسرة ، وحين طابت الثمـار والظلال ، وأصبح الناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم .

وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها،وورى بغيرها[١] إلا ما كان من غزوة تبوك[٢] . فإنه بينه للناس لبعد الشقة[٣] وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد إليه[٤] ؛ ليتأهب الناس لذلك أهبته[٥] .

وحض رسول الله ﷺ أهل الغنى على النفقة والحملان[٦] في سبيل الله. فحمل رجال واحتسبوا،وأنفق عثمان بن عفان ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم جاء بألف دينار فصبها في حِجر النبي ﷺ . فجعل يقلبها بيده ويقول : « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم[٧] » .

وانتحل المنافقون الأعذار . فمنهم من اعتذر بشدة الحر . فأنزل الله فيهم:

---

(١) رواه أبو داود عن كعب بن مالك ، وهو صحيح، والتورية أن يذكر لفظا يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر ، فيوهم ارادة القريب ، وهو يريد البعيد .

(٢) موضع بين وادي القرى والشام ، بينه وبين المدينة ٧٠٠ كم . وكانت أرضا لا بناء فيها .

(٣) المسير .

(٤) يقصده .

(٥) الأهبة : ما يحتاج إليه في السفر والحرب .

(٦) ما يحمل عليه من الدواب .

(٧) رواه أحمد والترمذي والحاكم .

« وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون » • (سورة التوبة ٨١)

وقال الجد بن قيس أحد بني سلمة لرسول الله ﷺ : « أو تأذن لي ولا تفتني • فوالله لقد عرف قومي أنه ما رجل بأشد عجباً بالنساء مني • وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر[1] ألا أصبر ». فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : « قد أذنت لك » •

وفيه أنزل الله :

« ومنهم من يقول ائذن لي ولا تَفْتِنِّي ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » • (سورة التوبة ٤٩)

ومن الناس من جاؤوا الى رسول الله ﷺ ليحملهم حتى يصحبوه في غزوته هذه ، فلم يجدوا عنده من الظهر ما يحملهم عليه ، فرجعوا وهم يبكون تأسفاً على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله والنفقة فيه ؛ فأنزل الله فيهم وفي أصحاب الأعذار قوله :

« ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم • ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينُهم تفيض من الدمع حزَناً ألاّ يجدوا ما ينفقون • إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضُوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لايعلمون» (سورة التوبة ٩١ ــ ٩٣)

---

(١) أي الروم •

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب .

وخرج الرسول ﷺ في شهر رجب سنة تسع[1] ، ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس ، فيهم عشرة آلاف فارس . فلما سار تخلف عنه عبد الله ابن أبي في طائفة من المنافقين وأهل الريب . واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن قشلمة الأنصاري ، وخلف علي بن أبي طالب على أهله ، وأمره بالاقامة فيهم . فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استثقالاً له وتخففا منه . فأخذ علي سلاحه ، ثم خرج حتى لحق برسول الله ﷺ وهو نازل بالجُرف[2] ، فأخبره بما قالوا . فقال : « كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك . ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس نبي بعدي » . فرجع علي . ومضى رسول الله ﷺ في سفره[3] .

ولما مر النبي ﷺ بالحجر[4] قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم[5] ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين » . ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي[6] .

---

(١) الموافق لأيلول ٦٣٠ م

(٢) موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .

(٣) رواه البخاري ، رقم (٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤) وابن اسحق ، عن سعد بن أبي وقاص .

(٤) وهي منازل ثمود .

(٥) أي كراهية أو خشية أن يصيبكم .

(٦) أي قطعه ، والحديث رواه البخاري (٣٣٨١ ، ٤٤١٩) ومسلم (٢٩٨٠) وأحمد عن عبد الله بن عمر .

واستقى الناس من آبارها ، وعجنوا به العجين . فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ، ويعلفوا الإبل العجين . وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة[1] .

وقبل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح . وكان قد قال لبلال : اكلأ لنا الفجر . فأسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه . ثم قال له ﷺ : ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر ؟ قال يا رسول الله ! ذهب بي مثل الذي ذهب بك . فانتقل رسول الله ﷺ من منزله غير بعيد ، ثم صلى .

وكان رسول الله ﷺ يجمع الصلاة . فأخر الصلاة يوماً ، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً . ثم دخل ، ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً . ثم قال : « إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يُضْحِى النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي ». فسبق إليها رجلان ، والعين مثل الشِّراك تَبَضُّ[2] بشيء من ماء . فسألهما رسول الله ﷺ ، هل مسستما من مائها شيئاً ؟ قالا : نعم . فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول . ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شن . ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء غزير حتى استقى الناس . ثم قال : « يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملىء جناناً[3] .

---

(1) رواه البخاري (٣٣٧٩) ومسلم (٢٩٨١) عن عبد الله بن عمر .

(2) تَبض : تسيل ، والشراك : سير النعل . ومعناه : ماء قليل جداً .

(3) اخرجه مسلم ١٠ ــ (٧٠٦) ومالك عن معاذ بن جبل ، وابو نعيم الأصبهاني (دلائل النبوة : ١٨٩ ــ ١٩٠) .

ولم يرَ ﷺ بتبوك جيشاً كما كان قد سمع . فأقام هناك أياماً جاءه في أثنائها يُحَنَّة بن رؤبة صاحب أيْلة ، فصالح رسول الله ﷺ،وأعطاه الجزية. وأتاه أهل جَرْباء[1] وأذْرُح[2] فأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً يؤمنهم فيه .

٥٠ سرية خالد بن الوليد الى دومة الجندل :

ثم إن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل ، وهو رجل من كنده ، وكان ملكاً نصرانياً من قبل هرقل . فقدم به خالد على رسول الله ﷺ ، فصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع الى قريته[3] .

عودتــــه :

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة،ثم انصرف قافلاً الى المدينة. وأصاب الناس مجاعــة فقالوا : يا رسول الله ! لو أذنت لنــا فنحرنا نواضحنا ، فأكلنا وأدهنا . فقال لهم رسول الله ﷺ : افعلوا .

فجاء عمر فقال : يا رسول الله ! إنهم إن فعلوا ذلك قل الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم . فجعل الرجل يجيء بكف الذرة ، والآخر بكف التمر، والآخر بالكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شي يسير . ثم دعا عليــه بالبركة ، ثم قال : خذوا في أوعيتكم .

قال : فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا من العسكر وعاء إلا ملؤوه ، وأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت منه فضلة .

---

(١) قرية في جنوب الشام .
(٢) مدينة تلقاء السراة .
(٣) رواه أبو داود ، رقم (٣٠٣٧) .

يافا
البحر الأبيض المتوسط
غزه
القدس
عمان
مؤته
أذرح
معان
البتراء
أيله
خليج العقبة
تبوك
بنو كلب
سرية خالد
دومة الجندل
تيماء
مدائن صالح
الحجر
وادي القرى
خيبر
فدك
غطفان
المدينة

غزوات: خيبر، مؤته، تبوك
، دومة الجندل
من الأطلس التاريخي - عدنان العطار
ص ١٥

فقال رسول الله ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بها عبد غير شاك فتحجب عنه الجنة[1] .

وتعرض رسول الله ﷺ لمؤامرة من المنافقين أثناء رجوعه ؛ إذ هَمَّ جماعة منهم أن يطرحوه من رأس عقبة في الطريق . وكان قد أمر منادياً فنادى: إن رسول الله آخذ بالعقبة ، فلا يأخذها أحد . وصعد العقبة ، وسلكها معه أولئك النفر ، وقد تلثموا . وأمر رسول الله ﷺ عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه ؛ عمار آخذ بزمام الناقة ، وحذيفة يسوقها . فبينما هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم قد غشوهم . فغضب رسول الله ، وأبصر حذيفة غضبه ، فرجع إليهم ومعه محجن ، فاستقبل وجوهَ رواحلهم بمحجنه . فلما رأوا حذيفة ظنوا أن قد أُظهر على ما أضمروه من الأمر العظيم ؛ فأسرعوا حتى خالطوا الناس .

وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ، فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ووقفوا ينتظرون الناس . ثم قال رسول الله ﷺ لحذيفة : « هل عرفت هؤلاء القوم ؟ » قال : ما عرفت إلا رواحلهم في ظلمة الليل حين غشيتهم . ثم قال : « علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب ؟ » قالا : لا . فأخبرهما بما كانوا تمالؤوا عليه . فقالا : يا رسول الله ! أفلا تأمر بقتلهم ؟ فقال : « أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » . وأعلم حذيفة بأسمائهم، واستكتمه ذلك . وكانوا أربعة عشر رجلا[2] .

---

(١) رواه أحمد عن أبي سعيد (جـ٣ ص ١١) .
(٢) رواه البيهقي عن حذيفة ، وأحمد ومسلم [١١ ـ (٢٧٧٩)] عن أبي الطفيل، وابن اسحق .

وفيهم أنزل الله عز وجل : « وهَمّوا بما لم ينالوا » .
(سورة التوبة ٧٤)

ولما دنا الرسول ﷺ من المدينة قال : « إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم » . فقالوا : يا رسول الله ! وهم بالمدينة ؟ قال : « وهم بالمدينة ، حبسهم العذر[1] » .

وساروا حتى إذا أشرفوا على المدينة قال : « هذه طابة ، وهذا أحد ، جبل يحبنا ونحبه[2] » .

مسجد الضرار :

لقد بنى طائفة من المنافقين مسجداً قريباً من مسجد قباء ، وأرادوا بذلك مضاهاته وتفريق الجماعة عنه ، وجعلوه مقراً للنفاق والتآمر على رسول الله ﷺ . وأرادوا أن يصلي لهم رسول الله ﷺ فيه حتى يروج ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد . فأتوه وقالوا : يا رسول الله ! إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة الشاتية . وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه . فقال : إني على جناح سفر وحال شغل . ولو قدمنا ــ إن شاء الله ــ لأتيناكم فصلينا لكم فيه .

فلما عاد من تبوك ، ونزل بذي أوان[3] نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد ، وهو قوله تعالى :

---

(١) رواه البخاري عن أنس بن مالك (٤٤٢٣) .

(٢) رواه البخاري (٤٤٢٢) ومسلم (١٣٩٢) ، عن أبي حميد .

(٣) مكان بينه وبين المدينة ساعة . وقال البكري : أظن أن الراء سقطت من بين الهمزة والواو . أي « أروان » منسوب الى البئر المشهورة .

« والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون • لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه • فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين • أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم مَنْ أسس بنيانه على شفا جُرُف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين • لا يزال بنيانهم الذي بَنَوا رِيبة في قلوبهم إلا أن تقطَّع قلوبهم والله عليم حكيم » •

(سورة التوبة ١٠٧ ــ ١١٠)

فدعا الرسول ﷺ رجلين ، وأمرهما أن يذهبا الى هذا المسجد الظالم أهله ، فيحرّقاه بالنار • فذهبا فحرّقاه وهدماه • وتفرق عنه أهله •

قدومــه المدينــة :

ووصل الى المدينة في شهر رمضان • وخرج الناس لتلقيه • وكان النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع(١)

---

(١) قال البيهقي : وهذا ما يذكره علماؤنا عند مقدمه من مكة ، إلا أنه لما قدم المدينة من ثنيات الوداع عند مقدمه من تبوك • والله أعلم •
وقال ابن القيم : » وبعض الرواة يهم في هذا ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه المدينة ؛ وهو وهم ظاهر لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام ، لا يراها القادم من مكة الى المدينة ولا يمر بها إلا إذا توجه الى الشام » •
(زاد المعاد جـ٣ ص ١٠) •

ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين • ثم جلس للناس ، فجاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له • وكانوا بضعة وثمانين رجلاً • فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم ، واستغفر لهم ؛ ووكل سرائرهم الى الله •

التوبة على المخلفين :

ثم جاءه كعب بن مالك فسلم عليه وقال : إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً • ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تَجِدُ[1] عليه فيه إني لأرجو فيه عفو الله • لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك •

فقال رسول الله ﷺ : « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك » •

وكذلك قال مرارة بن الربيع وهلال بن أمية •

ونهى رسول الله ﷺ عن كلام هؤلاء الثلاثة من بين من تخلف عنه • فاجتنبهم الناس وتغيروا لهم حتى تنكرت في نفوسهم الأرض • حتى إذا مضت أربعون ليلة أمرهم رسول الله ﷺ باعتزال نسائهم • فلبثوا بعد ذلك عشر ليال ، حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامهم • ثم أنزل الله :

« لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم

---

(١) أي تغضب •

إنه بهم رؤوف رحيم • وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم • يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » •

(سورة التوبة ١١٧ ـ ١١٩)

وآذن الرسول ﷺ بتوبة الله عليهم حين صلى الفجر،فذهب الناس يبشرونهم؛ وانطلقوا الى رسول الله ﷺ ، فتلقاهم الناس يهنونهم بالتوبة •

وأما الذين حلفوا لرسول الله ﷺ واعتذروا إليه كذباً فأنزل الله فيهم :

« سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتُعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رِجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون • يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين[1] » •

أهمية الغزوة ومجموع الغزوات :

دخلت حروب المسلمين مع أعدائهم بهذه الغزوة مرحلة جديدة ؛ فبعد أن كانت موجهة نحو قبائل المشركين في جزيرة العرب أصبحت موجهة ضد الدول العظمى الواقعة على حدودهم • وكان الروم أقوى دول العالم في ذلك الحين بدليل انتصارهم على الفرس الذين كانوا ينازعونهم في القوة والعظمة •

وكانت غزوة مؤتة تمهيداً لهذه المرحلة التي بدأها رسول الله ﷺ ، ولم تنتهِ حتى فتح خلفاؤه من بعده مشارق الأرض ومغاربها ، فقضوا على دولة

---

(١) الآية في سورة التوبة : ٩٥ ـ ٩٦ •
والحديث رواه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) ، عن كعب •

الفرس ، وانتصروا على دولة الروم ، ووصلت جيوشهم الى أسوار الصين وجنوب فرنسا .

وغزوة تبوك هي آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ .

ومجموع الغزوات التي خرج فيها بنفسه سبع وعشرون كما عدها ابن اسحق[1] والواقدي وابن سعد . وقد قاتل منها في تسع : بدر وأحد والأحزاب ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، ثم مكة وحنين والطائف[2] .

(١) لم يعد غزوة بني قينيقاع ، وعد عمرة القضاء (ق٢ ص ٦٠٨) .

(٢) تهذيب السيرة جـ٢ ص ٩٦ ـ ١٠٦ ، السيرة لابن كثير جـ٤ ص ٣ ـ ٥٢ ، زاد المعاد جـ٣ ص ٢ ـ ٢٥ ، فتح الباري جـ٧ ص ٢٨١ ، جـ٨ ص ١١٠ ـ ١٢٦ ، السيرة الحلبية جـ٣ ص ١٢٩ ـ ١٥٠ ، ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، السيرة لأحمد دحلان جـ٢ ص ٣٢١ ـ ٣٣٨ ، نور اليقين ص ٢٦٩ ـ ٢٧٥ .

٥٥ ـ قدوم الوفود الى المدينة :

لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك أتت إليه الوفود من كل وجه . وذلك لأن العرب كانت تربص بالاسلام أمر قريش ، وكانت قريش تحارب رسول الله ﷺ وتخالفه ، فلما دانت بالاسلام ، عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله أفواجاً . وكانت كل قبيلة تبعث وفداً الى رسول الله ﷺ ليبايعوه على الاسلام،ويتعلموا أحكامه ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

١ ـ وفد ثقيف :

لما انصرف الرسول ﷺ عن الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل الى المدينة فأسلم . ورجع الى قومه ، فدعاهم الى الاسلام ، فرموه بالنبل ، فأصابه سهم فقتله .

ثم إنهم رأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب الذين أسلموا، فأجمعوا على أن يرسلوا رجالا الى رسول الله ﷺ . فقدم عليه ستة منهم في رمضان بعد رجوعه من تبوك .

وسألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى ذلك عليهم . فما برحوا ينقصون المدة ويأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى .

وسألوه أن يعفيهم من الصلاة ، فقال لهم : « لا خير في دين لا صلاة فيه » . وسألوه أن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم ، فأجابهم الى ذلك .

فلما أسلموا جعل عثمان بن أبي العاص أميراً عليهم ، وكان من أحدثهم سناً ، لأنه كان أحرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن . ورجعوا الى قومهم فأسلموا جميعاً .

وأرسل الرسول ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة الى اللات فهدماها ٠

٢ ـ وفد بني تميم :

قدم عُطَارِد بن حاجب في ثمانين أو تسعين من أشراف بني تميم ، منهم الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعُيينة بن حصن ٠ وكان الأقرع وعيينة قد شهدوا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنين والطائف ؛ فلما قدم الوفد كانا معهم ٠

ولما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته أن اخرج إلينا يامحمد ، فنزل فيهم :

« إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ٠ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم» ٠
(سورة الحجرات ٤ ـ ٥)

وخرج إليهم رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ! قد جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ٠ قال:« قد أذنت لخطيبكم فليقل » ٠ فقام عطارد بن حاجب فافتخر بشرفهم وعزتهم وفضلهم وعددهم وثروتهم ٠ فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس : « قم فأجب الرجل في خطبته » ٠ فقام وقال كلمته ٠

ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر ، فافتخر بشجاعة قومه وكرمهم ٠ فأمر الرسول ﷺ حسان بن ثابت أن يجيبه فيما قال ٠ فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع بن حابس : وأبي إن هذا لـمُؤتى له ! لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا ٠

ثم أسلم القوم ، وجوّزهم الرسول ﷺ ، فأحسن جوائزهم[1] ٠

---

(١) السيرة لابن هشام ق ٢ ص ٥٦٠ـ٥٦٧ ، السيرة لابن كثير ج٤ ص٧٨ـ٨٦ ٠

٣ ـ وفد صُداء :

لما انصرف رسول الله ﷺ من الجعرانة سنة ثمان بعث قيس بن سعد بن عبادة الى ناحية اليمن ، وأمره أن يطأ صُداء ، فعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين .

وقدم زياد بن الحارث الصدائي ، فسأل عن ذلك البعث ، فأخبر بهم ؛ فخرج سريعاً حتى ورد على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! بلغني أنك تبعث الى قومي جيشاً ، فاردد الجيش ، وأنا لك بقومي . فردهم رسول الله ﷺ . وكتب إليهم زياد كتاباً .

فقدم منهم خمسة عشر رجلا ، فأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ على من وراءهم من قومهم . ورجعوا الى بلادهم ، ففشا فيهم الاسلام . فوافى النبي ﷺ مائة رجل منهم في حجة الوداع[1] .

٤ ـ وفد بني أسد :

قدم على رسول الله ﷺ في أول سنة تسع وفد بني أسد ، وكانوا عشرة. فقال له رئيسهم حضرمي بن عامر : يا رسول الله ! أتيناك تتدرع الليل البهيم في سنة شهباء[2] ، ولم تبعث إلينا بعثاً . فنزل فيهم قوله تعالى :

« يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ اسلامكم بل الله يَمُنُّ عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين » .

(سورة الحجرات ١٧)

وكان فيهم قبيلة يقال لهم بنو الزّنية[3] . فغير اسمهم فقال : « أنتم بنو الرّشدة[4] » .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٩١ ، السيرة لابن كثير ج٤ ص١٦١ـ١٦٣

(٢) أي ذات قحط .

(٣) أي الحمق . وعند ابن سعد : وكان معهم قوم من بني الزّنية .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص ٥٨ ، السيرة لابن كثير ج٤ ص ١٧٠ .

٥ ـ وفد نجران :

كتب رسول الله ﷺ الى نجران[1] كتاباً قال فيه : « أما بعد فإني أدعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد . فإن أبيتم فالجزية . فإن أبيتم آذنتكم بحرب . والسلام » .

فلما أتى الأسقف الكتاب ، جمع الناس وقرأه عليهم ، وسألهم عن الرأي فيه ؟فاجتمع أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شُرَحبيل بن وداعة الهَمْداني ، وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي ، وجبّار بن فيض الحارثي ، فيأتوهم بخبر رسول الله ﷺ .

فانطلق الوفد الى المدينة ، وأتوا رسول الله ﷺ ، وساءلهم وساءلوه حتى قالوا : ما تقول في عيسى ؟

فقال رسول الله ﷺ : هو عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم .

فغضبوا وقالوا : إن كنت صادقاً فأرنا عبداً لله يحي الموتى ، ويشفي الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين طيراً ، فينفخ فيه فيطير !

فسكت عنهم ، فنزل قوله تعالى :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم » .
(سورة المائدة ١٧)

« إن مَثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل[2] فنجعل لَعْنَتَ الله على الكاذبين » . (سورة آل عمران ٥٩ ـ ٦١)

---

(١) نجران بلد كبير على سبع مراحل من مكة ، نحو ١٨٠ كم ، الى جهة اليمن .
(٢) اي ندعو باللعنة ، أو نجتهد بالدعاء .

فأبوا أن يقروا بذلك . فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملا على الحسن والحسين في خميل له ، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة . فأبوا ملاعنته ، ونزلوا على حكمه . فصالحهم على ألفي حلة في العام : ألف في رجب ، وألف في صفر . ثم انصرفوا الى نجران(١) .

وذكر محمد بن اسحق ان وفد نصارى نجران كانوا ستين راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، وأمرهم يؤول الى ثلاثة : العاقب(٢) أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم ، والسيد(٣) صاحب رحلهم ومجتمعهم ، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبرهم وصاحب مدراسهم .

وذكر أنهم دخلوا المسجد بعد صلاة العصر ، عليهم ثياب الحبرات ، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون . فقال رسول الله ﷺ دعوهم . فصلّوا الى المشرق .

وسألوا رسول الله ﷺ أن يبعث معهم رجلاً أميناً فقال : « لأبعثن معكم رجلاً أميناً حقَّ أمين » . فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ . فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح .فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة(٤)» .

٦ ـ وفد بني عامر :

قدم وفد بني عامر ، وفيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس ، فانتهيا الى رسول الله ﷺ ، فقال عامر : يا محمد ! ما تجعل لي إن أسلمت ؟

---

(١) رواه أبو داود عن ابن عباس (٣٠٤١) والبيهقي .
(٢) اسمه عبد المسيح .
(٣) قيل : اسمه الأيهم .
(٤) الحديث أخرجه البخاري (٤٣٨٠) ومسلم (٢٤٢٠) ، عن حذيفة .
ومراجع البحث هي : السيرة لابن هشام ق١ ص ٥٧٣ ـ ٥٨٤ ، السيرة لابن كثير ج ٤ ص ١٠٠ ـ ١٠٨ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ٢١٢ .

فقال رسول الله ﷺ : « لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم » .

قال عامر : أتجعل لي الأمر من بعدك ؟

قال : « ليس ذلك لك ولا لقومك . ولكن لك أعنّة الخيل » .

قال : أنا الآن في أعنّة خيل نجد . اجعل لي الوبر ، ولك المَدَر .

قال : لا .

فلما قفل من عنده قال عامر : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالاً .

فقال رسول الله ﷺ : يمنعك الله[1] .

وكان عامر يريد الغدر برسول الله ﷺ . وقد قال له قومه : يا عامر ! إن الناس قد أسلموا فأسلم .

قال : والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأربدَ : إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعْلُه بالسيف .

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لاربد : ويلك يا اربد ! أين ما كنت أمرتك به ؟ .

قال : لا أبالك ، لا تعجل علي ، والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل ، حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف !

وخرجوا راجعين الى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر الطاعون في عنقه فمات . وأرسل على أربد صاعقة فأحرقته[2] .

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير .

(٢) السيرة لابن هشام ق٢ ص٥٦٧ـ٥٦٩ ، السيرة لابن كثير ج٤ ص١٠٩ـ١١٦ .

٧ ـ وفد بني سعد :

بعث بنو سعد بن بكر ضمامَ بن ثعلبة وافداً الى رسول الله ﷺ ٠
فدخل المسجد وقال : أيكم محمد ؟ والنبي ﷺ متكىء بين ظهرانيهم ٠
فقالوا : هذا الرجل الأبيض المتكىء ٠
فقال له : ابنَ عبد المطلب ٠
فقال النبي ﷺ قد أجبتك ٠
فقال للنبي ﷺ : إني سائلك فمشتد عليك في المسألة ، فلا تجِد[1] علي في نفسك ٠

فقال سل عما بدا لك ٠

فقال : أسألك بربك ورب من قبلك ، آلله أرسلك الى الناس كلهم ؟

فقال : اللهمَّ نعم ٠

قال : أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟

قال : اللهمَّ نعم ٠

قال : أنشد بالله ، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ ٠

قال : اللهمَّ نعم ٠

قال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ ٠

فقال النبي ﷺ : اللهم نعم ٠

فقال : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول مَن ورائي من قومي ، وأنا ضِمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر[2] ٠

---

(١) لا تغضب علي ٠

(٢) أخرجه البخاري (٦٣) ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، عن أنس بن مالك ٠

فرجع الى قومه ، فأخبرهم بما أمرهم به ونهاهم عنه ، فما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره[١] رجل ولا امرأة إلا مسلماً[٢] .

٨ ـ وفد بني عبد القيس :

قدم وفد عبد القيس[٣] ، وكانوا ثلاثة عشر راكباً . فلما رأوا رسول الله ﷺ وثبوا من رواحلهم ، وأتوه فقبلوا يده[٤] . فقال : « مرحباً بالقوم غير خزايا ولا الندامى[٥] » .

ثم نزل الأشج[٦] فعقل راحلته ، وأخرج عيبة[٧] ففتحها ، فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما ، ثم أتى رواحلهم فعقلها ، فأتى رسول الله ﷺ . فقال : « يا أشج إن فيك خصلتين يحبهما الله ـ عز وجل ـ ورسوله : الحلم والأناة[٨] » .

فقال : يا رسول الله ! أنا تخلقتهما أو الله جبلني عليهما ؟

فقال : « الله جبلك عليهما » .

قال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ـ عز وجل ـ ورسوله[٩] .

---

(١) الحاضر : الحي .
(٢) سيرة ابن هشام ق٢ ص ٥٧٣ـ٥٧٤ ، السيرة لابن كثير ج٤ ص١١٦ـ١٢١ .
(٣) عبد القيس قبيلة كبيرة كانت تسكن البحرين .
(٤) رواه أبو داود في كتاب الأدب والترمذي . (د : ٥٢٢٣) .
(٥) رواه البخاري عن ابن عباس ٤٣٦٨ .
(٦) وهو المنذر بن عامر ، أو عامر بن المنذر كما في رواية أحمد عن الوازع . واسمه في السيرة الحلبية : عبد الله بن عوف الأشج .
(٧) العَيبة : ما يجعل فيه الثياب .
(٨) رواه مسلم ٢٥ ـ (١٧) ، ٢٦ ـ (١٨) .
(٩) أخرجه أحمد والبيهقي ومسلم عن أبي سعيد .

وقال الوفد : يا رسول الله ! إن بيننا وبينك المشركين من مضر[١] ، وإنا لا نصل إليك إلا في أشهر الحرم، فحدثنا بجمل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة، وندعو به من وراءنا .

فقال : « آمركم بالإيمان بالله . هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وأن تعطوا من المغانم الخمس[٢] » .

وكان ذلك قبل الفتح في سنة خمس أو قبلها . ثم قدم وفدهم ثانية في سنة الوفود ، وكان عددهم حينئذ أربعين رجلاً ، وكان فيهم الجارود بن عمرو ، وكان نصرانياً . فلما انتهى الى رسول الله ﷺ ، عرض عليه الاسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه . فقال : يا محمد ! إني كنت على دين ، وإني تارك ديني لدينك ، أفتضمن لي ديني ؟

فقال رسول الله ﷺ : « نعم أنا ضامن أن قد هداك الله الى ما هو خير منه » . فأسلم ، وأسلم أصحابه[٣] .

٩ ــ وفد بني حنيفة :

قدم في هذا الوفد مسيلمة الكذاب في بشر كثير من قومه[٤] ، فنزل في دار بنت الحارث[٥] . فأتاه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس ،

---

(١) كانت ديارهم شرقي الجزيرة العربية .

(٢) رواه البخاري (٤٣٦٨) ومسلم ٢٣ ــ (١٧) وأحمد (٢٠٢٠) وأبو داود ، عن ابن عباس .

(٣) رواه ابن اسحق ، سيرة ابن هشام ق٢ ص٥٧٥ ، تهذيب السيرة ج٢ ص ١٢٠ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص ٨٧ــ٩٢ ، فتح الباري ج٨ ص٨٥ــ٨٦ .

(٤) قال الواقدي : كان وفد بني حنيفة سبعة عشر رجلاً عليهم سلمى بن حنظلة .

(٥) اسمها رملة بنة الحارث بن ثعلبة الأنصارية ، وكانت دارها معدة للوفود .

وفي يد رسول الله ﷺ قضيب ، فوقف عليه فكلمه . فقال له مسيلمة : إن شئت خليت بينك وبين الأمر ، ثم جعلته لنا بعدك . فقال النبي ﷺ : « لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتكه ، وإني لأراك الذي رأيت فيه ما رأيت . وهذا ثابت بن قيس سيجيبك عني » . فانصرف النبي ﷺ [١] .

وكان رسول الله ﷺ قد رأى رؤيا قال عنها : « بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب ، فأهمني شأنهما ، فأوحي إليّ في المنام : أن انفخهما ، فنفختهما فطارا . فأولتهما كذابين يخرجان بعدي » .

قال عبيد الله : أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن ، والآخر مسيلمة[٢] .

ثم أسلم القوم ، ورجعوا الى اليمامة .

١٠ ـ وفد طيّىء :

قدم وفد طيّىء ، وفيهم زيد الخيل ، فلما انتهوا الى رسول الله ﷺ كلموه ، وعرض عليهم الاسلام فأسلموا ، فحَسن اسلامهم .

وقال رسول الله ﷺ : « ما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل ، فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ». ثم سماه زيد الخير[٣] .

١١ ـ فروة بن مُسَيك ووفد كِندة :

قدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كنده . فاستعمله النبي ﷺ على مراد وزُبيد ومَذحج . وبعث معه خالد بن سعيد ابن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ .

---

(١) رواه البخاري عن عبيد الله بن عبد الله ، رقم (٤٣٧٨) .
(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة (٤٣٧٤) وابن عباس (٤٣٧٩) .
(٣) السيرة لابن هشام ق٢ ص ٥٧٧ .

ثم قدم الأشعث بن قيس في ثمانين راكباً(١) من كنده ، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده ، وقد رجّلوا جُمَمهم(٢) وتكحلوا ، عليهم جبب الحبرة قد كففوها بالحرير . فقال لهم : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى . قال : فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ فشقوه منها فألقوه(٣) .

١٢ ـ وفد الأزد وجُرش :

وقدم صُرَد بن عبد الله في وفد من الأزد ، فأسلم . فأمّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن .

فخرج يسير حتى نزل بجُرَش، فحاصرها قريباً من شهر ، ثم رجع عنهم، حتى إذا كان قريباً من جبل يقال له شَكَر خرجوا في طلبه ، فعطف عليهم ، فقتلهم قتلاً شديداً .

وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين الى رسول الله ﷺ يرتادان وينظران ، فبينما هما عنده بعد صلاة العصر إذ قال : « بأي البلاد شَكَر ؟ » فقالا : يا رسول الله ! ببلادنا جبل يقال له كَشَر . فقال : : « إن بدن الله لتنحر عنده الآن » . .

ثم جلس الرجلان الى أبي بكر فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله ﷺ لينَعى لكما قومكما ، فقوما إليه فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما . فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : « اللهم ارفع عنهم » .

فرجعا فوجدا قومهما قد أصابهم صُرَد في ذلك اليوم .

ثم قدم وفد جُرَش على رسول الله ﷺ ، فأسلموا وحسن اسلامهم(٤).

---

(١) وقيل : ستون ، وقيل : كانوا بضعة عشر راكباً .

(٢) الجمّة : الشعر الذي يبلغ المنكبين .

(٣)(٤) تهذيب السيرة ج٢ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ، ١٢٨ ـ ١٣٠ ، السيرة لابن كثير ج٤ ص ١٤٠ ، ١٨١ .

١٣ ـ قدوم رسول ملوك حمير :

قدم على رسول الله ﷺ رسول ملوك حمير يخبره باسلامهم ، ويحمل إليه كتاباً منهم في رمضان سنة تسع . فكتب إليهم كتاباً جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله النبي الى الحارث بن عبد كلال والى نعيم بن عبد كلال ، والى النعمان قيل ذي رعين ومعافر وهَمْدان . أما بعد فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم[1] فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم بـه ، وخبرنا ما قبلكم ، وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة .. » . وبين لهم مقدار الزكاة الواجبة في الزروع والأنعام ، ومقدار الجزية التي تؤخذ من اليهود والنصارى .

كما قدم إليه مالك بن مرة الرَّهاوي زرعة ذي يزن . فبعث إليه معاذ بن جبل وأصحابه ، وكتب إليه :

« إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين . فأبشر بخير . وآمرك بحمير خيراً . ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم . وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل . وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم . وآمركم بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وأمر معاذ بن جبل بجمع الصدقة والجزية منهم[2] .

---

(١) يعني مقدمه من تبوك .

(٢) تهذيب السيرة ج٢ ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .

١٤ ـ وفد بني فزارة :

كانوا بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن والحارث بن قيس بن حصن[١] . وجاؤوا مقرين بالاسلام على ركاب عجاف . وسألهم الرسول ﷺ عن بلادهم ؟ فقال أحدهم : يا رسول الله ! أسنتت[٢] بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا[٣] وغرث[٤] عيالنا فادع الله لنا فصعد المنبر واستسقى لهم فمطروا[٥] .

١٥ ـ وفد تغلب :

كانوا ستة عشر رجلاً مسلمين ، ونصارى عليهم صلب الذهب . فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن يقرهم على دينهم ، على ألا يصبغوا أولادهم في النصرانية . وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم[٦] .

وأتت وفود أخرى . وبسط الكلام عليها يطول . وفيما أوردناه كفاية. والله أعلم[٧] .

وفي شعبان من السنة التاسعة توفيت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ .

وفي ذي القعدة من هذه السنة مات عبد الله بن أبي ابن سلول. ولما توفي

---

(١) اسمه في السيرة الحلبية : الجد بن قيس بن حصن .
(٢) أصابتها السنة ، وهي الجدب .
(٣) الجناب : الناحية .
(٤) جاع .
(٥) السيرة لابن كثير ج٤ ص ١٧١ .
(٦) الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٨٠ ، السيرة لابن كثير ج٤ ص ١٧٨ .
(٧) انظر السيرة الحلبية ج٣ ص ٢١١ ـ ٢٤٠ ، السيرة لأحمد دحلان ج٣ ص ٣ ـ ٥٥ .

جاء ابنه عبد الله الى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه ، فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه ، فقال يصلي عليه ، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه، فقال: يا رسول الله ! تصلي عليه وقد نهاك الله ؟ فقال : (إن ربي خيرني فقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم[1] » . وسأزيد على السبعين) . فقال عمر : إنه منافق . فصلى عليه رسول الله ﷺ . فأنزل الله عز وجل :

« ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون[2] » .

وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ تكريماً لابنه المؤمن . وألبسه قميصه لأنه كسا العباس قميصاً حين قدم المدينة بين أسرى بدر[3] .

(١) سورة التوبة ٨٠ .
(٢) الآية في سورة التوبة : ٨٤ ، والحديث رواه البخاري (٤٦٧٠) ومسلم (٢٧٧٤) والترمذي في كتاب التفسير ، والنسائي في كتاب الجنائز : ٦٩ .
(٣) السيرة لابن هشام ق٢ ص ٥٥٢ ، السيرة لابن كثير ج٤ ص ٦٤ ــ ٦٦ ، السيرة لأحمد دحلان ج٣ ص ٢٤٩ .

٥٦ ـ حج أبي بكر رضي الله عنه بالناس :

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الحج سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم ، فخرج معه من المدينة ثلاثمائة من الصحابة . ولما خرجوا أنزل الله عز وجل :

« براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين . وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم .. » .

(سورة براءة ١ ــ ٣)

فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال : اخرج بصدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : ألا إنه لا يدخل الجنة كافر . ولايحج بعد العام مشرك . ولا يطوف بالبيت عريان . ومن كان له عند رسول الله عهد فهو الى مدته[١] .

فخرج علي حتى أدرك أبا بكر الصديق . فلما رآه أبو بكر قال : أمير أو مأمور ؟ فقال : بل مأمور . ثم مضيا . فأقام أبو بكر للناس الحج .والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية[٢] .

فلما كان يوم عرفة خطب أبو بكر الناس ، ثم التفت الى علي فقال : قم يا علي فأدّ رسالة رسول الله ﷺ . فقام فقرأ عليهم أربعين آية من براءة[٣] .

---

(١) رواه الترمذي (ج٣ ص ١١٦) .

(٢) رواه ابن اسحق .

(٣) رواه ابن جرير عن علي .

وفي يوم النحر بعث أبو بكر مؤذنين يؤذنون بمنى : أن لا يحج بعد العام مشرك . ولا يطوفن بالبيت عُرْيان[1] .

عن ابن عباس قال : بعث النبي ﷺ أبا بكر ، وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات . ثم اتبعه علياً . فبينا أبو بكر في بعض الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ القصوى ، فخرج أبو بكر فزعاً ، فظن أنه رسول الله ﷺ ، فإذا علي ، فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ . وأمر علياً أن ينادي بهؤلاء الكلمات . فانطلقا فحجا ، فقام علي أيام التشريق فنادى : ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك ، « فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » . ولا يحجن بعد العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وكان علي ينادي ، فإذا عيي قام أبو بكر فنادى بها[2] .

أما العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ والمشركين ! فمن كان لهم عهد الى أجل مسمى ، ولم يخلوا بشيء منه ، فعهدهم باقٍ الى أجله . قال تعالى :

« إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم الى مدتهم إن الله يحب المتقين » .

(سورة براءة ٤)

ومن لم يكن لهم عهد ، أو كان لهم عهد مطلق ، فإن أجلهم الى أربعة أشهر . قال تعالى :

« فاذا انسلخ الأشهر الحُرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة ، رقم (٤٣٦٣) .
(٢) رواه الترمذي (ج٣ ص ١١٥) .

وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابــوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم » .

(سورة براءة ٥)

والمقصود بانسلاخ الأشهر الحرم هنا انقضاء الأشهر الأربعة التي أجلوا إليها ، وكان ذلك ايذاناً بالقضاء على الشرك في جزيرة العرب[1] .

---

(١) السيرة لابن هشام ق٢ ص ٥٤٣ـ٥٤٨ ، السيرة لابن كثير ج٤ ص٦٨ـ٧٣ .

٥٧ ــ سرايا السنة العاشرة

٥١ ــ بعث خالد بن الوليد الى نجران :

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر سنة عشر[١] الى بني الحارث بن كعب بنجران . وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً . قال : فإن استجابوا فاقبل منهم ، وان لم يفعلوا فقاتلهم .

فلما قدم عليهم بعث الركبان يضربون في كل وجه[٢] ، ويدعون الى الاسلام ، ويقولون : أيها الناس ! أسلموا تَسْلموا . فأسلم الناس ، فاقام فيهم خالد يعلمهم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ . ثم كتب الى رسول الله ﷺ يخبره أنه دعاهم الى الاسلام ثلاثة أيام فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنه مقيم بين أظهرهم ، يأمرهم بما أمر الله به ، وينهاهم عما نهى الله عنه ، ويعلمهم معالم الاسلام .

فكتب إليه رسول الله ﷺ أن يقبل مع وفدهم . فلما قدموا سألهم : بمَ كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟

قالوا : كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحداً بظلم .

قال : صدقتم . ثم أمَّر عليهم قيس بن الحصين[٣] . ثم رجعوا الى قومهم في بقية شوال . وبعث إليهم بعد أن ولّى وفدهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الاسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم . وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بتقوى الله ، وأن يأخذ بالحق ،

---

(١) الموافق تموز ٦٣١ م .
(٢) يسيرون في كل جهة .
(٣) اسمه في السيرة الحلبية : زيد بن الحصين .

وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم في الدين . وحدد له أوقات الصلاة . وبين له مقادير الزكاة والجزية[1] .

٥٢ ـ بعث أبي موسى ومعاذ الى اليمن :

بعث النبي ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل[2] الى اليمن . وبعث كل واحد منهما على مخلاف[3] ثم قال : « يسرا ولا تعسرا ، وبشّرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا[4] » . وكان ذلك قبل حجة الوداع .

وقال لمعاذ حين بعثه : « إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم . فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم . واتقِ دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب[5] .

وخرج معه يوصيه ، ومعاذ راكب ، ورسول الله ﷺ يمشي تحت

---

(١) الحديث رواه البيهقي والنسائي . والبحث في سيرة ابن هشام ق٢ ص ٥٩٢ ـ ٥٩٦ ، السيرة لابن كثير ج٤ ص ١٤٧ ـ ١٤٩ .

(٢) هذه المرة الثانية التي ذهب فيها معاذ الى اليمن بأمر رسول الله ﷺ ، وقد ذهب في المرة الأولى الى ملك حمير زرعة ذي يزن مع جماعة من أصحابه في رمضان سنة تسع ، كما بينت ص ٦٩٩ .

(٣) المخلاف بلغة أهل اليمن : الناحية ، وكان اليمن مقسماً الى مخلافين . وكانت جهة معاذ العليا الى صوب عدن ، وجهة أبي موسى السفلي .

(٤) رواه البخاري (٤٣٤١ ، ٤٣٤٢) ومسلم (١٧٣٣) ، عن أبي بردة .

(٥) رواه البخاري (٤٣٤٧) عن ابن عباس ، وبقية الجماعة من طرق متعددة .

راحلته . فلما فرغ قال : « يا معاذ ! إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك ان تمر بمسجدي وقبري» . فبكي معاذ خشعاً لفراق رسول الله ﷺ . فقال النبي ﷺ : « لا تبكِ يا معاذ ، للبكاء — او إن البكاء — من الشيطان »[1] .

ثم أقام باليمن حتى وفاته ﷺ . أما أبو موسى ! فقد عاد في حجة الوداع .

٥٣ — بعث علي الى اليمن :

بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب الى اليمن في جماعة من الصحابة ، وقال له : « مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك[2] فليعقب ، ومن شاء فليقبل »[3] .

قال البراء : فكنت ممن عقب مع علي . فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا ، فصلى بنا علي ، ثم صفنا صفاً واحداً ، ثم تقدم بين أيدينا ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، فأسلمت همدان جميعاً . فكتب علي الى رسول الله ﷺ باسلامهم . فلما قرأ الكتاب خر ساجداً ، ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان السلام على همدان[4] .

وذكر بعضهم أنه ﷺ بعث علياً الى اليمن بعد رجوعه من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة ، وحينئذ أسلمت همدان .

---

(١) رواه أحمد عن معاذ (ج٥ ص ٢٣٥) .
(٢) أن يرجع من العسكر الأول الى العسكر الثاني .
(٣) رواه البخاري عن البراء (٤٣٤٩) .
(٤) عزاه ابن كثير في السيرة (ج٤ ص ٢٠١ ــ ٢٠٢) الى البيهقي .

ثم بعثه الى بلاد مذحج من أرض اليمن في ثلاثمائة فارس في رمضان سنة عشر ، فلقي جمعاً فدعاهم الى الاسلام فأبوا ، ورموا المسلمين بالنبل والحجارة • ثم صف علي أصحابه وحمل عليهم ، فقتل منهم عشرين رجلا ، فانهزموا وتفرقوا ، فكف عن طلبهم • ثم دعاهم الى الاسلام ، فأسلم نفر من رؤسائهم وقالوا : نحن على من وراءنا من قومنا ، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى• وجمع علي الغنائم وقسمها• ثم رجع فوافى النبي ﷺ بمكة في حجة الوداع[1] •

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص ١٠٧٩ ـ ١٠٨٣ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ٢٠٦ لأحمد دحلان ج٢ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٧ •

٥٨ ـ حجـــة الـوداع

لما أهل ذو القعدة من العام العاشر للهجرة تجهز الرسول ﷺ للحج ، وأمـر الناس بالجهاز له • ثم خرج بعـد ظهر السبت لخمس بقين مـن ذي القعدة[١] • ونزل بذي الحليفة[٢] •

عـن أنس بن مالك ـ رضي الله عنـه ـ ان النبي ﷺ صلى الظهـر أربعاً ، وصلى العصر بذي الحليفة ركعتين • ثم بات بها حتى أصبح[٣] •

وبقي هنالك حتى صلى الظهر • ثم دعا بناقته فأشعرها[٤] في صفحة[٥] سنامها الأيمن ، وسلت الدم[٦] ، وقلدها نعلين[٧] • ثم ركب راحلته • فلما استوت به على البيداء أهل[٨] بالحج[٩] •

وقيل : فلما ركب راحلته واستوت به أهل[١٠] •

---

(١) رواه البخاري عن ابن عباس ، رقم (١٥٤٥) • وكان هذا التقدير على ظن ان الشهر يكون تاماً ، فاتفق في تلك السنة نقصانه ، لأنه لا خلاف ان أول ذي الحجة كان يوم الخميس، لما ثبت بالتواتر من أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقف بعرفة يوم الجمعة ، وهو تاسع ذي الحجة • وفي رواية جابر : « لخمس بقين أو أربع » • وقيل إن هذا التاريخ يوافق ٢٣ شباط ٦٣٢ م •

(٢) ميقات المدينة ، على ثلاثة أميال منها •

(٣) رواه البخاري (١٥٤٧) ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد •

(٤) جرحها علامة على أنها هدي •

(٥) جانب •

(٦) أماطه •

(٧) علقمها بعنقها •

(٨) احرم ولبّى •

(٩) رواه مسلم [٢٠٥ ـ (١٢٤٣)] وأحمد (٣١٤٩) عن ابن عباس •

(١٠) رواه البخاري (١٥٤٦)وأصحاب السنن عن أنس •

وقيل : أهلّ في مصلاه قبل ذلك[1] . ولعله أهل في المواطن الثلاثة .

وقيل : أهل بحج وعمرة ، وأهل الناس بهما[2] .

وكان مع رسول الله ﷺ نساؤه التسع . وحج معه أكثر من مائة ألف صحابي . وهم بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله مدّ البصر من راكب وماش .

وسار رسول الله ﷺ أياماً . ثم نزل بذي طُوى[3] ، وبات بها حتى أصبح ، فصلى هنالك الصبح ، ثم اغتسل ودخل مكة يوم الأحد « لأربع ليال خلون من ذي الحجة . فطاف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة »[4] .

وأمر من لم يكن معه هدي من أصحابه أن يقصر من رأسه ثم يحل ؛ وأن يجعلها عمرة . وقدم عليّ من اليمن . فقال له : « بم أهللت ؟ » قال : قلت : اللهم إني أهل بما أهل به رسولك . قال : ومعه الهدي . قال : « فلا تحلّ » .

ثم سار حتى « نزل بأعلى مكة عند الحجون »[4] . فأقام هنالك بقية يومه وما بعده حتى صلى الصبح من يوم الخميس ، وهو يوم التروية ؛ فركب قاصداً الى منى . وأحرم الذين كانوا قد حلوا بالحج من الأبطح حين توجهوا الى منى . فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وسار الى عرفة ، فوجد القبة قد ضربت

---

(١) رواه أحمد عن ابن عمر (ج٢ ص ٣٨) .

(٢) رواه البخاري (١٥٥١) وأحمد والبزار عن أنس .

(٣) مكان قريب من مكة متاخم للحرم .

(٤) رواه البخاري عن ابن عباس (١٥٤٥) . وقد سبق تعريف الحجون في فتح مكة .

له بنمرة[1] ، فنزل بها . حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت . ثم سار حتى أتى بطن الوادي فخطب الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ! إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ؛ فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها .

وإن كل ربا موضوع ، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب . وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب[2] .

أيها الناس ! إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ؛ ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به ، مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ! إن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً : لكم عليهن ألاّ يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن ألاّ يأتين بفاحشة مبينة ؛ فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مبرّح[3] . فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان[4] لا يملكن لأنفسهن شيئاً . وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

---

(١) موضع بجنب عرفات .
(٢) كان مسترضعاً في بني سعد بن ليث ، فقتلته هُذَيل .
(٣) غير شديد .
(٤) أسيرات .

« فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلغت . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس ! اسمعوا قولي واعقلوه . تعلمن ان كل مسلم أخ للمسلم ، وان المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم . اللهم هل بلغت ؟ فقالوا : اللهم نعم . فقال : اللهم أشهد »[1] .

ثم صلى الظهر والعصر ، ولم يصلّ بينهما شيئاً . ثم أتى الموقف ، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس .

وفي هذا اليوم نزل قوله تعالى :

« اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » . (سورة المائدة ٣)

عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقـال :

يا أمير المؤمنين ! إنكم تقرؤون آية في كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً .

قال : وأي آية هي ؟

قال : قوله تعالى :

« اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » . (سورة المائدة ٣)

---

(١) رواه ابن اسحق .

فقال عمر : والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه ، والمكان الذي نزلت فيه ، والساعة التي نزلت فيها . نزلت على رسول الله ﷺ عشية يوم عرفة في يوم جمعة(١) .

ثم أتى ﷺ المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء بآذان واقامتين ، ولم يسبّح بينهما شيئاً(٢) . ثم اضطجع حتى طلع الفجر ، فصلى . ثم أتى المشعر الحرام فدعا ، ولم يزل واقفاً حتى أسفر جداً ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، حتى أتى الجمرة ، فرماها بسبع حصيات ضحىً ، وقال : « لتأخذوا عني مناسككم ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه »(٣) .

ثم انصرف الى المنحر . وكان جماعة الهدي الذي أتى به رسول الله ﷺ والذي أتى به علي من اليمن مائة . فنحر رسول الله ﷺ بيده ثلاثاً وستين ، ثم أعطى علياً فنحر ما غبر(٤) ، وأشركه في هديه . ثم أمر من كل بَدنة ببَضْعة(٥) فجعلت في قدر ، فأكلا من لحمها ، وشربا من مرقها. ثم حلق رأسه، ولبس ثيابه ، وتطيب .

ثم ركب فأفاض الى البيت ، فصلى بمكة الظهر(٦) ، وشرب من زمزم. ثم رجع الى منى ، فمكث بها ليالي أيام التشريق ، يرمي الجمرات إذا زالت الشمس(٧) ، كل جمرة بسبع حصيات . وخطب الناس بمنى يوم النحر وثاني

---

(١) رواه البخاري (٤٦٠٦) ومسلم (٣٠١٧) وأحمد والترمذي والنسائي .
(٢) أي لم يصلّ بينهما شيئاً من النفل . وقد صلى المغرب ثلاث ركعات ، والعشاء ركعتين .
(٣) رواه مسلم عن جابر .
(٤) غبر : بقي .
(٥) البضعة : القطعة من اللحم .
(٦) أخرجه مسلم عن جابر رقم ١٤٥ ـ (١٢١٨) . وقيل : صلاها بمنى .
(٧) أي بعد الظهر .

أيــام التشريق . فبين حرمــة الدماء والأموال والأعراض ، وقال : ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض . ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه . ثم قال : ألا هل بلغت[1] .

فلما كان اليوم الثالث من أيام التشريق ، وكان يوم الثلاثاء ، ركب رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فنفر بهم من منى ، فنزل المحصَّب ، وهو واد بين مكة ومنى[2] ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ورقــد رقدة ، ثم ركب الى البيت فطاف به[3] طواف الوداع . وصلى الصبح يومئذ عند الكعبة بأصحابه . ثم انصرف متوجهاً الى المدينة .

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ دخل مكة من كداء من الثنية العليا التي بالبطحاء ، وخرج من الثنية السفلى[4] .

---

(1) رواه البخاري (٤٤٠٦) ومسلم (١٦٧٩) وأحمد وأبو داود والنسائي ، كلهم رووه عن أبي بكرة رضي الله عنه .

(2) ويقال له : الأبطح ، والبطحاء ؛ وهي ما انبطح من الوادي واتسع .

(3) رواه البخاري عن أنس (١٧٦٤) .

(4) الحديث رواه البخــاري (١٥٧٦) ومسلم ٢٢٣ ـ (١٢٥٧) وأبــو داود والترمذي والنسائي .
والثنية السفلى هي التي عند باب الشبيكة غربي مكة نحو جدة (التاج) .
ومراجع البحث هي السيرة لابن هشام ق٢ ص ٦٠١ ـ ٦٠٦ ، السيرة لابن كثير ج٤ ص ٢١١ ـ ٤٢٦ زاد المعاد ج١ ص ١٧٥ ـ ٢٤٥ .

٥٩ : ٥٤ ـ سرية أسامة بن زيد

رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع في ذي الحجة ، فأقام بالمدينة بقيته والمحرم وصفراً ، وأمر بالتهيؤ لغزو الروم لأربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة . فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال : سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، فأغر صباحاً على أهل أبْنَى(١) ، وحرّق عليهم . وأسرع السير لتسبق الأخبار . فإن ظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم . وخذ معك الأولاء ، وقدم العيون والطلائع معك.

فلما كان يوم الأربعاء بدأ به ﷺ وجعه ، فحُمّ وصُدّع . فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءه بيده ، ثم قال : اغزُ باسم الله وفي سبيل الله ، وقاتل من كفر بالله . فخرج بلوائه ، فدفعه الى بريدة ، وعسكر بالجرف(٢) . فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار الا اشتد لذلك وتهيأ للخروج .

وطعن بعضهم في إمرة أسامة ، فقالوا : أمّر غلاماً حدثاً(٣) على جلة المهاجرين والأنصار ! فخرج النبي ﷺ عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، وقال :

---

(١) موضع بالبلقاء بين عسقلان والرملة . وعند ابن هشام : « وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين » . وقيل في سبب ذلك أن فروة بن عمرو الجذامي كان والياً من قبل الروم على معان وما حولها ، فاعتنق الاسلام، وبعث الى النبي ﷺ رسولا باسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء. فلما بلغ الروم ذلك أخذوه وحبسوه ، ثم ضربوا عنقه وصلبوه . فأراد الرسول ﷺ ارهاب الروم وإعادة الثقة الى قلوب العرب الضاربين على الحدود.

(٢) من المدينة على فرسخ ، نحو ٥ كم .

(٣) كان عمره إذ ذاك ثماني عشرة أو تسع عشرة سنة .

« إن تطعنوا في إمارته ، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل • وايم الله انكان لخليقاً للامارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلي • وإن هـــذا لمن أحب الناس إليَّ بعده[1] •

ثم نزل ﷺ فدخل بيتـه ، وجـاء المسلمون يودعون رســول الله ؛ ويخرجون الى المعسكر بالجرف • وثقل رسول الله ﷺ فجعل يقول : أرسلوا بعث أسامة • واستثنى أبا بكر ، وأمره بالصلاة بالناس • ثم ودعه أسامة وخرج الى معسكره ، وأمر الناس بالرحيل • فبينما هو يريد الركوب جاءه الخبر : إن رسول ﷺ ثقيل • فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة ، فانتهوا إليه وقد توفي • فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة[2] •

---

(1) أخرجه البخاري (٤٤٦٩) ومسلم (٢٤٢٦) والترمذي ، عن عبد الله بن عمر ٠

(2) السـيرة لابـن هشام ق٢ ص ٥٩١ ـ ٥٩٢ ، ٦٠٦ ، السيرة لابـن كثير ج٤ ص ٤٣٢ ـ ٤٤٠ ، السيرة الحلبية ج٣ ص ٢٠٧ـ٢٠٩ ، السيرة لأحمد دحلان ج٢ ص ٣٣٩ـ٣٤١ ، نور اليقين ص٢٩٥ ، فقه السيرة للغزالي ص ٤٩١ ٠

٦٠ ـ مجموع السرايا

كانت سرية اسامة بن زيد آخر سرية بعث بها رسول الله ﷺ • وقد اختلف في مجموع بعوثه وسراياه !

قال ابن اسحق : وكانت بعوثه ﷺ وسراياه ثمانياً وثلاثين من بين بعث وسرية[١] •

وقال ابن هشام: « وقد ذكر ابن اسحق بعث خالد بن الوليد في حديثه، ولم يذكره في عدة البعوث والسرايا ؛ فينبغي أن تكون العدة في قوله تسعاً وثلاثين[٢] •

وقد عددت ما ذكره فوجدته ستاً وأربعين !

وعد الواقدي سبعاً وأربعين[٣] •

وحكى ابن الجوزي في التلقيح ستاً وخمسين •

وعد المسعودي ستين •

وبلغها بعضهم زيادة على سبعين •

ووقع عند الحاكم في الاكليل انها تزيد على مائة ، فلعله أراد ضم المغازي إليها[٤] •

وقد ذكرت أربعاً وخمسين سرية • وتضمنت السيرة النبوية لابن هشام والسيرة الحلبية والسيرة المحمدية لأحمد زيني دحلان عشر سرايا أخرى لم أذكرها من قبل لقلة أهميتها أو للخلاف فيها • وهي :

---

(١) (٢) السيرة لابن هشام ق٢ ص ٦٠٩ ـ ٦٤٢ ، ٦٤١ •
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص ١ •
(٤) فتح الباري ج٧ ص ٢٨ •

١ ـ سرية عمير بن عدي الى عصماء بنت مروان اليهودية .

٢ ـ سرية سالم بن عمير الى أبي عفك اليهودي .

٣ ـ سرية زيد بن حارثة الى العيص ليعترض عير قريش ، وأسر أبي العاص بن الربيع .

٤ ـ سرية زيد بن حارثة الى مدين .

٥ ـ سرية عمرو بن أمية الضمري الى أبي سفيان بمكة .

٦ ـ سرية الطفيل بن عمرو الدوسي الى ذي الكفين ليهدمه .

٧ ـ سرية علقمة بن مُجزّز يوم ذي قرد .

٨ ـ سرية عبد الله بن حذافة .

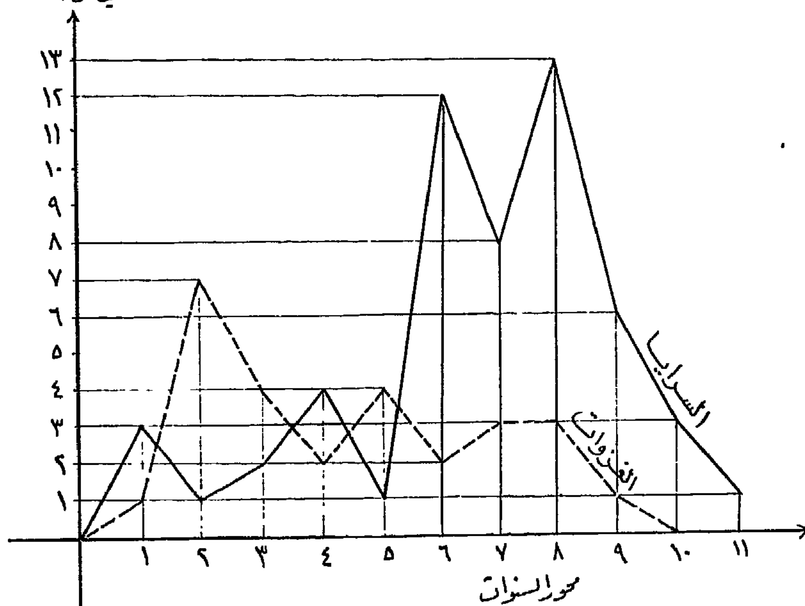
٩ ـ بعث الوليد بن عقبة الى بني المصطلق .

١٠ـ سرية عبد الله بن عوسجة الى بني عمرو بن حارثة .

وبذلك يصبح مجموع السرايا أربعاً وستين .

وهي تدل مع الغزوات على مدى الجهد الشاق والعناء الكبير الذي تحمله رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم حتى انتشر الاسلام في ربوع الجزيرة العربية .

وهذا رسم بياني يبين عدد الغزوات والسرايا الأربع والخمسين مقسمة على السنين التي وقعت فيها . وبالنظر إليه نرى أن السنة الثانية شهدت أكبر عدد من الغزوات ، بينما شهدت السنة الثامنة أكبر عدد من السرايا .


عدد الغزوات والسرايا
في كل سنة
١٣
١٢
١١
١٠
٩
٨
٧
٦
٥
٤
٣
٢
١
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١
محور السنوات
السرايا
الغزوات

٦١ ـ مرض ووفـاة رسول الله

لما شعر الرسول ﷺ بدنو أجله خرج الى بقيع الغرقد من جوف الليل ، فسلم على أهل المقابر واستغفر لهم ، ثم رجع الى أهله . فلما أصبح ابتدىء بوجعه من يومه ذالك ، في ليال بقين من صفر ، أو في أو لشهر ربيع الأول .

وتتام برسول الله ﷺ وجعه وهو يدور على نسائه ، حتى اشتد عليه وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنهن في أن يمرض في بيت عائشة ، فأذن لـه . فخرج يمشي بين الفضل بن عباس وعلـي بن أبي طالب ، عاصباً رأسه ، تخط قدماه بالأرض حتى دخل بيتها .

ولـما اشتد به وجعه قـال : هريقوا عليَّ من سبع قِرَب لم تُحْلل اوكيتهن ، لعلي أعهد الى الناس . قالت عائشة : فأجلسناه في مِخْضَب[1] لحفصة ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب ، حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن ثم خرج الى الناس[2]. وجلس على المنبر وخطبهم . فكان أول ما تكلم به بعد حمد الله والثناء عليه ذكر أصحاب أحد ، فاستغفر لهم ودعا لهم . ثم قـال :

« يا معشر المهاجرين ! إنكم أصبحتم تزيدون ، والأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم عيبتي[3] التي أويت إليها ؛ فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم »[4] .

---

(١) إناء يغتسل فيه . وكان من حجر .
(٢) رواه البخاري (٤٤٤٢) ومسلم .
(٣) عيبة الرجل : خاصته وموضع سره . والعيبة في الأصل: ما يجعل فيه الثياب.
(٤) رواه مسلم (٢٥١٠) .

ثم قال : « أيها الناس ! إن عبداً من عباد الله قد خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله ، فاختار ما عند الله » .

ففهمها أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ من بين الناس ، فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا وأموالنا .

فقال رسول الله ﷺ : « على رِسلك يا أبا بكر ! انظروا الى هذه الأبواب الشارعة في المسجد فسدوها إلا ما كان من بيت أبي بكر ، فإني لا أعلم أحداً عندي أفضل في الصحبة منه »[١] .

وعن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال : خطب رسول الله ﷺ الناس وقال : « إن الله خَيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله » . قال : فبكى أبو بكر . فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيّر . فكان رسول الله ﷺ هو المخير . وكان أبو بكر أعلمنا .

فقال رسول الله ﷺ: « إن أمَنَّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر . ولو كنت متخذاً خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر . ولكن أخوة الاسلام ومودته . لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر »[٢] .

وذلك في يوم الخميس ،قبل ان يتوفى بخمسة أيام .

وقالت عائشة : كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر . فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهري من ذلك السم[٣] .

ولما غلبه المرض ، وحضرت الصلاة قال : « مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس » .

---

(١) رواه البيهقي عن أيوب بن بشير وابن عباس ، والواقدي عن أم سلمة وأحمد (٢٤٣٢) ومسلم (٢٣٨٢) عن أبي سعيد وابن عباس .
(٢) رواه البخاري ، رقم (٣٦٥٤) .
(٣) رواه البخاري ، رقم (٤٤٢٨) .

فقيل له[1] : إن أبا بكر رجل أسيف[2] إذا قـام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس ، وأعـاد فأعادوا له ، فأعـاد الثالثة فقال : إنكن صواحب يوسف[3] ، مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فخرج أبو بكر فصلى[4] .

فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة ، فخرج يُهادى بين رجلين[5] ، فأراد أبو بكر أن يتأخر ، فأومأ إليه النبي ﷺ ان مكانك ، ثم أتي به حتى جلس الى جنبه[6] ، فكان أبو بكر يصلي قائماً بصلاة النبي ﷺ ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر[7] .

وعن أنس بن مالك أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجْع النبي ﷺ الذي توفي فيه ، حتى إذا كان يوم الاثنين ، وهم صفوف في الصلاة[8] ، فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ، ينظر إلينا وهو قائم ، كأن وجهه ورقة مصحف[9] ، ثم تبسم يضحك ، فهممنا أن تفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ ، فنكص[10] ، أبو بكر ليصل الصف ، وظن أن النبي ﷺ خارج الى الصلاة ، فأشار إلينا

---

(١) قائل ذلك عائشة رضي الله عنها .

(٢) الأسيف : الرقيق ، الرحيم ، الحزين .

(٣) أي مثـل صاحبة يوسف أظهرت للنساء اللاتي جمعتهن انهـا تريد اكرامهن بالضيافة ، وقصدها أن ينظرن لحسن يوسف ـ عليه السلام ـ فيعذرنها في حبـه .

والنبي ﷺ فهم عن عائشة أنها تظهر كراهة ذلك مع محبتها له باطناً .

(٤) صلى بهم سبع عشرة صلاة أو عشرين صلاة . وأولها صلاة العشاء الآخرة . [صحيح مسلم ٩٠ ـ (٤١٨)] .

(٥) يُهادى : أي يعتمد على الرجلين متحايلا في مشيته من شدة الضعف. والرجلان هما علي والعباس .

(٦) عن يساره .

(٧) رواه البخاري (٦٦٤) ومسلم ٩٤ ـ (٤١٨) وأحمد (٣٣٥٥) والترمذي .

(٨) أي صلاة الصبح .

(٩) عبارة عن الجمال البارع واستنارة وجهه .

(١٠) رجع الى ورائه القهقرى .

ﷺ أن أتموا صلاتكم ، وأرخى الستر . وتوفي من يومه[1] .

وعنه قال : لم يخرج النبي ﷺ ثلاثاً ، فاقيمت الصلاة ، فذهب أبو بكر يتقدم . فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه ، فلما وضح وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا . فأومأ النبي ﷺ بيده الى أبي بكر أن يتقدم ، وأرخى النبي ﷺ الحجاب . فلم يُقْدر عليه حتى مات ﷺ[2] .

وانصرف الناس بعد تلك الصلاة وهم يرون أن رسول الله ﷺ قد برىء من وجعه . واستأذنه أبو بكر في أن يأتي أهله بالسُّنح[3] فأذن له .

ثم اشتد الوجع برسول الله حتى مات .

عن عائشة قالت: ما رأيت رجلا أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ[4]

وقال رسول الله ﷺ في مرضه هذا : « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[5] .

وعن أنس قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الوفاة : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » . حتى جعل يغرغر بها ، وما يفصح بها لسانه[6] .

وقالت عائشة : توفي رسول الله ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سَحْري ونحري[7] . وكانت احدانا تعوذه بدعاء إذا مرض ، فذهبت أعوذه ، فرفع رأسه الى السماء وقال : « في الرفيق الأعلى » .

---

(١) رواه البخاري (٦٨٠ ، ٤٤٤٨) ومسلم ٩٨ ـ (٤١٩) والترمذي والنسائي
(٢) رواه البخاري (٦٨١) ومسلم .
(٣) السنح : موضع بعوالي المدينة .
(٤) رواه مسلم ٤٤ ـ (٢٥٧٠) (والترمذي) وابن ماجه (١٦٢٢) .
(٥) رواه البخاري (١٣٩٠) وأحمد (١٨٨٤) عن ابن عباس وعائشة .
(٦) رواه البيهقي والنسائي وأحمد ، وابن ماجه (١٦٢٥) عن أم سلمة .
(٧) السحر : الرئة ، والنحر : أعلى الصدر . تعني انها كانت مسندة رسول الله ﷺ الى صدرها .

ومر عبد الرحمن بن أبي بكر ، وفي يده جريدة رطبة ، فنظر إليه النبي ﷺ ، فظننت أن له بها حاجة . فأخذتها فمضغت رأسها ، ونفضتها فدفعتها إليه . فاستن بها أحسن ما كان مستناً . ثم ناولنيها فسقطت من يده فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة[1] .

وتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم . وقيل عند زوال الشمس . والله أعلم .

ولا خلاف أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ توفي يوم الاثنين[2] .

قال ابن عباس : ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين ، واستنبىء يوم الاثنين ، وتوفي يـوم الأثنين ، وخرج مهاجراً من مكة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين[3] .

وتاريخ وفاته هو الثاني عشر من شهر ربيع الأول في السنة الحادية عشرة من هجرته[4] . وروي أنه توفي لهلال ربيع الأول ، وقيل : لليلتين خلتا من ربيع الأول[5] .

---

(١) البخاري (٤٤٥١) . ومعنى استن : استاك ، نظف أسنانه .

(٢) رواه البخاري عن عائشة ، رقم (١٣٨٧) .

(٣) رواه أحمد (٢٥٠٦) والبيهقي .

(٤) هذا ما قرره ابن اسحق واثبته الواقدي (المغازي ص ١١٢٠) وجزم به ابن سعد .

(٥) رواه البيهقي والواقدي وابو مخنف والكلبي والطبري . ورجحه السهيلي وابن حجر ، اذ قال : « فالمعتمد ما قال ابو مخنف . وكان سبب غلط غيره أنهم قالوا : مات في ثاني شهر ربيع الأول ، فتغيرت ، فصارت في ثاني عشر . واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضاً من غير تأمل ، والله أعلم » .
(فتح الباري ج٨ ص ١٣٠ ، الطبقات لابن سعد ج٤ ص ٨٩) .
وحقق محمود باشا الفلكي ان وفاته يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول الموافق ٨ حزيران ٦٣٢ م .

ومات ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة[1] .

عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه . وبالمدينة عشراً . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة[2] .

ولما بويع أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء . فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم . وكان علي يغسله وهو يقول : بأبي وأمي ، ما أطيبك حياً وميتاً[3] !

ثم كفن في ثلاثة أثواب بيض[4] . فلما فرغوا من جهازه وضع على سريره في بيته . ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ أرسالا يصلون عليه ، حتى إذا فرغوا أدخلوا النساء ، حتى إذا فرغن أدخلوا الصبيان . ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد .

ولقد اختلف المسلمون في المكان الذي يحفر له . فقال قائلون : يدفن في مسجده . وقال قائلون : يدفن مع أصحابه . فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله يقول : « ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض » . فرفعوا فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه ، فحفروا له ، ثم دفن ﷺ وسط الليل من ليلة الأربعاء[5] .

---

(1) أخرجه البخاري (٤٤٦٦) ومسلم ١١٥ ــ (٢٣٤٩) والترمذي عن عائشة (ج٢ ص ٢٨٨ ــ ٢٨٩) .

(2) أخرجه مسلم (٢٣٥١) وأحمد (٢١١٠) والترمذي(السنن ج٤ ص ٣٠٧) .

(3) رواه أحمد عن ابن عباس (٢٣٥٧) ، وابن اسحق .

(4) رواه البخاري (١٣٨٧) ومسلم ٥٤ ــ (٩٤١) والشافعي والبيهقي وأبو داود والنسائي والترمذي ، عن عائشة .

(5) رواه ابن ماجه عن ابن عباس (١٦٢٨) وابن اسحق والواقدي (الطبقات لابن سعد ج١ ص ٩٠ ، ج٤ ص ١٠٦) والترمذي وأحمد والبيهقي .

عن أنس قال : لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء . فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء . وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا[١] .

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه (١٦٣١) . وقال الترمذي : هذا حديث صحيح غريب . كما رواه الدارمي .
ومراجع الموضوع بالاضافة الى ما ذكر :
تهذيب السيرة ج٢ ص ١٤٢ـ١٦٥ ، السيرة لابن كثير ج٤ ص ٤٤٢ـ٥٤٨ .

٦٢ ـ صفات النبي ﷺ وشمائله

١ ـ صفاته الجسمية

كان النبي ﷺ من أحسن الناس خَلقاً •

قال البراء رضي الله عنه : كان النبي ﷺ مربوعاً[١]، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه • رأيته في حلة حمراء ، لم أرَ شيئاً قط أحسن منه[٢]

وعنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأحسنه خَلقاً • ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير[٣] •

وقيل لأبي الطفيل : أرأيت رسول الله ﷺ ؟

فقال : نعم • كان أبيض مليح الوجه[٤] •

وفي رواية أخرى قال : كان ابيض مليحاً مقصّداً[٥] •

ووصفه أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ بقوله : كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن[٦] ولا بالقصير ، وليس بالأبيض الأمهق[٧] ولا بالآدم[٨]، ولا بالجعد القَطَط[٩] ولا بالسَّبِط[١٠] •

---

(١) معتدل القامة •

(٢) رواه البخاري (٣٥٥١) ومسلم ٩١ـ (٢٣٣٧) والترمذي •

(٣) رواه البخاري (٣٥٤٩) ومسلم ٩٣ ـ (٢٣٣٧) •

(٤) رواه مسلم بروايتيه ، رقم ٩٨ ـ (٢٣٤٠) •

(٥) ليس بجسيم ولا نحيف ولا طويل ولا قصير • وروى هذه الرواية مسلم ٩٩ ـ (٢٣٤٠) وابو داود •

(٦) أي المفرط في الطول •

(٧) شديد البياض كلون الجص •

(٨) شديد السمرة •

(٩) الشديد الجعودة •

(١٠) المنبسط المسترسل • والحديث رواه البخاري (٣٥٤٨) ومسلم (٢٣٤٧) والترمذي •

وكانت صفات الرجولة والعظمة ظاهرة عليه ؛ إذ كان ضخم الرأس واسع الجبين ، أقنى الأنف[1] ، سهـل الخدين ، عظيم الفم ، أفلج الأسنان[2] ، أدعج أنجـل[3] ، أهدب الأشفار[4] ، أزج الحواجب[5] ، كث اللحيـة ، حسن العنق ، سـواء البطن والصدر ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم العظـام ، عَبْـل العضدين[6] والذراعين ، طويـل الزنديـن ، رحب الراحة[7] .

قال جابر بن سمُرة رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ ضليع الفم[8] ، أشكل العين[9] ، منهوس العقبين[10] .

وقال أيضاً : كان رسول الله ﷺ قد شَمِـط مقدم رأسه ولحيته . وكان اذا ادهن لم يتبين ، واذا شعث رأسه تبين . وكان كثير شعر اللحية .

فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟

---

(١) القنا في الأنف : طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه .
(٢) الفلج : فرق بين الثنايا .
(٣) شديد سواد العين مع سعتها .
(٤) أي طويل شعرها .
(٥) سوابغ من غير قرن . الحاجب الأزج : المقوس الطويل الوافر الشعر .
(٦) أي قويهما ضخمهما .
(٧) رواه الترمذي في الشمائل وابو نعيم الأصبهاني في دلايل النبوة (ص٢٢٧) ، والقاضي عياض في الشفاء (ج١ ص ٣٨) والطبراني والبيهقي عن هند بن أبي هالة .
(٨) عظيم الفم . والعرب تمدح بذلك ، وتذم بصغر الفم .
(٩) الشكلة : حمرة في بياض العينين .
(١٠) قليل لحم العقب . والحديث رواه مسلم (٢٣٣٩) والترمذي .

قال : لا ، بل مثل الشمس والقمر ، وكان مستديراً . ورأيت خاتم النبوة عند كتفه مثل بيضة الحمامة[1] .

وسئل أنس بن مالك : أخَضب رسول الله ﷺ ؟

قال : إنه لم يرَ من الشيب إلا قليلا[2] .

وقال : لم يختضب رسول الله ﷺ . إنما كان البياض في عنفقته[3] وفي الصُّدغين[4] وفي الرأس نبذ"[5] .

وقال : توفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[6] .

وكان ﷺ طيب الرائحة ، ناعم الكف ، متماسك البدن ، قوي البنية .

قال أنس : ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ .ولا مسست شيئاً قط ديباجاً ولا حريراً ألين مساً من رسول الله ﷺ[7] .

وقال أيضاً : كان رسول الله ﷺ أزهر اللون[8] كأن عرقه اللؤلؤ[9] . إذا مشى تكفأ[10] . ولا مسست ديباجة ولا حريراً ألين من كف رسول الله

---

(١) رواه مسلم ١٠٩ ـ (٢٣٤٤) .

(٢) رواه مسلم ١٠٢ ـ (٢٣٤١) .

(٣) العنفقة : الشعر الذي في الشفة السفلى ، أو الذي بينها وبين الذقن .

(٤) الصُدغ : ما بين الأذن والعين .

(٥) أي شعرات متفرقة . والحديث رواه مسلم ١٠٤ ـ (٢٣٤١) .

(٦) رواه مسلم (٢٣٤٧) والترمذي .

(٧) رواه البخاري (١٩٧٣) ومسلم ٨١ ـ (٢٣٣٠) والترمذي والدارمي .

(٨) أبيض مستنير ، وهو أحسن الألوان .

(٩) أي في الصفاء والبياض .

(١٠) التكفؤ : الميل الى قدام كالسفينة في جريها .

ﷺ . ولا شممت مسكـة ولا عنبرة أطيب من رائحـة رسول الله ﷺ[1] .

ويدل على قوته ما جاء في صفة مشيه :

عن علي قال : لم يكن النبي رسول الله ﷺ بالطويل ولا بالقصير ، شثن الكفين والقدمين[2] ، ضخم الرأس ، ضخم الكراديس[3] ، طويل المسربة[4] . اذا مشى تكفأ تكفؤاً ، كأنما انحط من صبب[5] . لم أر قبله ولا بعده مثله[6] .

وعن أبي هريرة قال : ما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول لله ﷺ . كأنما الأرض تطوى له . إنا لنجهد أنفسنا ، وهو غير مكترث[7] .

وليس أدل على قوته من أنه صرع ركانة بن عبد يزيد أشد أهل وقته . وإليك حديثه :

قال : كنت أنا والنبي ﷺ في غنيمة لأبي طالب نرعاها . فقال لي ذات يوم: هل لك أن تصارعني ؟ فقلت له : أنت ؟ قال : أنا . فقلت : على ماذا ؟قال: على شاة من الغنم . فصارعته فصرعني، وأخذ مني شاة. ثم قال : هل لك في المعاودة الثانية ؟ قلت: نعم .فصارعته فصرعني، وأخذ مني شاة .فجعلت التفت هل رآني إنسان من الرعاة فيجترىء علي ، وأنا في قومي أشدهم . فقال : هل لك في الثالثة ولك شاة ؟ قلت : نعم . فصارعته فصرعني ، وأخذ مني شاة . فقعدت كئيباً حزيناً . فقال : مالك ؟ فقلت : أرجع لصاحب الغنم وقد أعطيت

---

(١) رواه مسلم ٨٢ ـ (٢٣٣٠) والدارمي .

(٢) اي عظيمهما وغليظ اصابعهما من غير قصر ولا خشونة .

(٣) اي رؤوس العظام .

(٤) أي شعر الصدر الى العانة .

(٥) الصبب : ما انحدر من الأرض ، أي كانما ينزل في موضع متحدرا .

(٦) رواه الترمذي (ج٤ ص ٣٠٢) .

(٧) رواه الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل .

ثلاثاً من غنمه ؛ وكنت أظن أني أشد الناس • فقال : هــل لك في الرابعــة ؟ فقلت : لا بعد ثلاث • فقال : أما الغنم فإني أردها عليك • فردها • فلما ظهر أمره أتيته وأسلمت[1] •

وذكر السهيلي أن أبا الأسود الجمحي ، واسمه كلدةبن أسيد ، وكان قد بلغ من شدته فيما زعموا أنه يقف على جلد البقرة ، فيجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه ، فيتمزق الجلد ، ولا يتزحزح عنه • وقد دعا النبي ﷺ الى المصارعة ، وقال : إن صرعتني آمنت بك • فصرعه عليــه الصلاة والسلام ، ولم يؤمن •

البيهقي

(١) أسلم يوم الفتح ، وتوفي بالمدينة ٤٢ هـ • والحديث رواه البيهقي في المراسيل عن سعيد بن جبير ، وقال : مرسل جيد • ورواه أبو داود والترمذي مرسلا • (نسيم الرياض ج١ ص ٣٨٢ ــ ٣٨٣) •

٢ ـ حُسْنُ خُلُقِه

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً[١] .

وليس أدل على ذلك من قول الله سبحانه وتعالى فيه :

« وإنّك لعلى خُلُق عظيم » . (سورة القلم ٤)

ولم يكن حسن خلقه تكلفاً وتجملا بين الناس ، وإنما كانَ سجية متأصلة في نفسه ، ملازمة له في أحواله كلها . ذلك أن الله ـ سبحانه ـ طبعه عليها . قال تعالى :

« فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم ولو كنت فظاًغليظ القلب لانفضوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمتَ فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » .

(سورة آل عمران ١٥٩)

وقالت عائشة : « كان خلقه القرآن »[٢] . يعني التأدب بآدابه ، والتخلق بمحاسنه ، والالتزام بأوامره وزواجره .

وقال عبد الله بن عمرو : « لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً . وإنه كان يقول : إن خياركم أحسنكم أخلاقاً »[٣] .

---

(١) رواه مسلم ٥٥ ـ (٢٣١٠) وأبو داود ، عن أنس .

(٢) رواه مسلم وأبو داود وأحمد (ج٦ ص ٩١) والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي .

(٣) رواه البخاري رقم : ٣٥٦٠ ، ٦٠٣٥ ومسلم .

وقال علي ــ رضي الله عليه ــ في وصفه : « كان أوسع الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة[1] . وألينهم عريكة[2] وأكرمهم عشرة »[3] .

فكان حسن العشرة لأصحابه ، كما كان حسن العشرة لأهل بيته .

عن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال : « كان إذا لقي رسول الله ﷺ واحداً من أصحابه قام معه ، فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينزع عنه[4] .

ومع أن السادة والأمراء يثقلون على خدمهم ، ويجعلونهم يتبرمون منهم فإن رسول الله ﷺ ما عاب على من يخدمه شيئاً .

عن أنس قال : « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن أنساً غلام كيِّس فليخدمك . قال : فخدمته في السفر والحضر . والله ما قال لي لشيء صنعته : لمَ صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشيء لم أصنعه ، لمَ لمْ تصنع هذا هكذا »[5] ؟

وعنه قال : « خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين . والله ما قال لي أفّاً قط ، ولا قال لي لشيء : لم فعلت كذا ؟ وهلا فعلت كذا »[6] .

وكان أنس ــ رضي الله عنه ــ في العاشرة حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ؛ والطفل في هذه السن يميل الى اللهو والعبث ، ثم بقي في خدمته حتى وفاته ﷺ ، وكان عمره حينئذ عشرين سنة ؛ والشاب في هذه السن كثيراً

---

(١) اللهجة : الكلام .
(٢) لين العريكة : حسن العشرة .
(٣) الشفاء للقاضي عياض ج١ ص ٦٩ .
(٤) الوفا لابن الجوزي ص ٤١٦ .
(٥) رواه مسلم ٥٢ ــ (٢٣٠٩) .
(٦) رواه البخاري ٦٠٣٨ مسلم ٥١ ــ (٢٣٠٩) والترمذي .

ما يضجر ممن حوله حتى من أهلـه . وحين كان يقصر في الخدمة خـلال ذلك ما كان يلقى من رسول الله ﷺ إلا الرضى وحسن الخلق .

قال أنس : (كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني نبي الله ﷺ ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، فنظرت إليه ــ وهو يضحك ــ فقال : « يا أنيس ! اذهب حيث أمرتك » . قلت : نعم ، أنا أذهب يا رسول الله[1]) .

كذلك كان ﷺ حسن العشرة لأهله .

عن عائشة قالت : خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، وأنا جارية لم أحمل اللحم ، ولم أبدُن ، فقال للناس : تقدموا فتقدموا ، ثم قال : تعالي حتى أسابقك : فسابقته فسبقته ، فسكت عني . حتى إذا حملت اللحم وبدنت وسمنت خرجت معه في بعض أسفاره ، فقال للناس : تقدموا فتقدموا . فقال لي : تعالي حتى أسابقك . فسابقته فسبقني ، فجعل يضحك ويقول : هـذه بتلك[2] .

وكان يسمح لأزواجه باللهو والنظر الى ما فيه متعه من غير ريبة .

عن عائشة قالت : « رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه ، وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون في المسجد ، حتى أكون أنا التي أسأم ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو »[3] .

---

(١) رواه مسلم ٥٤ ــ (٢٣١٠) وأبو داود .
(٢) رواه أحمد ، وابن الجوزي (الوفا بأحوال المصطفى ص ٤٤٤) .
(٣) رواه البخاري (٥٢٣٦) .

وعنها : «أنها كانت تلعب بالبنات[1] عند رسول الله ﷺ . قالت : وكانت تأتيني صواحبي فكن ينقمعن[2] من رسول الله ﷺ . قالت : فكان رسول الله ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ إليَّ[3] » .

وكان يعين أهله ، ويقضي حوائجه بنفسه . وما كان يسيء الى أحد :

عن الأسود قال : سألت عائشة : ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟

قالت : « كان يكون في مِهنة أهله[4] ، فإذا حضرت الصلاة خرج الى الصلاة[5] » .

وعنها قالت : « كان بشراً من البشر ، يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه[6] » .

وسألها عروة : ما كان رسول الله يصنع في بيته ؟

فقالت : « يخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم[7] » .

وما ضرب بيده امرأة ولا خادماً[8] .

---

(١) أي اللعب .

(٢) أي يذهبن حياء منه وهيبة .

(٣) أي يرسلهن . والحديث رواه مسلم (٢٤٤٠) .

(٤) تعني خدمة أهله .

(٥) رواه البخاري ٦٧٦ ، ٦٠٣٩ وأحمد .

(٦) رواه الترمذي في الشمائل والبزار .

(٧) رواه أحمد وابن حبان ، وهو حديث حسن .

(٨) رواه الحاكم في الاكليل .

وعن أنس قال : (لم يكن النبي ﷺ سبّاباً ولا فحاشاً ولا لعاناً . كان يقول لأحدنا عند المعتبة : « ماله ترب جبينه »[1]) .

وكان يعين أصحابه ويتلطف بهم :

عن جابر بن عبد الله — رضي الله عنهما — قال : « كنت مع النبي ﷺ في غزاة فأبطأ بي جملي وأعيا ، فأتى عليّ النبي ﷺ فقال : جابر ؟ فقلت : نعم ، قال : ما شأنك ؟ قلت : أبطأ علي جملي وأعيا فتخلفت . فنزل يحجنه[2] بمحجنه ، ثم قال : اركب ، فركبته ، فلقد رأيته أكفه عن رسول الله ﷺ .

قال : تزوجت ؟ قلت : نعم ، قال : بكراً أم ثيباً ؟ قلت : بل ثيباً . قال . أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ قلت : إن لي أخوات فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن ، قال : أما إنك قادم ، فإذا قدمت فالكيس الكيس .

ثم قال : أتبيع جملك ؟ قلت : نعم . فاشتراه مني باوقية .

ثم قدم رسول الله ﷺ قبلي ، وقدمت بالغداة ، فجئنا الى المسجد ، فوجدته على باب المسجد . قال : الآن قدمت ؟ قلت : نعم . قال : فدع جملك، فادخل فصل ركعتين . فدخلت فصليت . فأمر بلالاً أن يزن له أوقية . فوزن لي بلال فأرجح في الميزان . فانطلقت حتى وليت فقال : ادعوا لي جابراً . قلت: الآن يرد علي الجمل ، ولم يكن شيء أبغض إلي منه . قال : خذ جملك ولك ثمنه[3] » .

---

(١) رواه البخاري ٦٠٣١ .

(٢) أي يطعنه .

(٣) رواه البخاري ٢٠٩٧ ومسلم ٧١٥ ، وابن اسحق بنحوه .

فانظر كيف كـان رسول الله ﷺ يسير خلف أصحابه ، ويمشي مـع ضعفائهم ، ويحدثهم بما يسرهم ، ويساعد المحتاج بدون أن يشعره بالحرج ؛ فتصدق على جابر في صورة ثمن لجمله ، ثم أعاد إليه الجمل !

وكان يتريث حين قدومه من السفر أو الغزو بمن معه على مشارف المدينة. ليتهيأ لهم أهلوهم .

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان لا يَطْرُقُ[1] أهله ليـلاً . وكان يأتيهم غدوة أو عشية[2] .

وعن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة . فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل . فقال : « أمهلوا حتى ندخل ليلاً ــ أي عشاء ــ كي تمتشط الشَّعِثة ، وتستحد المُغِيبَة[3] » .

ولهذه الأخلاق كان محمد ﷺ محبوباً من صحابته ، وكانوا لا يطيقون فراقـه :

أتى ثوبان رسول الله ﷺ يوماً ، وقد تغير وجهه ، ونحل جسمه ، وعرف الحزن في وجهه ؛ فسأله رسول الله ﷺ عن حاله ؟ فقال : يا رسول الله ! ما بي وجع ، غير أني إذا لم أرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك . فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك ، لأني ان دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين ، فلا أراك . فنزل : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقـين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقـاً[4] » .

---

(١) الطروق : هو الاتيان في الليل ، وكل آت في الليل فهو طارق .

(٢) رواه مسلم (١٩٢٨) .

(٣) تستحد : تزيل شعر عانتها ، والمُغيبة : التي غاب زوجها . والحديث رواه مسلم .

(٤) الآية في سورة النساء : ٦٩ ، والقصة في السيرة لأحمد دحلان ج٣ ص ٣١٣ .

٣ ـ عفــوه وحلمــه

لقد أمر الله بالعفو في قولــه :

« خذ العفو وأمر بالعـُرف وأعرض عن الجاهلين » ٠

(سورة الأعراف ١٩٩)

فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أعظم الناس عفواً وأرجح الناس حلماً.

ويدل على هذا الخلق ما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قــال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركــه أعرابي ، فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : مر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء[١] .

وكان يصبر على أذى المنافقين والمشركين ، ويعفو عنهم :

عن عروة أن أسامة بن زيد أخبره أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف[٢]، تحته قطيفة فدكية[٣]، وأردف وراءه أسامة ، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج ، وذاك قبل وقعة بدر ، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان ، واليهود ، فيهم عبــد الله بن أبي ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة . فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة[٤] خمّر[٥] عبد الله بن أبي أنفه بردائه ، ثم قال : لا تغبّروا علينا[٦] .

---

(١) رواه البخاري (٣١٤٩) ومسلم ٠

(٢) الإكاف للحمار بمنزلة السرج للفرس ٠

(٣) القطيفة : دثار مخمل ، فدكية : منسوبة الى فدك ٠

(٤) عجاجة الدابة : ما ارتفع من غبار حوافرها ٠

(٥) أي غطى ٠

(٦) أي لا تثيروا علينا الغبار ٠

فسلم عليهم النبي ﷺ ، ثم وقف فنزل ، فدعاهم الى الله ، وقرأ عليهم القرآن • فقال عبد الله بن أبي ، أيها المرء ! لا أحسن من هـذا • إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا ، وارجع الى رحلك[1] ، فمن جاءك منا فاقصص عليه • فقال عبد الله بن رواحة : اغشنا في مجالسنا ، فإنا نحب ذلك •

قال : فاستب المسلمون والمشركون واليهود ، حتى هموا أن يتواثبوا • فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم[2]، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال : « أي سعد! ألم تسمع الى ماقال أبو حُبَاب ـ يريد عبد الله بن أبي ـ قال : كذا وكذا » •

قال : اعفُ عنه يا رسول الله واصفح • فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة[3] أن يتوّجوه ، فيعصّبوه بالعِصابة[4] • فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك[5] ، فذلك فعل به ما رأيت • فعفا عنه النبي ﷺ[6] •

وكان ﷺ يعلم أصحابه الحلم والعفو :

عن أسماء بنت أبي بكر قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ حجاجاً ، حتى إذا كنا بالعَرْج[7] نزل رسول الله ﷺ ، فجلست عائشة الى جنب رسول الله

(١) أي الى منزلك •
(٢) أي يسكنهم ، ويسهل الأمر بينهم •
(٣) يعني المدينة المنورة •
(٤) كان من عادتهم إذا ملكوا إنساناً أن يتوجوه ويعصبوه •
(٥) أي غص ، ومعناه حسد النبي ﷺ •
(٦) رواه مسلم (١٧٩٨) •
(٧) العرج : منزل بطريق مكة • وقال ابن الأثير : العرج : قرية جامعة من عَمَل الفُرع على أيام من المدينة • (النهاية ج٣ ص ٢٠٤) •

ﷺ ، وجلست الى جنب أبي . وكانت زِمالة[1] رسول الله ﷺ وزمالة أبي بكر واحدة مع غلام أبي بكر ، فجلس ينتظر أن يَطْلع عليه ، فطلع وليس معه بعيره . فقال : أين بعيرك ؟ فقال : أضللته البارحة . فقال أبو بكر : بعير واحد تضله ! فطفق يضربه ، ورسول الله ﷺ يتبسم ويقول : « انظروا الى هذا المحرم وما يصنع ![2] » .

وكان حلمه سبباً في محبة للناس له وإيمانهم به :

قال زيد بن سَعْنَه[3] . انطلقت إلى رسول الله ﷺ لأعرف حلمه ، فجاءه رجل كالبدوي فقــال : يا رسول الله ! إن قريــة بني فلان أسلموا . وحدثتهم أنهم إن أسلموا أتتهم أرزاقهم رغداً ، وقد أصابتهم سنة وشدة ، وإني مشفق عليهم أن يخرجوا من الاسلام ، فإن رأيت أن ترسل لهم بشيء يعينهــم .

فقلت : أنا ابتــاع منكم بكذا وكذا وَسَقاً ، فأعطيته ثمانين ديناراً ، فدفعها الى الرجل ، وقال : عجل عليهم بها فأعنهم .

فلما كان قبل المَحِلّ بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه ، فجبذت رداءه جبذة شديدة حتى سقط عن عاتقه ، ثم أقبلت بوجه جهم غليظ، فقلت: ألا تقضيني يامحمد،فوالله ماعلمتكم بني عبد المطلب لمطل.

فقال عمر بن الخطاب : أي عدو لله ! أتقول هذا لرسول الله ﷺ وتصنع به ما أرى ؟ فوالذي بعثه بالحق لو ما أخاف فوته[4] لسبقني رأسك .

---

(١) الزمالة : ما كان معهما في السفر .

(٢) رواه أحمد (ج٦ ص ٣٤٤) .

(٣) الأشهر : سَعْنة . وروي سَعْيه .

(٤) أي من بقاء الصلح بين المسلمين وقومه .

فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « أنا وهو أحوج الى غير هذا ، أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التباعة ، اذهب يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمر » .

فقال زيد : لم يبق من علامات النبوة شيء إلا قد عرفته في وجه رسول الله إلا اثنتين : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده الجهل عليه إلا حلماً . فقد اختبرته منه ، فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله(١) .

وكذلك أسلم أهل مكة عند عفوه عنهم .

ولم يكن هذا الخلق أمراً عارضاً يظهر في مناسبات دون غيرها ، ولم يكن ﷺ يتكلف الظهور به ، وإنما كان مجبولاً عليه :

عن عائشة قالت : « لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح(٢) » .

لكن حلمه كان ينتهي حين تنتهك محارم الله ، فينتقم لله عز وجل :

عن عائشة أنها قالت : « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه . وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل(٣) » .

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي وابن حبان والطبراني ، وابو نعيم الاصبهاني (دلايل النبوة ص ٢٣ ـ ٢٤) ، وابن الجوزي (الوفا في أحوال المصطفى ص ٤٢٤ ـ ٤٢٧) .

(٢) رواه الترمذي في الشمائل .

(٣) رواه البخاري (٣٥٦٠) ومسلم (٢٣٢٧) وأبو داود والترمذي .

وعن الحسن بن علي عن خاله هند بن أبي هالة قال : « كان رسول الله ﷺ لا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها . فاذا تعدي الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له . لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها [1] » .

والى حلمه واغضائه أشار صاحب الهمزية بقوله :

جهلت قومه عليه فأغضى ... وأخو الحلم دأبه الاغضاء

وسع العالمين علماً وحلماً ... فهو بحر لم تعيه الأعباء

(١) رواه الترمذي .

٤ ـ رحمتـه وشفقته ورأفتـه

ليس أبلغ في الدلالة على الرحمة والرأفة عند رسول الله ﷺ من أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصفه بقوله :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عَنِتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤفٌ رحيم » . (سورة التوبة ١٢٨)

وكيف لا يكون رحيماً من كانت رسالته لرحمة الناس جميعاً ، ومن خاطبه ربه بقوله :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . (سورة الأنبياء ١٠٧)

ولقد لخص رسالته والغاية من بعثته بقوله : « إنما أنا رحمة مهداة[١] » . وقوله : « إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً[٢] » .

تجلت هذه الرحمة في صبره على أذى المشركين وعدم الدعاء عليهم .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : يا رسول الله ! ادعُ على المشركين . قال : « إني لم أبعث لَعّاناً ، وإنما بعثت رحمة[٣] » .

وعنه قال : جاء الطفيل بن عمرو الدوسي الى رسول الله ﷺ فقال : إن دوساً قد عصت وأبت ، فادع الله عليهم ، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ، ورفع يديه ، فقال الناس : هلكوا . فقال : « اللهم اهد دوساً وائتِ بهم[٤] » .

---

(١) رواه ابن سعد والحكيم عن أبي صالح مرسلا ، والحاكم عن أبي هريرة ، وهو صحيح .

(٢) رواه البخاري في التاريخ عن أبي هريرة ، وهو حسن .

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٩) والبخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة .

(٤) الوفا في أحوال المصطفى لابن الجوزي ص ٤١٨ .

وبلغ من رحمته أنه كان يحزن ويأسف على كفر قومه حتى خاطبه الله ـ سبحانه ـ بقوله :

« فلعلك باخعٌ نفسكَ على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » . (سورة الكهف ٦)

« لعلك باخعٌ نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين » .
(سورة الشعراء ٣)

وما كانت رحمته لتنتهي دون الحمقى والجفاة وأهل النفاق :

عن عائشة أن رجلا استأذن على النبي ﷺ ، فلما رآه قال : بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة ، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه . فلما انطلق الرجل قالت له عائشة : يا رسول الله ! حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه ؟ فقال : « يا عائشة ! متى عهدتني فاحشاً ! إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره[1] » .

وكان رفيقاً بأصحابه :

عن مالك بن الحويرث قال : كان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً . فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا ، فسألنا عمن تركنا من أهلنا . فأخبرناه ، فقال : « ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم[2] » .

وبلغ من رأفته بالناس أنه كان يخفف الصلاة عندما يسمع بكاء الصبي حتى لا يشق على أمه :

---

(١) رواه البخاري (٣١٣٢) والترمذي .
(٢) الوفا لابن الجوزي ص ٤٣٣ .

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « إني لأدخل في الصلاة فأريد اطالتها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوز مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه[1] » .

وكان لا يصلي النفل في المسجد حتى لا يقتدي به الصحابة وتكتب عليهم .

عن عائشة أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد ، فصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فاجتمع أكثر منهم ، فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله فصلوا بصلاته . فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : « أما بعد فإنه لم يخفَ عليَّ مكانكم ، لكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها »[2] .

وكان لفرط رحمته يقبّل الأولاد ، ويجلسهم في حجره .

قال ابو هريرة : قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي ، وعنده الأقرع ابن حابس التميمي جالساً ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: « من لا يَرحم لا يُرحم »[3].

ولم يكن أحد أرحم بالعيال منه[4] .

عن أسامة بن زيد ـــ رضي الله عنهما ـــ قال : أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه : إن ابنا لي قُبض فأتنا . فأرسل يقرىء السلام ويقول : « إن لله ما أخذ

---

(١) رواه البخاري (٧١٠) .
(٢) رواه البخاري (٩٢٤ ، ٢٠١٢) .
(٣) رواه البخاري (٥٩٩٧) ومسلم (٢٣١٨) وأبو داود (٥٢١٨) والترمذي .
(٤) رواه مسلم وأحمد عن أنس .

وما أعطى وكل شـيء ـ عنـده بأجـل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب »(١) .

فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها . فقام ـ ومعه سعد بن عبادة ومعاذ ورجـال ـ فرفع الى رسول الله ﷺ الصبي ، ونفسه تتقعقع(٢) ، ففاضت عيناه . فقال سعد : يا رسول الله ! ما هذا ؟ فقال : « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء »(٣) .

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القَين(٤) ـ وكان ظئراً لابراهيم(٥) عليه السلام ـ فأخذ رسول الله ﷺ ابراهيم فقبله وشمه .

ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه(٦) ، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان . فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ! فقال: « يا ابن عوف ! إنها رحمة » . ثم اتبعها بأخرى فقال ﷺ : « إن العين تدمع، والقلب يحـزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنـا . وإنا بفراقـك يا ابراهيم لمحزونون »(٧) .

---

(١) أي تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها .

(٢) القعقعة : حكاية صوت الشيء اليابس إذا حرك .

(٣) رواه البخاري (١٢٨٤) .

(٤) أي الحدّاد .

(٥) الظئر : يعني المرضع ، واطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة . وابراهيم هو ابن رسول الله ﷺ .

(٦) أي يقارب بها الموت . وقد مات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول سنـة عشر ، وهو ابن ستة عشر شهراً كما روى محمد بـن سعد عـن الواقدي عن سيرين (الطبقات الكبرى ج١ ص ١٢٥) .

(٧) رواه البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥) .

٥ ـ حيـــاؤه

كان ــ عليه الصلاة والسلام ــ أشد الناس حياء ، وأكثرهم عن العورات اغضاء .

قال الله تعالى :

« إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق » . (سورة الأحزاب ٥٣)

عن أبي سعيد الخدري قال :كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء(١) في خِدرها . وكان اذا كره شيئاً عرفناه في وجهه(٢) .

وكان لا يشافه أحداً بما يكرهه حياء وكرم نفس :

عن أنس ــ رضي الله عنه ــ عن رسول الله ﷺ أنه كان عنده رجل به أثر صفرة ، وكان رسول الله ﷺ لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه . فلما قام قال للقوم : لو قلتم له يدع هذه الصفرة(٣) .

وقالت عائشة : كان ــ عليه الصلاة والسلام ــ اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل : ما بال فلان كذا وكذا ، بل يقول : ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا(٤) .

---

(١) البِكـر .

(٢) أي لا يتكلم به لحيائه ، بل يتغير وجهه . والحديث رواه البخاري (٣٥٦٢) ومسلم رقم (٢٣٢٠) والترمذي .

(٣) رواه الترمذي وابن الجوزي (الوفا ص ٤٣٣) .

(٤) رواه مسلم والترمذي في الشمائل وابن ماجه .

وعنها قالت : صنع النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم . فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه » فوالله إني لأعلمهم بالله واشدهم له خشية »[١] .

ولشدة حيائه وسخائه كان لا يُسأل شيئاً فيمنعه[٢] .

عن سهل بن سعد رضي عنه قال : كان رسول الله ﷺ حيياً لا يُسأل عن شيء إلا أعطى »[٣] .

(١) رواه البخاري (٦١٠١) .

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٦) عن سهل بن سعد .

(٣) الوفا لابن الجوزي ص ٤٣٤ .

٦ ـ تواضعه

كان رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعاً مع علو منصبه ورفعة رتبته ، فقد خيّر أن يكون نبياً ملِكاً أو نبياً عبداً ، فاختار أن يكون نبياً عبداً[1] .

وكان يكره الثناء عليه : عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت النبي ﷺ يقول :

« لا تطروني[2] كما أطرت النصارى ابن مريم[3] ، فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله[4] » .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال : يا محمد ، يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا ! فقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس ! قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله . والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي[5] » .

وكان يكره أن يقوم له أصحابه ؛ إذ خرج مرة متوكئاً على عصا فقاموا إليه ، فقال : « لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً[6] » .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا ، لما يعلمون من كراهيته لذلك[7] .

---

(١) روه أحمد والبيهقي .
(٢) الاطراء : المدح بالباطل . اطريت فلاناً : مدحته فأفرطت في مدحه .
(٣) أي في دعواهم فيه الالهية وغير ذلك .
(٤) رواه البخاري (٣٤٤٥) والترمذي .
(٥) الوفا في أحوال المصطفى لابن الجوزي ص ٤٣٥ .
(٦) رواه ابو داود (٥٢٣٠) وابن ماجه .
(٧) رواه الترمذي وأحمد .

وكان يعيش بين الناس ، ولا يحتجب عن واحد منهم :

عن الحسن ــ رضي الله عنه ــ أنه ذكر رسول الله ﷺ فقال : « لا والله ما كان يغلق دونه الأبواب ، ولا يقوم دونه الحجاب ، ولا يغدى عليه بالجفان، ولا يراح عليه بها . ولكنه كان بارزاً ، من أراد أن يلقى نبي الله لقيه . كان يجلس بالأرض ، ويوضع طعامه بالأرض . ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويردف بعده . ويلعق والله يده ﷺ[1] » .

وكان يسلم على الصغار ، ويحملهم ويدخل السرور عليهم :

عن أنس أنه كان يمشي مع رسول الله ﷺ،فمر بصبيان فسلم عليهم[2].

وعن عبد الله بن جعفر قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقي بصبيان أهل بيته. قال : وإنه قدم من سفر ، فسبق بي إليه، فحملني بين يديه. ثم جيء بأحد ابني فاطمة ، فأردفه خلفه . قال : فأدخلنا المدينة ، ثلاثة على دابة[3] .

وعن أنس قال : إن كان النبي ﷺ ليخالطنا ، يقول لأخ لي صغير : يا أبا عمير ما فعل النغير ؟ لأنه كان له طير يلعب به ، فمات فحزن عليه[4] .

وكان يمشي مع الضعاف ، ويلبي دعوتهم :

عن ابن أبي أوفى قال : كان رسول الله ﷺ لا يأنف ولا يستنكف أن يمشي مع الأرملة والمسكين ، فيقضي لهما حاجتهما[5] .

---

(١) الوفا في أحوال المصطفى لابن الجوزي ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧ .
(٢) رواه البخاري (٦٢٤٧) ومسلم (٢١٦٨) وأبو داود (٥٢٠٢) والنسائي .
(٣) رواه مسلم (٢٤٢٨) .
(٤) رواه الترمذي في الشمائل .
(٥) سنن الدارمي ، والبيهقي .

وعن عائشة قالت : ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال : لبيك[١] .

وعن أنس أن امرأة كانت في عقلها شيء فقالت : يا رسول الله ! إن لي إليك حاجة . فقال : يا أم فلان ! انظري في أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك . فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها[٢] .

وعنه قال : ان كانت الوليدة من ولائد المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ ، فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت[٣] .

وكان يشتري متاعه بنفسه ، ويحمله بيده :

عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : دخلت السوق مع النبي ﷺ فاشترى سراويل ، وقال للوزان : زن وارجح . فوثب الى يد رسول الله ﷺ يقبلها ، فجذب يده وقال : هذا تفعله الأعاجم بملوكها ، ولست بملك ، إنما أنا رجل منكم . ثم أخذ السراويل . فذهبت لأحمله فقال : صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله[٤] .

وكان لا يتميز عن أصحابه في حال أو عمل ؛ ذكر أنه كان في سفر ، وأمر أصحابه باصلاح شاة ، أي تهيئتها للأكل . فقال رجل : يا رسول الله ! عليّ ذبحها . وقال آخر : يا رسول الله ! علي سلخها . وقال آخر : يا رسول الله ! علي طبخها . فقال رسول الله ﷺ : علي جمع الحطب . فقالوا : يا رسول الله! نكفيك العمل . فقال : قد علمت أنكم تكفوني ، ولكن أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه[٥] .

---

(١) الوفا لابن الجوزي ص ٤١٦ ، والشفاء للقاضي عياض جـ١ ص ٧١ .
(٢) رواه مسلم (٢٣٢٦) والترمذي .
(٣) رواه أحمد جـ٣ ص ١٧٤ .
(٤) رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف .
(٥) السيرة المحمدية لأحمد دحلان جـ٣ ص ٢٥٥ .

٧ ـ بِرُّه ووفاؤه

اتصف رسول الله ﷺ بالبر والوفاء وحسن العهد وصلة الرحم :

عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجلَ من اخوانه ثلاثة أيام سأل عنه . فإن كان غائباً دعا له ، وإن كان شاهداً زاره ، وإن كان مريضاً عاده[١] .

وعنه قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض . فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له : أسلم . فنظر الى أبيه وهو عنده ، فقال له : أطع أبا القاسم . فأسلم . فخرج النبي ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار[٢] » .

ووفد عليه وفد ، فقام يخدمهم بنفسه ، فقال له أصحابه : نكفيك ؟ فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإني أحب أن أكافئهم[٣] .

ولم ينس ذكر زوجه خديجة طيلة عمره،ولم يقصِّر في الوفاء لصديقاتها.

عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: ما غرت على امرأت ما غرت على خديجة ــ ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين ــ لما كنت أسمعه يذكرها . ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب . وإن كان ليذبح الشاة ، ثم يهدي في خلتها منها[٤] .

وكان إذا أتي بهدية قال : اذهبوا بها الى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة[٥] .

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده ، وهو ضعيف .
(٢) رواه البخاري (١٣٥٦) .
(٣) رواه البيهقي .
(٤) رواه البخاري (٦٠٠٤) ومسلم (٢٤٣٥) .
(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد .

وعن عائشة قالت : جاءت عجوز إلى النبي ﷺ فقال : كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله . فلما خرجت قلت : يا رسول الله ! تقبل على هذه العجوز هـذا الاقبال ! فقال : يا عائشة ! إنها كانت تأتينا زمان خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان[1] .

كذلك لم ينس فضل أمه التي أرضعته :

قدمت حليمة على رسول الله ﷺ بمكة ، وقد زوج خديجة ، فشكت إليه جدب البلاد وهلاك الماشية . فكلم رسول الله ﷺ خديجة فيها ، فأعطتها أربعين شاة وبعيراً موقعاً للظعينة . فانصرفت الى أهلها . ثم قدمت عليه بعد الإسلام فأسلمت هي وزوجها وبايعا .

عن محمد بن المنكدر قال : استأذنت امرأة على النبي كانت أرضعته ، فلما دخلت عليه قال : أمي أمي . وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه[2].

وعن أبي الطفيل ـ رضي الله عنه ـ قال : رأيت النبي ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة ، وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور ، إذ أقبلت امرأة حتى دنت من النبي ﷺ فقام إليها ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلت : من هي ؟ فقالوا : هذه أمه التي أرضعته[3] .

وعن عمر بن السائب أن بلغـه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً ، فجاءه أبوه من الرضاعة ، فوضع له بعض ثوبه ، فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه ، فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر ، فجلست عليه ، ثم جاءه أخـوه من الرضاعة ، فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه[4] .

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي في الشعب ، وهو صحيح .
(٢) الوفا لابن الجوزي ص ١١٤ .
(٣) رواه أبو داود .
(٤) رواه أبو داود في المراسيل .

وقال رسول الله ﷺ يوم هوازن : إن قدرتم على بِجَاد ــ رجل من بني سعد بن بكر ــ فلا يفلتنكم • وكان قد أحدث حدثاً • فلما ظفر بـه المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى • فلما انتهي بها إلى رسول الله قالت : يا رسول الله ! إني اختك من الرضاعة • قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عضة عضضتنيها في ظهري وأنـا متوركتك • فعرف رسول الله ﷺ العلامة ؛ فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وخيَّرها ، وقال : إن أحببت فعندي مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي الى قومك فعلت • قالت : بل تمتعني وتردني الى قومي • فمتعها رسول الله ﷺ ، وردها الى قومها[١] •

وعن قتادة قال : لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ! أنا أختك ، أنا شيماء بنت الحارث • فقال لها : « إن تكوني صادقة فإن بك مني أثراً لا يبلى » • قال فكشفت عن عضدها فقالت : نعم يا رسول الله ! وأنت صغير فعضضتني هذه العضة • قال : فبسط لهـا رسول الله ﷺ رداءه ثم قال : « سلي تُعطي ، واشفعي تشفعي[٢] » •

(١) رواه ابن اسحق عن يزيد بن عبيد السعدي (سيرة ابن هشام جـ٣ ص٤٥٨)•
(٢) رواه البيهقي •

٨ ـ جـــوده

كثيراً ما امتدح الشعراء الجود والكرم في الناس ؛ ولم يكن أحد أجود من رسول الله ﷺ :

عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يلقاه كل ليلة رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه النبي القرآن ، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة(١) .

وكان يعطي السائل مرة بعد مرة حتى ينفذ ما عنده :

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده . فقال :

« ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتبصر يبصره الله . وما أعْطِيَ أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر(٢) » .

وعن جابر بن عبد الله قال : ماسئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال : لا(٣) .

وعن أنس قال : ما سئل رسول الله ﷺ على الاسلام شيئاً إلا أعطاه . فجاءه رجل ، فأعطاه غنماً بين جبلين(٤) . فرجع الى قومه فقال : يا قوم ! أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة(٥) .

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٢) ومسلم (٢٣٠٨) والترمذي .
(٢) رواه البخاري (١٤٦٩) .
(٣) رواه البخاري (٦٠٣٤) ومسلم (٢٣١١) والترمذي والدارمي .
(٤) أي كثير ، كأنها تملأ ما بين جبلين .
(٥) رواه مسلم ٥٧ ـ (٢٣١٢) .

وعن طارق بن رئاب قال : قدم على النبي ﷺ سبعون ألف درهم ، وهو أكثر مال أتى به قط ، فوضع على حصير ، ثم قام فقسمه ، فما رد سائلا حتى فرغ منه[1] .

وكان لا يأتيه شيء من المال إلا قسمه في يومه :

عن عقبة بن الحارث ـ رضي الله عنه ـ قال : صليت مع النبي ﷺ العصر ، فلما سلم قام سريعاً ، ودخل على بعض نسائه ، ثم خرج ، ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته ، فقال : ذكرت ـ وأنا في الصلاة ـ تبراً[2] عندنا ، فكرهت أن يمسي ـ أو يبيت ـ عندنا ، فأمرت بقسمته[3] .

وحسبك في هذا ما أعطاه للناس من غنائم هوازن .

(1) الوفا لابن الجوزي ص ٤٤٢ .

(2) التبر : الذهب الذي لم يخلص من ترابه .

(3) رواه البخاري (١٢٢١) .

٩ ـ هيبته

كان لرسول الله ﷺ مع انبساطه وحسن خلقه هيبة قوية ، تجعل من يقوم لقتله يقف مبهوتاً أمامه ، ويستسلم له :

قال أبو سفيان لنفر من قريش بمكة : ألا أحد يغتال محمداً ، فإنه يمشي في الأسواق ، فندرك ثأرنا ؟ فأتاه رجل من الأعراب في منزله وقال له : إن أنت وفيتني خرجت إليه حتى أغتاله ، فإني هاد بالطريق خِرِّيت[1] ، معي خنجر مثل خافية النسر .

قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بعيراً ونفقة ، وقال : اطوِ أمرك ، فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه الى محمد .

فخرج ليلا على راحلته ، فسار خمساً ، وصبح ظَهر الحي يوم سادسه ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ ، فدل عليه ، وكان ﷺ في مسجد بني عبد الأشهل . فعقل راحلته ، وأقبل على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه : إن هذا يريد غدراً ، والله حائل بينه وبين ما يريد . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله ﷺ أنا ابن عبد المطلب . فذهب ينحني على رسول الله ﷺ كأنه يساره . فجبذه أسيد بن حضير بداخلة إزاره ، فإذا بالخنجر . فأسقط في يد الأعرابي ، وقال : دمي دمي[2] . فأخذ أسيد يلبِّبه[3] . فقال له النبي ﷺ : اصدقني ، ما أنت وما أقدمك ؟ قال : وأنا آمن ؟ قال : نعم ؛ فأخبره بخبره . فأسلم وقال : والله يا محمد ما كنت أفْرَقُ من الرجال ، فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي

---

(١) ماهر .
(٢) اي ندم ، وطلب العفو عنه .
(٣) اي يختنقه خنقاً شديداً .

وضعفت نفسي ، ثم إنك اطلعت على ما هممت به ، فما سبقت به الركبان ، ولم يطلع عليه أحد ، فعرفت أنك ممنوع ، وأنك على حق ، وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان . فجعل النبي ﷺ يبتسم .

وأقام أياماً ، ثم استأذن النبي ﷺ ، فخرج من عنده ، ولم يسمع له بذكر[1] .

وقدم رجل من إراش بإبل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها . فأقبل الإراشي حتى وقف على ناد من قريش فقال : يا معشر قريش من رجل يؤديني[2] علي أبي الحكم بن هشام ؟

فقالوا له : أترى ذلك الرجل الجالس ـ لرسول الله ﷺ ، وهم يهزؤون به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة ـ اذهب إليه ، فإنه يؤديك عليه.

فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه ، فضرب عليه بابه ، فقال : من هذا ؟

قال : محمد ، فاخرج إلى . فخرج إليه ، وما في وجهه من رائحة[3] ، قد انتقع لونه . فقال : اعطِ هذا الرجل حقه . قال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذي له . فدخل ، فخرج إليه بحقه فدفعه إليه . ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشي : الحق بشأنك . فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لي حقي[4] .

---

(1) السيرة لابن كثير جـ٣ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ، السيرة الحلبية جـ٣ ص ١٨٤ ، السيرة لأحمد دحلان جـ٢ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(2) يعينني على أخذ حقي .

(3) أي بقية روح . وقيل : يريد : ما في وجهه قطرة دم .

(4) السيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

وهذه الهيبة كانت تجعل بعض من يكلمه يرتجف من الرعب :

عن ابن مسعود أن رجلا كلم رسول الله ﷺ يوم الفتح ، فأخذته الرعدة ، فقال : « هون عليك ، فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد[1] » .

وعن علي قال : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس صدراً ، وأصدق حجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة . من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه . يقول ناعته : لم أرَ قبله ولا بعده مثله ﷺ[2] » .

(١) رواه ابن كثير عن البيهقي (السيرة النبوية جـ٣ ص ٥٥٦) .

(٢) رواه الترمذي في الشمائل .

١٠ ـ شجاعته

قد يتصف بعض الناس باللطف والرقة وبالحلم والرحمة ، ولكنهم يكونون جبناء. أما رسول الله ﷺ فكان مع حلمه وحيائه وتواضعه أشجع الناس فقد قاد بضعاً وعشرين غزوة بعد أن جاوز الخمسين من عمره ، وقاتل بشجاعة لا توجد لدى غيره في عنفوان الشباب . وكان يقود جنده الى ساحة المعركة كلما وجدت ضرورة للقتال ، ولم يمنعه من ذلك شعورهم بالنشوة حين النصر أو المرارة حين الهزيمة، فقد غزا بني سُليم بعد سبع ليال من بدر ، واقتفى آثار المشركين الى حمراء الأسد في اليوم الثاني من غزوة أحد . وكان يحسن قيادة الجيوش كأكبر الضباط الذين تلقوا أفضل تدريب في المدارس العسكرية ، وقضوا حياتهم في التخطيط للمعارك وقيادتها .

وكان يثبت حين يفر الكماة ، ويقبل حين يدبر الشجعان ، ويحرز النصر لأصحابه مع قلة عددهم وعدتهم بشجاعته ومهارته ، وكان حين البأس أقرب الناس الى العدو ، بل كان الشجعان من أصحابه يحتمون به في ساعة الخطر .

قال علي رضي الله عنه : لما حضر الناس يوم بدر اتقينا برسول الله ﷺ ، وكان من أشد الناس، ما كان ـــ أو لم يكن ـــ أحد أقرب إلى المشركين منه[١].

وقال ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ[٢] .

وقال البراء : كنا إذا حمي البأس نتقي برسول الله ﷺ ، وإن الشجاع الذي يحاذي به[٣] .

(١) رواه أحمد (١٠٤٢) والنسائي .
(٢) الشفاء للقاضي عياض جـ١ ص ٦٧ .
(٣) السيرة لابن كثير جـ٣ ص ٦٢٢ .

وفي غزوة أحد دعا طلحة بن أبي طلحة العبدري حاملُ لواء المشركين الى البراز ، فأحجم عنه الناس ، فبرز إليه الزبير ، فوثب حتى صار معه على جمله ، ثم اقتحم بـه الأرض ، فألقاه عنـه ، وذبحه بسيفه • فأثنى عليـه رسول الله ﷺ ؛ فقـال : « إن لكل نبـي حوارياً ، وإن حواري الزبير بن العوام »[1] • وقال : « لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لمـا رأيت من احجام الناس عنه »[2] •

ولم يكن أحد يسبقه لدرء الخطر •

عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس • ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة[3] ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً ، وقد سبقهم الى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحـة عُرْي ، في عنقـه السيف ، وهو يقول : لـم تراعوا ، لم تراعوا[4] • قال : « وجدناه بحراً[5] ، أو إنـه لبحر » • وكان فرساً يبطأ[6] •

---

(١) رواه البخاري (٣٧١٩) والترمذي ، عن جابر ، والحاكم والترمذي ، عـن علي ، وهو صحيح •

(٢) رواه يونس عن ابن اسحق (السيرة لابن كثير جـ٣ ص ٤٠) ، ورواه علي بن برهان الحلبي (السيرة الحلبية جـ٢ ص ٢٢٣) وأحمد زيني دحلان (السيرة المحمدية جـ٢ ص ٢٧) بدون تسمية المشرك ، ثم ذكرا مبارزة طلحة لعلي ومصرع طلحة • وذكر ابن هشام مبارزة علي لأبي سعد بن أبي طلحة •

(٣) أي سمعوا صوتاً في الليل فخافوا أن يهجم عليهم عدو •

(٤) كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيساً واظهاراً للرفق بالمخاطب •

(٥) أي واسع الجري •

(٦) أي يعرف بالبطء والعجز وسوء السير • والحديث رواه البخاري (٦٠٣٣) ومسلم (٢٣٠٧) والترمذي وابن ماجه •

١١ ـ عدلــه وورعــه

لا تجد في العظماء من جمع بين الهيبة والشجاعة ، وبين العدل والورع مثل رسول الله ﷺ. فكان يعدل بين أصحابه ، ويعطي كل واحد ما يستحق. وحين كان يخفى على بعضهم الحكمة في اعطاء شخص وحرمان غيره ، كان يقابلهم بالصفح والصبر ، ويوضح طريقته في المنح والعطاء . فحين أعطى المؤلفة قلوبهم من غنائم هوازن ، وترك الأنصار ، قال رجل : والله إن هذه لقسمه ما عدل فيها ، وما أريد فيها وجـه الله ! فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : « من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ رحم الله موسى ، فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر »[١] .

وكان يحذر أصحابه من الظلم وأخذ شيء بغير حق :

عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ ان رسول الله ﷺ قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن[٢] بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو ما اسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار »[٣] .

وكان يأمرهم بأن يسووا بين أولادهم في العطية .

عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قـال : أعطاني أبـي عطية فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ . فأتى رسول

---

(١) رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود (٤٣٣٥ ، ٤٣٣٦) .

(٢) أبلغ وأعلم بالحجة .

(٣) رواه مالك وأحمد والستة . (مسلم : ١٧١٣) .

الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله ! قال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . قال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم . فرجع أبي ، فرد عطيته[1] .

وكان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تكلمني فيما تملك ولا أملك »[2] . يعني به الحب والمودة .

وكان يقيد لأصحابه من نفسه . ففي غزوة بدر وقف ﷺ بين الصفوف يعدلها بقضيب في يده ، فمر بسوّاد بن غزيّة ، وهو خارج من الصف ، فطعنه في بطنه بالقدح[3] ، وقال : استوِ يا سوّاد . فقال : أوجعتني يا رسول الله ، وقد بعثت بالحق والعدل ، فأقدني من نفسك . فكشف ﷺ عن بطنه وقال : استقد يا سوّاد . فاعتنقه وقبل بطنه . فقال : ما حملك على هذا . فقال : يا رسول الله ! حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك . فدعا له بخير[4] .

وعن عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال :

زحمت رسول الله ﷺ يوم حنين ، وفي رجلي نعل كثيفة ، فوطئت على رجل رسول الله ﷺ ، فنفحني نفحة[5] بسوط في يده ، وقال : بسم الله ، أوجعتني .

---

(١) رواه البخاري (٢٥٨٧) ومسلم (١٦٢٣) .

(٢) رواه الأربعة ، وصححه ابن حبان والحاكم عن عائشة .

(٣) أي بسهم لا نصل له ولا ريش .

(٤) السيرة لابن هشام ق٢ ص ٦٢٦ ، السيرة الحلبية جـ٢ ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

(٥) ضربني ضرباً خفيفاً .

قال : فبت لنفسي لائماً ، أقول : أوجعت رسول الله ﷺ ، فبت بليلة كما يعلم الله . فلما أصبحنا إذا رجل يقول : أين فلان ؟

قال : قلت : هذا والله الذي كان مني بالأمس .

قال : فانطلقت وأنا متخوف .

فقـال لي رسول الله ﷺ : إنـك وطئت بنعلك علـى رجلي بالأمس فأوجعتني ، فنفحتك نفحة بالسوط ، فهذه ثمانون نعجة ، فخذها بها[1] .

---

(١) سنن الدارمي .

١٢ ـ زهده واعراضه عن الدنيا

لقد اختار رسول الله ﷺ الزهد وعيش الكفاف :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً »(١) •

وكان معرضاً عن الدنيا • فقد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد ، وجلب إليه من الغنائم والفيء والجزية والصدقات مالا يجبى للملوك إلا بعضه، وهادته جماعة من ملوك الأقاليم • فما استأثر بشيء منه ، ولا أمسك منه درهماً ، بل صرفه مصارفه ، وأغنى به غيره ، وقوى به المسلمين •

وقال : ما يسرني أن لي مثل أحد ذهباً يبيت عندي منه دينار الا دينار أرصده لدين •

وأتته دنانير مرة فقسمها ، وبقيت منه ستة ، فدفعها لبعض نسائه ، فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها • وقال : الآن استرحت(٢) •

قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به من الجوع ، وأمسح بطنه ، وأقول : نفسي لك الفداء ، لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك ؟

فيقول : يا عائشة ! مالي وللدنيا ، إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا ، فمضوا على ربهم ، فأكرم مآبهم ، وأجزل ثوابهم • فأجدني استحي إن ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غداً

---

(١) القوت : ما يقوت البدن ويكف عن الحاجة • والحديث رواه البخاري (٦٤٦٠) ومسلم (١٠٥٥) والترمذي والنسائي وابن ماجه •

(٢) الشفاء للقاضي عياض جـ١ ص ٥٥ ـ ٥٦ •

دونهم • وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي[1] •

وفي رواية لابن أبي حاتم عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : ظل رسول الله ﷺ صائماً ثم طواه ، ثم ظل صائماً ثم طواه ، ثم ظل صائماً ثم طواه • وقال : يا عائشة ! إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد • يا عائشة ! إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ، ولم يرض مني الا أن يكلفني ما كلفهم ، فقال :

« فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل » •

(سورة الأحقاف ٣٥)

وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي ، ولا قوة إلا بالله[1] •

وكان ينام على الحصير •

فقد دخل عليه عمر ــ رضي الله عنه ــ فرآه على حصير قد أثر في جنبه وتحت رأسه مِرفقة من أدم حشوها ليف[2] •

وعن عبد الله بن مسعود : اضطجع رسول الله ﷺ على حصير ، فأثر في جنبه •

فقيل له : ألا نأتيك بشيء نقيك منه ؟

فقال : « مالي وللدنيا ، إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها »[3] •

وقد سئلت عائشة : ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك ؟

---

(١) السيرة لأحمد دحلان جـ٣ ص ٢٨٣ ــ ٢٨٤ •

(٢) رواه البخاري (٥٨٤٣) وابن ماجه (٤٨٥٣)

(٣) رواه أحمد (٣٧٠٩) وأبو داود الطيالسي والترمذي وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي في الشعب •

قالت : من أدم حشوه ليف[1] .

وسئلت حفصة : ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك ؟

قالت : مسحاً نثنيه ثنيتين ، ينام عليه ، فلما كان ذات ليلة قلت : لو ثنيته أربع ثنيات كان أوطأ له . فثنينا بأربع ثنيات ، فلما أصبح قال: « ما فرشتموني الليلة ؟ »

قلنا : هو فراشك إلا انا ثنيناه بأربع ثنيات ، قلنا هو أوطأ لك .

قال : « ردوه لحاله الأولى ، فإنه منعتني وطأته صلاتي الليلة[2] ».

وكان يلبس الخشن والغليظ من الثياب :

عن أبي بردة قال : أخرجت إلينا عائشة كساء وازاراً غليظاً فقالت: «قبض روح النبي ﷺ في هذين[3] » .

وكان يصبر على الجوع :

عن أنس قال : جاءت فاطمة بكسرة خبز الى النبي ﷺ فقال : ما هذه الكسرة يافاطمة ؟ قالت : قرص خبزته،فلم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة. فقال : « أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام[4] » .

وعن عائشة قالت : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز برّ حتى مضى لسبيله[5] .

وعن أبي هريرة قال : ما شبع نبي الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا[6] .

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٦) وابن ماجه (٤١٥١) .
(٢) رواه الترمذي .
(٣) رواه البخاري (٥٨١٨) .
(٤) رواه أحمد والطبراني .
(٥) رواه البخاري (٦٤٥٤) ومسلم ٢١ ـ (٢٩٧٠) ، واللفظ لمسلم .
(٦) رواه مسلم (٢٩٧٦) وأحمد .

وعن عائشة قالت : ما شبع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض[1] .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاويـاً ، وأهل بيته لا يجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم خبز الشعير[2] .

وعن أنس قال : « ما أكل النبي ﷺ خبزاً مرققاً ولا شاة مسموطة حتى لقي الله [3] » .

وعن عائشة قالت : ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم إلا احداهما تمـر[4] .

وكان التمر غذاءه الأساسي :

عن عروة عن عائشة أنها قالت له : ابن أختي ، إن كنا لننظر الى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار . فقلت : ماكان يُعيشُكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ؛ إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح[5] ، فكانوا يرسلون الى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه[6] .

ومع ذلك فلم يكن يجد التمر في كثير من الأيام :

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل .

(٢) رواه أحمد (٣٥٤٥) .

(٣) رواه البخاري (٥٣٨٥) .

(٤) رواه البخاري (٦٤٥٥) .

(٥) المنيحة في الأصل : الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها ، يردها اذا انقطع اللبن ، ثم كثر استعمالها حتى اطلقت على كل عطاء .

(٦) رواه البخاري (٦٤٥٩) ومسلم (٢٩٧٢) وابن ماجه (٤١٤٥) .

عن سماك قال : سمعت النعمان بن بشير يقول : ألستم في طعام وشراب ما شئتم ؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل[1] ما يملأ به بطنه[2] .

وعن عائشة: «توفي النبي ﷺ حين شبعنا من الأسودين: التمر والماء[3]» .

وقد ضاق نساؤه من هذه المعيشة ، وطلبن التوسع في النفقة ، فأنزل الله تعالى :

« يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتكعن وأسرحكن سراحاً جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الأخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً»

(سورة الأحزاب ٢٨ ـ ٢٩)

فخيرهن رسول الله ﷺ بين أن يفارقهن ، فيذهبن الى من يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها ، وبين الصبر على ضيق الحال مع الثواب الجزيل ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

وكان لا يجد ما يشتري به قوتاً لأهله :

عن أنس أنه مشى الى النبي ﷺ بخبز شعير واهالة سنخة[4] . ولقد رهن النبي ﷺ درعاً له بالمدينة عند يهودي ، وأخذ منه شعيراً لأهله . ولقد سمعته يقول : ما أمسى عند آل محمد ﷺ صاع بر ولا صاع حب . وان عنده لتسع نسوة[5] .

---

(١) التمر الرديء .

(٢) رواه مسلم (٢٩٧٧) والترمذي وابن ماجه (٤١٤٦) .

(٣) رواه البخاري (٥٣٨٣) .

(٤) الإهالة : كل دهن يؤتدم به . والسنخة : المتغيرة الرائحة من طول المكث .

(٥) رواه البخاري (٢٠٦٩) وابن ماجه (٤١٤٧) .

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ اشترى طعاماً من يهودي الى أجل ، ورهنه درعاً من حديد[1] .

وعنها : توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير[2] .

وهكذا فارق الدنيا ، ولم يترك مالاً :

عن عائشة قالت : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ، ولا أوصى بشيء[3] .

وعن عمرو بن الحارث قال : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة[4] .

---

(١) رواه البخاري (٢٠٦٨) ومسلم ١٢٦ ـ (١٦٠٣) .

(٢) رواه البخاري (٤٤٦٧) ومسلم والبيهقي ، ورواه أحمد (٣٤٠٩) عن ابن عباس .

(٣) رواه مسلم (١٦٣٥) وأحمد والأربعة .

(٤) رواه البخاري (٤٤٦١) والترمذي والنسائي .

١٣ ـ عبادته

كان ﷺ يكثر من الصلاة والصيام والعمل الصالح :

قالت عائشة : كان عمله دِيمة[١] . وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق[٢] .

وعن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه . فقيل له : أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « أفلا أكون عبداً شكوراً[٣] » .

وعن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه . قالت عائشة : يا رسول الله ! أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ؟ فقال : يا عائشة ! « أفلا أكون عبداً شكوراً »[٤] .

وكان يطيل القيام والركوع والسجود في صلاته :

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : صليت مع النبي ﷺ ليلة ، فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء . قلنا : وما هممت ؟ قال : هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ[٥] .

وعن حذيفة قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة ، فافتتح البقرة ، فقلت[٦] : يركع عند المائة . ثم مضى ، فقلت : يصلي بها في ركعة[٧] . فمضى

(١) أي دائماً .
(٢) رواه البخاري (١٩٨٧) ومسلم .
(٣) رواه البخاري (١١٣٠) ومسلم (٢٨١٩) والترمذي والنسائي .
(٤) رواه مسلم (٢٨٢٠) .
(٥) رواه البخاري (١١٣٥) ومسلم ٢٠٤ ـ (٧٧٣) .
(٦) أي في نفسي ، يعني : ظننت انه يركع عند مائة آية .
(٧) أراد بالركعة الصلاة بكاملها .

فقلت : يركع بها . ثم افتتح النساء فقرأها . ثم افتتح آل عمران فقرأها ؛ يقرأ مترسلاً ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ . ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربي العظيم ، فكان ركوعه نحواً من قيامه . ثم قال : سمع الله لمن حمده ، ثم أقام طويلا قريباً مما ركع . ثم سجد فقال : سبحان ربي الأعلى ، فكان سجوده قريباً من قيامه[1] .

وكان إذا حَزَبَهُ أمر صلى[2] .

وكان تارة يقوم من أول الليل ، وتارة من وسطه ، وتارة من آخره . كما كان يصوم تطوعاً تارة من أول الشهر ، وتارة من وسطه ، وتارة من آخره :

عن حميد أنه سمع أنساً ــ رضي الله عنه ــ يقول : كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن ألا يصوم منه ، ويصوم حتى نظن ألا يفطر منه شيئاً. وكان لا تشاء تراه من الليل مصلياً إلا رأيته ، ولا نائماً إلا رأيته[3] .

وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال : « ما صام النبي ﷺ شهراً كاملاً غير رمضان . ويصوم حتى يقول القائل : لا والله لا يفطر ، ويفطر حتى يقول القائل : لا والله لا يصوم[4] » .

وكان كثير الاستغفار والتوبة . قال أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة[5] » .

---

(١) رواه مسلم ٢٠٣ ـ (٧٧٢) .
(٢) رواه أحمد وأبو داود عن حذيفة .
(٣) رواه البخاري ، رقم (١٩٧٢) .
(٤) رواه البخاري ، رقم (١٩٧١) .
(٥) رواه البخاري ، رقم (٦٣٠٧) .

١٤ ـ مزاحه

كان النبي ﷺ من أكثر الناس مزاحاً :

عن أنس قال : كان النبي ﷺ من أفكه الناس[١] .

وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً[٢] .

وهذه أمثلة على مزاحه :

عن أنس أن رجلاً من أهل البادية يقال له زاهر ، وكان يهدي الى النبي ﷺ الهدية من البادية ، فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج . فقال رسول الله ﷺ : « إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه » . وكان رجلاً دميماً . فأتاه النبي ﷺ يوماً ، وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه ، والرجل لا يبصره . فقال : أرسلني ، من هذا ؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه . وجعل رسول الله ﷺ يقول : « من يشتري هذا العبد » ؟ فقال الرجل : يا رسول الله ! اذن والله تجدني كاسداً . فقال النبي ﷺ : « لكن عند الله لست بكاسد » ، أو قال : « أنت عند الله غال[٣] » .

وعنه أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ فقال : « إني حاملك على ولد الناقة » . فقال : وما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « وهل تلد الإبل إلا النوق[٤] » .

---

(١) أخرجه ابن عساكر ، وهو ضعيف .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عمر ، والخطيب في التاريخ عن أنس ، وهو حسن .

(٣) رواه الترمذي .

(٤) رواه أبو داود (٤٩٩٨) والترمذي .

وعن الحسن قال : أتت عجوز النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ! ادع الله أن يدخلني الجنة • فقال : يا أم فلان ! إن الجنة لا تدخلها عجوز •

فولت تبكي • فقال : أخبروها أنها لاتدخلها وهي عجوز ، إن الله تعالى يقول : « إنا أنشأناهن إنشاء • فجعلناهن أبكاراً [1] » •

---

(١) رواه الترمذي • والآيتان في سورة الواقعة : ٣٥ ـ ٣٦ •

١٥ ـ ضحكه وتبسمه

عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : ما رأيت أحداً كان أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ[١] .

وعن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ ألين الناس وأكرم الناس ، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان بساماً[٢] .

وكان لا يضحك إلا تبسماً[٣] .

عن الحسن بن علي ، عن خاله هند بن أبي هاله في صفة ضحك رسول الله ﷺ قال : جل ضحكه التبسم ، يفتر عن مثل حب الغمام[٤] .

وعن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنما كان يتبسم[٥] .

وعن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سَمُرة : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟

قال نعم ، كثيراً . كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس . فإذا طلعت قام . وكانوا يتحدثون ، فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم ﷺ[٦] .

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل .

(٢) رواه ابن عساكر .

(٣) رواه أحمد والترمذي والحاكم عن جابر بن سمرة ، وهو صحيح .

(٤) رواه الترمذي .

(٥) أخرجه البخاري (٦٠٩٢) ومسلم وأبو داود (١٢٤) وأحمد (جـ٦ ص ٦٦).
واللهوات جمع لهاة ، وهي اللحمة التي في الحلق من الأعلى .

(٦) رواه مسلم (٢٣٢٢) .

١٦ ـ منطقه وفصاحته

كان رسول الله ﷺ أفصح خلق الله وأعذبهم كلاماً وأسرعهم أداء وأحدهم منطقاً ، حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب، وكأنه يسلب الأرواح. ففصاحة لسانه غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يداني منتهاها .

عن أم معبد قالت : كان رسول الله ﷺ اذا صمت فعليه الوقار ، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، حلو المنطق ، لا نزر ولا هذر[١] .

وعن الحسن بن علي قال : سألت خالي هندا فقلت : صف لي منطق رسول الله ﷺ . فقال : كان متواصل الأحزان دائم الفكرة ، ليست له راحة ، طويل السكت . يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه . ويتكلم بجوامع الكلم . كلامه فصل لا فضول ولا تقصير[٢] .

وعن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه[٣].

وعنها قالت : ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا ، ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل ، يحفظه من جلس إليه[٤] .

وعن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه[٥] .

وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول، فقد كان ﷺ بالمحل الأفضل والوضع

---

(١) الوفا لابن الجوزي ص ٤٥٤ .

(٢) (٥) رواه الترمذي .

(٣) رواه البخاري (٣٥٦٧) ومسلم (٢٤٩٣) وأبو داود .

(٤) رواه البخاري (٣٥٦٨) والترمذي .

الذي لا يجهل ، سلاسة طبع وبراعة مَنْزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف . أوتي جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم[1] .

وكان يقول : « أنا أعربكم : أنا من قريش ، ولساني لسان بني سعد بن بكر »[2] .

وقال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي . ونشأت في بني سعد »[3] .

وقال : « بعثت بجوامع الكلم »[4] .

وعن عمر بن الخطاب أنه قال : يا رسول الله ! مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ قال : « كانت لغة اسماعيل قد درست ، فأتاني بها جبريل ، فحفظنيها »[5] .

وقال ابن الجوزي رحمه الله : كل كلام رسول الله ﷺ حكم وفصاحة . ومن طرائفها :

« إياكم وخضراء الدِّمَن »[6] .

---

(١) الشفاء للقاضي عياض جـ١ ص ٤٤ .

(٢) رواه ابن سعد عن يحيى بن يزيد السعدي مرسلا ، وهو صحيح .

(٣) أخرجه ثابت السرقسطي في الدلائل بسند واه . وقال ابن تيمية : لا يعرف له اسناد ثابت . وذكره ابن الجوزي في الأحاديث الواهية .

(٤) رواه البخاري (٧٢٧٣) ومسلم والنسائي ، عن أبي هريرة ، وهو صحيح .

(٥) رواه أبو نعيم والغطريف في جزئه ، وابن عساكر عن عمر . وهو ضعيف .

(٦) رواه الرامهرمزي والعسكري في الأمثال ، وابن عدي في الكامل ، والقضاعي في مسند الشهاب ، والخطيب في ايضاح الملبس ، والديلمي من حديث الواقدي عن أبي سعيد مرفوعاً ، والدارقطني في الأفراد ، وقال : لا يصح من وجه . ومعنى الدمن : العطن والبعر ، والمراد به : المرأة الحسناء في منبت السوء .

« إن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطاً أو يلم »[1] .

« ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »[2] .

« والمرء كثير بإخوانه »[3] .

وقوله للأنصار : « إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع »[4] .

وقوله : « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »[5] .

وقوله : « حبك الشيء يعمي ويصم »[6] .

« القناعة مال لا ينفد »[7] .

وقال القاضي عياض : وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين ، وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب . ومنها مالا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة ، كقوله :

« المسلمون تتكافأ[8] دماؤهم ، ويسعى بذمتهم[9] أدناهم ، وهم يد على من سواهم »[10] .

---

(١) الحبط : وجع ببطن البعير من كلأ يكثر منه ، فلا يخرج منه شيء . يلم : يقرب من الهلاك . والحديث أخرجه البخاري (٦٤٢٧) ومسلم، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه البخاري (٦١٣٣) ومسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه، عن أبي هريرة.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الاخوان عن سهل بن سعد ، وهو ضعيف .

(٤) أخرجه العسكري في الأمثال عن أنس (كنز العمال جـ٧ ص ١٣٦) .

(٥) رواه مسلم عن أبي هريرة في حديث أوله : « من نفس عن مؤمن كربة .. » . والعسكري عن الأعمش .

(٦) رواه أحمد وأبو داود والبخاري في التاريخ ، عن أبي الدرداء ، وهو حسن .

(٧) رواه القضاعي عن أنس وهو ضعيف . والاحاديث من اختيار ابن الجوزي (الوفا بأحوال المصطفى ص ٤٥٦ ــ ٤٥٧) .

(٨) أي تتماثل .

(٩) أي بعهدهم وأمانهم .

(١٠) رواه أبو داود والنسائي عن علي .

وقوله : « الناس كأسنان المشط »[1] .

« والمرء مع من أحب »[2] .

« ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له »[3] .

« والناس معادن »[4] .

« وما هلك امرؤ عرف قدره »[5] .

« والمستشار مؤتمن . وهو بالخيار مالم يتكلم »[6] .

« ورحم الله عبداًقال خيراً فغنم أو سكت فسلم »[7] .

« إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطؤن أكنافاً[8] الذين يألفون ويؤلفون »[9] .

وقوله : « ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً »[10] .

---

(١) أخرجه ابن لال عن سهل بن سعد .

(٢) رواه البخاري (٦١٧٠) ومسلم ، عن أبي موسى الأشعري ، وأحمد في المسند.

(٣) رواه الديلمي عن أنس ، وابن عدي في الكامل بسند ضعيف .

(٤) رواه البخاري (٣٣٨٣) ومسلم وأحمد وابن حبان ، عن أبي هريرة .

(٥) رواه السمعاني في تاريخه بسند فيه مجهول .

(٦) أخرج صدره فقط الأربعة من حديث أبي هريرة ، والحاكم من حديث ابن عمر. ورواه أحمد عن ابن مسعود ، ولفظه عنده ، « المستشار مؤتمن وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت . فإن تكلم فليجتهد رأيه » .

(٧) رواه ابن المبارك عن خالد بن أبي عران مرسلا ، وأخرجه أبو الشيخ عن أبي أمامة ، والديلمي عن أنس ، والبيهقي في الشعب . وهو حسن .

(٨) المتواضعون اللينون .

(٩) رواه البخاري في الأدب المفرد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، والترمذي من حديث جابر .

(١٠) وجدته في الجامع الصغير للسيوطي بلفظ : « ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار » . وعزاه الى الطبراني في الأوسط عن سعد ، وقال عنه : حسن . ورواه أبو داود عن عمار بلفظ : « ذو الوجهين وذو اللسانين في النار » .

ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ، ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات[1] .

وقوله : « اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »[2] .

و « خير الأمور أوساطها »[3] .

وقولـه : « أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما . وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما »[4] .

وقوله : « الظلم ظلمات يوم القيامة »[5] .

---

(١) رواه البخاري « ٦٤٧٣) ومسلم ، عن المغيرة بن شعبة .

(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان ، عن أبي ذر .

(٣) رواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند فيه مجهول عن علي مرفوعاً . وقال ابن الغرس : ضعيف .

(٤) رواه الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة ، والطبراني عن ابن عمر وابن عمرو ، والدارقطني في الأفراد ، وابن عدي في الكامل والبيهقي والبخاري في الأدب المفرد ، عن علي موقوفاً . واقتصر القاضي عياض على الجملة الأولى .

(٥) رواه البخاري (٢٤٤٧) ومسلم والترمذي ، عن ابن عمر .

وقد ذكر القاضي هذه الأحاديث في: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى جـ١ ص٤٦ ولم نذكر بعض ما اختاره من كلمات .

١٧ ـ طريقته في الموعظة والتربية

كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أعظم المربين وأفضل الوعاظ ؛ فكان يقتصد في الموعظة حتى لا يوقع أصحابه في الملل ، ويتحين الأوقات المناسبة مخافة السآمة عليهم :

عن شقيق قال : كنا جلوساً عند باب عبد الله بن مسعود ننتظره ، فمر بنا يزيد بن معاوية النخعي فقلنا : اعلمه بمكاننا . فدخل عليه ، فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله فقال : إني أُخبرُ بمكانكم فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أُملكم[1] . إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا[2] بالموعظة في الأيام مخافة السآمة[3] علينا[4] .

وعن أبي وائل قال : كان عبد الله بن مسعود يذكرنا كل خميس ، فقال : ما يمنعني أن أحدثكم إلا كراهية أن أملكم . إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا[5] .

وكان الرسول ﷺ يعلم الرجل بعد أن يقضي مسألته ، ويجعله في حالة نفسية مناسبة ليتقبل ما يتعلمه ويتأثر به :

عن حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ قال : سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني . ثم قال : « يا حكيم ! إن هذا المال خَضِرة حلوة[6] ، فمن أخذه بسخاوة نفس[7] بورك له فيه ، ومن

---

(١) أي أوقعكم في الملل .
(٢) أي يتعاهدنا .
(٣) الملل .
(٤) (٥) أخرجه مسلم رقم ٨٢ ـ (٢٨٢١) ، ٨٣ ـ (٠٠٠٠) .
(٦) أنث الخبر لأن المراد الدنيا . وشبه المال بالفاكهة الخضراء المستلذة للميل اليه وحرص النفوس عليه .
(٧) أي بغير شره ولا إلحاح .

أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع • اليد العليا خير من اليد السفلى » •

قال حكيم : فقلت : يا رسول الله ! والذي بعثك بالحق لا أرزأ[1] أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا •

فكان أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ يدعو حكيماً الى العطاء ، فيأبى أن يقبله منه•ثم إن عمر ــ رضي الله عنه ــ دعاه ليعطيه ، فأبى أن يقبل منه شيئاً؛ فقال عمر : إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء ، فيأبى أن يأخذه •

فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي[2] •

فانظر كيف أعطاه ما سأله ثلاثاً ، ثم علمه حكمة جعلته غني النفس؛ فصار العطاء يأتيه فيرده • ولو أن الرسول ﷺ ألقى إليه تلك الحكمة قبل أن يعطيه لما تأثر بها الى هذا الحد •

وكان ﷺ يمهد للمسألة التي يعلّمها ، ويقرّبها لفهم السائل ، ويعتمد على التشبيه في توضيح المعاني التي يريدها ، مما يجعل المتعلم يتوصل بنفسه الى الحكم الشرعي ويتعلمه :

عن أبي هريرة أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال : إن امرأتي ولدت غلاماً أسود ، وإني أنكرته •

فقال له رسول الله ﷺ : هل لك من إبل ؟

قال : نعم :

---

(١) لا أنقص ماله بالطلب منه •

(٢) رواه البخاري رقم : (١٤٧٢ ، ٣١٤٣) •

قال فما ألوانها ؟

قال : حمر •

قال : هل فيها من أورق •

قال : إن فيها لورقاً •

قال : فأنّى ترى ذلك جاءها ؟

قال : يا رسول الله ! عِرق نزعها •

قال : ولعل هذا عِرق نزعه • ولم يرخص له في الانتفاء منه[1] •

وعن ابن عباس أن امرأة جاءت الى النبي ﷺ فقالت : إن أمي نذرت أن تحج ، فماتت قبل أن تحج ، أفأحج عنها ؟

قال : نعم ، حجي عنها • أرأيت لو كان على أمك دَين أكنت قاضيته ؟

قالت : نعم •

قال : فاقضوا الذي له ، فإن الله أحق بالوفاء[2] •

وكان يرفق بالجاهل ، ويأخذ بيده :

عن أبي هريرة أن اعرابياً جاء الى النبي ﷺ يستعينه في شيء ، فأعطاه شيئاً ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال : لا ، ولا أجملت • فغضب المسلمون وقاموا إليه • فأشار إليهم أن كُفّوا •

ثم قام فدخل منزله ، ثم أرسل الى الأعرابي ، فدعاه الى البيت ، فزاده شيئاً فرضي • فقال : إنك جئتنا فسألتنا ، فأعطيناك ، وقلت ما قلت ، وفي أنفس المسلمين شيء من ذلك • فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك • قال : نعم •

---

(١)(٢) رواه البخاري رقم (٧٣١٤) ، (٧٣١٥) • والأورق ما كان ابيض مائلا الى السواد •

فلما كان الغداة جاء ، فقال رسول الله ﷺ : إن صاحبكم هذا كان جائعاً، فسألنا فأعطيناه ، فقال ما قال . وإنا دعوناه الى البيت فأعطيناه ، فزعم أن قد رضي ، أكذاك ؟

قال الأعرابي : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً .

فقال النبي ﷺ : ألا إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة ، فشردت عليه ، فاتبعها الناس ، فلم يزيدوها إلا نفوراً . فناداهم صاحبها: خلّوا بيني وبين ناقتي ، فأنا أرفق بها . فتوجه لها بين يديها ، فأخذ لها من قمام الأرض ، فجاءت فاستناخت ، فشد عليها رحلها ، واستوى عليها . وإني لو تركتكم حين قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار[1] .

وكان يداري الجاهل ويعلمه ما يلزمه من غير تعنيف :

عن معاوية بن الحكم قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله . فرماني القوم بأبصارهم . فقلت : وا ثكل أمياه ، ما شأنكم تنظرون إلي ؟ فجعلوا يضربون أيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يصمتونني سكت .

فلما صلى رسول الله ﷺ ، فبأبي وأمي ما رأيت قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ! فوالله ما كهرني[2] ولا ضربني ولا شتمني . قال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن[3] » .

---

(١) رواه البزار بسند ضعيف ، وابن حيان ، وابن الجوزي (الوفا بأحوال المصطفى ص ٤٢٤) .

(٢) أي ما نهرني .

(٣) رواه مسلم في باب تحريم الكلام في الصلاة ، رقم ٣٣ ـ (٥٣٧) .

وعن أنس بن مالك قال : بينا نحن جلوس في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء اعرابي فقام يبول في المسجد . فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه .

فقال رسول الله ﷺ : لا تزرموه[1] ، دعوه . فتركوه حتى بال . ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : « إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » . وأمر رجلاً فجاء بدلو من ماء فشنه[2] عليه[3] .

وعن أبي هريرة قال : قام أعرابي فبال في المسجد ، فتناوله الناس . فقال لهم النبي ﷺ : دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين[4] » .

وعن أبي أمامة أن شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد ! ائذن لي في الزنى .

فأقبل عليه القوم فزجروه وقالوا : مه مه . فقال : ادنه . فدنا منه قريباً فجلس .

قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم .

أفتحبه لابنتك ؟ قال لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم .

أتحبه لأختك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم .

---

(١) لا تقطعوا عليه بوله .

(٢) صبه .

(٣) رواه مسلم ١٠٠ ـ (٢٨٥) وابن حبان والنسائي وابن ماجه والبيهقي .

(٤) رواه البخاري ، رقم ٢٢٠ .

أتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداك • قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم •

أتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداك • قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم •

قال:فوضع يده عليه ثم قال:«اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه،وحصن فرجه» • قال : فلم يكن الفتى يلتفت بعد ذلك الى شيء[1] •

(١) أخرجه أحمد جـ٥ ص ٢٥٦ ، الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي ص ٤٣٠ ـ ٤٣١ •

الخاتمة

إن كل إنسان فكر في نفسه وفي هذا الكون الذي يحيط به ، وحاول أن يتوصل الى معرفة موجده وسبب وجوده ، وأن يحدد الغاية من وجوده والمهمة الموكلة إليه في هذه الحياة ، وأن يجعل علاقاته بنفسه وبغيره على أساس سليم مقبول ، وأن يعرف مصيره بعد موته •• إن كل إنسان أعمل فكره في هذه القضايا التي تفرض نفسها على كل عاقل مفكر لا يجد حلاً مقبولاً وجواباً مرضياً لها لا يستند الى أساس الإيمان بالله عز وجل •

وإن كل مؤمن بالله يريد أن يقوم بالأعمال التي ترضي الله سبحانه وتعالى. وأن يطيعه فيما أمر به ونهى عنه ؛ وكل مؤمن عاش في هذه الدنيا قديماً أو حديثاً، وكل باحث عن الحق وطالب للمعرفة اليقينية، يعلم بأن الله أرسل رسلاً الى خلقه لينقذوهم من الضلال ويهدوهم الى سواء السبيل •

وإن من عاصر واحداً من الرسل ، وتعرف على حياته وصفاته ؛ أو درس سيرته ، ووقف على أخلاقه وتعاليمه ، وتأكد من أمانته وصدقه فيما يقوله وإخلاصه في تبليغ رسالة ربه ، يجد فيه قدوة له ، ويجد في شمائله وخلقه نموذجاً للكمال الإنساني ، ويجد في شريعته دستوراً يبين له واجباته نحو ربه ونفسه ومجتمعه •

وإن أجدر الرسل بدراسة سيرتهم واتباع منهجهم هم أولو العزم الذين بقيت آثار دعوتهم ، وبقي لهم أتباع الى يومنا هذا :

ومن ذا الذي لم يسمع بسيدنا نوح عليه السلام الأب الثاني للبشر وأول الرسل بعد آدم :

عن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال : « أول نبي أرسل نوح [1] » •

---

(١) رواه ابن عساكر ، وهو حديث حسن •

ومن ذا الذي لا يشتاق إلى معرفة قصته في دعوته الطويلة لقومه • التي أعقبها ذلك الطوفان الهائل الذي غسل الأرض من رجس الكافرين !

ثم من ذا الذي يؤمن بدين من الأديان السماوية ولا يهمه معرفة سيرة إبراهيم خليل الله وموسى كليمه :

عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال :

« إن الله اصطفى موسى بالكلام وابراهيم بالخلة[١] » •

أم من ذا الذي لا يحدوه شوق الى دراسة حياة آخر أنبياء بني اسرائيل عيسى عليه السلام الذي ينتمي إليه عدد كبير من البشر في هذا العصر ، ويجعلونه رمزاً للسلام والمحبة والزهد والطهر :

عن أبي ذر ــ رضي الله عنه ــ قال :

« أول الرسل آدم ، وآخرهم محمد • وأول أنبياء بني اسرائيل موسى ، وآخرهم عيسى • وأول من خط بالقلم ادريس[٢] » •

من ذا الذي لا يرغب في أن يقرأ سيرة هؤلاء الرسل الكرام في سفر يعتمد بالدرجة الأولى على مصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم خبير ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل • ويقرأ فيه سيرة شاملة موجزة لخاتم المرسلين الذي جعله الله رحمة للناس ، وجعل رسالته بياناً لما يحتاجون إليه :

قال الله تعالى :

« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون[٣] » •

---

(١) رواه الحاكم ، وهو حديث صحيح •

(٢) رواه الحكيم ، وهو حديث ضعيف •

(٣) سورة النحل : ٤٤ •

« وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون[1] » .

وهو الذي تكفل الله بحفظ شريعته ، وجعلها ناسخة لغيرها من الشرائع وأمر باتباعها :

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون[2] » .

ووعد بنصره واظهار دينه :

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[3] » .

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً[4] » .

وهو الذي شهد الله على صدق وصحة ما جاء به :

« لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً[5] » .

وجعله شهيداً على أمته يوم يشهد الرسل على أممهم ، كما جعل المؤمنين به شهداء على الناس :

---

(١) سوة النحل : ٦٤ .

(٢) سورة الجاثية : ١٨ .

(٣) سورة براءة : ٣٣

(٤) سورة الفتح : ٢٨ .

(٥) سوة النساء : ١٦٦ .

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجا منيراً[1] » ٠

« فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً[2] » ٠

« ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين[3] » ٠

« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً[4] » ٠

وهو الذي كانت بعثته لتزكية النفوس وهداية الناس وتعليم الحكمة :

« كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون[5] » ٠

« لقد مَنّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين[6] » ٠

---

(١) سورة الأحزاب : ٤٥ ــ ٤٦ ٠

(٢) سورة النساء : ٤١ ــ ٤٢ ٠

(٣) سورة النحل : ٨٩ ٠

(٤) سورة البقرة : ١٤٣ ٠

(٥) سورة البقرة : ١٥١ ٠

(٦) سورة آل عمران : ١٦٤ ٠

« هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين »(١) .

وهو الذي أمر كل الناس باتباع الحق الذي جاء به وطاعته والاحتكام الى شريعته :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا(٢) » .

« وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما(٣) » .

« من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا(٤) » .

« يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وإن تكفروا فان لله ما في السموات والأرض وكان الله عليماً حكيما(٥) » .

« قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حُمّل وعليكم ما حُمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين(٦) .

وهو الذي جعلت محبته وطاعته سبيلاً لمحبة الله ومغفرته ورضوانه ، وجعل قدوة للمؤمنين وإماماً للنبيين :

---

(١) سورة الجمعة : ٢

(٢)(٣)(٤)(٥) سورة النساء : ٥٩ ، ٦٤ ـ ٦٥ ، ٨٠ ، ١٧٠ .

(٦) سورة النور : ٥٤ .

« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم • قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فـــان الله لا يحب الكافرين[1] » •

« لقد كان لكـــم في رسول الله أسوة حسنة لمن كـــان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً[2] » •

وهو الذي قرن اسمه باسم الله عز وجـــل في الأذان وفي الشهادة التي لا يصح الإسلام بدونها ، وحين قراءة التحيات في كل صلاة •

وأمر الله المؤمنين بالصلاة والسلام عليه :

« إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً[3] » •

وبرسالته صلاح الفرد والقبيلة ، وعز الأمة والدولة وبها يتم بناء صرح المجتمع المسلم •

« كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا[4] » •

وآخر دعواهم أنِ الحمدِ لله رب العالمـــين •

---

(١) سورة آل عمران : ٣١ ـ ٣٢ •
(٢)(٣) سورة الأحزاب : ٢١ ، ٥٦ •
(٤) سورة طـه : ٩٩ •

المراجع

أ ـ القرآن الكريم وتفاسيره

ـ القرآن الكريم بخط مصطفى تظيف أفندي المشهور بقدرغهلي ، مؤسسة الكتاب ، دمشق .

ـ جامع البيان في تفسير القرآن ، تأليف محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

ـ مفاتيح الغيب المشهتر بالتفسير الكبير للامام محمد بن عمر بن الحسن الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ طبعة سنة ١٢٨٩هـ .

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ) ، دار الفكر ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

ـ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل ـ عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ـ ٧٠١ هـ) ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر سنة ١٩٤٨ م .

ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٠١ ـ ٧٧٤هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

ـ الجامع لاحكام القرآن ـ القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) المتوفى سنة ٦٨٥ أو ٦٩٢ ، المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٥هـ •
- تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار ، تأليف الشيخ محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٦ هـ •
- أسباب النزول ــ تأليف أبي الحسن الواحدي النيسابوري ــ ٤٦٨ دار الكتب العلمية ــ بيروت سنة ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م •

ب ـ كتب السنة وشروحها

- فتح الباري شرح صحيح الامام البخاري ، للامام ابن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ دار المعرفة للطباعة والنشر ــ بيروت ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي •
- صحيح مسلم ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٥ م •
- سنن أبي داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بمصر •
- مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨ هـ ــ ١٩٤٩ م •
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) •
- سنن النسائي (المجتبى) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي •
- سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي

ـ السنن الكبرى لامام المحدثين أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ٠ الطبعة الأولى بحيدر آباد سنة ١٣٥٦ هـ ٠

ـ مسند الامام أحمد بن حنبل ، شرح أحمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م والطبعة الثانية ، المكتب الاسلامي ببيروت ٠

ـ الجامع الصغير من حديث البشير النذير لخاتمة الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢ هـ ٠

ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، نشر مكتبة الحلواني ودار البيان ومطبعة الملاح ، ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م ٠

ـ التـاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول تأليف الشيخ منصور علي ناصف ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م ٠

ـ سنن الدارمي ٠

ج ـ كتب التاريخ والسير

ـ تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار المعارف بمصر ١٩٦٠م

ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ) ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٥ م ٠

ـ البداية والنهاية لأبي الفداء ابن كثير ، الطبقة الأولى ، ١٩٦٦ م ٠

ـ السيرة النبوية لابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م ٠

- السير والمغازي لمحمد بن اسحق المطلبي المتوفى سنة ١٥١ هـ ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

- السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشلبي ، الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م .

- تهذيب سيرة ابن هشام ، عبد السلام هارون .

- الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة لابن هشام ، للامام الفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الحنفي السهيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١) وبهامشة السيرة النبوية لابن هشام ، مطبعة الجمالية بمصر ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م .

- المغازي للواقدي (محمد بن عمر بن واقد ـ ٢٠٧ هـ) تحقيق الدكتور مارسدن جونس ، مطبعة جامعة اكسفورد ، ١٩٦٦ م .

- الطبقات الكبير ، تصنيف محمد بن سعد كاتب الواقدي طبع ليدن ١٣٢٥ هـ ، ومطبعة لجنة نشر الثقافة الاسلامية ، القاهرة ١٣٥٨ هـ .

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

- السيرة الحلبية (انسان العيون في سيرة الأمين المأمون) للامام علي بن برهان الدين الحلبي المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ .

وبهامشة السيرة المحمدية والآثار النبوية للسيد أحمد زيني دحلان : المكتبة الاسلامية ، بيروت ، ١٣٢٠ هـ .

- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ــ الطبعة الأولى بمصر ١٣٢٦ هـ .
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ــ الشيخ محمــد الخضري ــ تحقيق محي الدين الجراح ــ مطبعة دار المعارف ، دمشق .

د ــ كتب الشمائل وقصص الأنبياء

- قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ، لأبي اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ، المتوفى سنة ٤٢٧ هـ . طبعة سنة ١٢٩٢ هـ .
- دلايل النبوة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٣٣٠ ــ ٤٣٠ هـ) ، الطبعة الأولى بحيدر آباد سنة ١٣٢٠ هـ .
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٦٩ هـ ــ ١٩٥٠ م .
- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ، أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري . وبهامشة شرح الشفا لعلي القاري، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- الوفــا بأحوال المصطفى للامــام أبي الفرج عبــد الرحمن بن الجوزي (٥١٠ ــ ٥٩٠ هـ) . تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار الكتب الحديثة بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦م .
- السنن والشمائل النبوية للترمذي .
- قصص الأنبياء ــ عبد الوهاب النجار ، الطبعة الثالثة ١٩٥٣ م .

- حيـاة محمد ، محمد حسين هيكل ، دار الكتب المصرية ، طبعـة ثانية ١٩٣٦ م — ١٣٥٤ هـ .
- محمد رسول الله ، محمد رضا ، الطبعة الرابعة ، دار احياء الكتب العربية ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م .
- السيرة النبوية ، ابو الحسن الندوي ، دار الشروق ، جده .
- ابراهيم أبو الأنبياء ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧ م .
- ابراهيم أبو الأنبياء ، عبد الحميد السحار ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- عبقرية المسيح — عباس محمود العقاد ، طبعة عام ١٩٥٣ م .
- اظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، طبعة عام ١٢٩٤ هـ .
- زاد المعاد في هدى خير العباد للامام الحافظ ابي عبد الله بن قيم الجوزية (٦٩١ — ٧٥١) ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .
- فقه السيرة ، محمـد الغزالي ، دار الكتب الحديثـة ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٩٦٥ م .

هـ — المعاجم

- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكـر الرازي ، مطبعـة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م .
- القاموس المحيط — الفيروز أبادي .

ـ لسان العرب ـ ابن منظور •

ـ أساس البلاغة ـ الزمخشري ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م•

ـ معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ •

ـ النهاية في غريب الحديث ـ ابن الأثير ـ تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناجي ـ دار احياء الكتب العربية •

ـ المعجم المهرس لألفاظ السنة •

المراجع الأخرى :

ـ سيف الله خالد بن الوليد ـ الجنرال أ• أكرم ـ ترجمة العميد الركن صبحي الجابي • مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

فهرس الآيات القرآنية ج / ٥

فهـرس الاحاديث النبويـة

الشيـخان هما : البخاري ومسلم

اسم راوي الحديث	المخرج	موضوع الحديث	الصفحة
سعيد بن المسيب	الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي	وفاة أبي طالب	٤٣٣
أبو هريرة	الشيخان وأحمد	ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ..	٤٣٨
عبد الله بن مسعود	الشيخان	ايذاء المشركين لرسول الله	٤٤٣
عمرو بن العاص	البخاري وابن اسحق	ايذاء المشركين للرسول	٤٤٤
خباب بن الأرت	البخاري	تعذيب المشركين للضعفاء	٤٤٨
عائشة	الشيخان	نزول ملك الجبال على محمد	٤٥٩
أنس	مسلم وأحمد	حديث الإسراء	٤٦١
أنس	الشيخان وأحمد	شق صدر النبي	٤٦١
جابر	الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي	وصف الرسول لبيت المقدس	٤٦٤
—	البيهقي وابن أبي حاتم	مرور النبي بعير ليلة الاسراء	٤٦٤
أبو هريرة	الشيخان	لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد	٤٦٥
عبادة بن الصامت	الشيخان	بيعة العقبة الأولى	٤٦٨
—	البيهقي	بيعة العقبة الثانية	٤٦٩
أبو موسى الأشعري	البخاري	الهجرة الى المدينة	٤٧٠
—	البيهقي	دار الهجرة	٤٧٠
—	مسلم	يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما	٤٧٥
سراقة	البخاري	محاولة اللحاق بالرسول حين هجرته	٤٧٦
سراقة	مسلم	قد كفيتكم ما ها هنا	٤٧٨
أبو قتادة	مسلم وأحمد	ساقي القوم آخرهم شرباً	٤٧٩
عروة بن الزبير	البخاري	لقاء الرسول بالزبير في طريق المدينة	٤٧٩
عروة بن الزبير	البخاري	جلوس الرسول بقباء	٤٨٠
أسيد بن ظهير	أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم	الصلاة في مسجد قباء	٤٨١
أبو هريرة	الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي	فضل المسجد النبوي	٤٨٢
—	أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه	فضل مكة المكرمة	٤٨٥
البراء	البخاري	حب الأنصار من الإيمان	٤٩٠
سهل بن سعد	البخاري	التاريخ من الهجرة	٤٩١
عائشة	البخاري	يوم بعاث	٤٩٣

اسم راوي الحديث	المخرج	موضوع الحديث	الصفحة
أنس	الشيخان وأحمد	المؤاخاة بين عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن الربيع	٤٩٥
أبو هريرة	البخاري	التكافل بين المهاجرين والأنصار	٤٩٥
أنس	الترمذي	فضل الأنصار	٤٩٦
أنس	الشيخان	لا تباغضوا ولا تحاسدوا	٤٩٦
أبو هريرة	مسلم	لا تحاسدوا ولا تباغضوا	٤٩٦
أبو هريرة	الأربعة	لا تحاسدوا ولا تناجشوا	٤٩٧
عبد الله بن عمر	البخاري	المسلم أخو المسلم	٤٩٧
أبو هريرة	أحمد	الله في عون العبد ما كان في عون أخيه	٤٩٧
عبد الله بن سلام	البخاري وأحمد	اسلام عبد الله بن سلام	٤٩٩
أنس	مسلم وأحمد	إلا من كان ظهره حاضراً	٥٠٩
البراء	البخاري	عدد المهاجرين والأنصار يوم بدر	٥٠٩
عمر بن الخطاب	مسلم	عدد الجيشين يوم بدر	٥٠٩
ابن عباس	أحمد	عدد أهل بدر	٥٠٩
ابن مسعود	البخاري وأحمد	قول المقداد للرسول حين التوجه الى بدر	٥١١
أنس	مسلم	نزول بدر	٥١٢ـ٥١٤
أبو أسيد	البخاري وأبو داود	إذا أكثبوهم فارموهم	٥١٦
عمر بن الخطاب	مسلم	استغاثة الرسول ربه في بدر	٥١٦
أبو ذر	الشيخان	الذين برزوا يوم بدر	٥١٧
أنس	مسلم	تحريض المسلمين على القتال في بدر	٥١٧
علي	أحمد	شجاعة رسول الله	٥١٨
عبد الله بن مسعود	أحمد وأبو داود والنسائي	أبو جهل فرعون هذه الأمة	٥١٩
عمر بن الخطاب	مسلم وأبو داود	حل الغنيمة والفداء للمسلمين	٥٢٠
–	احمد	تعليم أولاد الأنصار الكتابة	٥٢٠
–	أبو داود	اطلاق أبي العاص من الأسر	٥٢٠
–	أحمد والنسائي	استفتاح أبي جهل حين الخروج الى بدر	٥٢٣
رفاعة بن رافع	البخاري	فضل البدريين	٥٢٥
ابن عباس	أبو داود	امتناع يهود بني قينقاع عن الاسم	٥٢٦
محمد بن مسلمة	الشيخان	مقتل كعب بن الأشراف	٥٢٩
البراء	البخاري	لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم ..	٥٣٣
–	مسلم	من يأخذ هذا السيف بحقه ؟	٥٣٦

اسم راوي الحديث	المخـرج	موضوع الحديث	الصفحة
سعـد	الشيخـان	غسل الدم عن وجه رسول الله	٥٣٧
أنس	الشيخـان	نقل عائشة وأم سليم الماء الى أحد	٥٣٧
أنس	الشيخان وأحمـد	كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم	٥٤٣
عبد الله بن عمر	مسلـم	قطع نخيل بني النضير	٥٥٥
عمـر	مسلم وأبو داود	قسمة مزارع بني النضير	٥٥٦
أنس	مسلم والنسائي وأحمد	زواج الرسول من زينب بنت جحش	٥٦٠
أنس	البخـاري	افتخار زينب على أزواج النبي	٥٦١
أنس	الشيخـان	حجاب نساء النبي	٥٦٢
نافـع	الشيخـان	غزوة بني المصطلق	٥٦٤
عائشـة	الشيخانوأحمدوالنسائي وأبو داود	حديث الإفك	٥٦٨ـ٥٧٤
أنس	الشيخـان	لا خير إلا خير الآخرة	٥٧٧
البـراء	الشيخـان	كان ينقل التراب حتى اغبر بطنه	٥٧٧
جابـر	الشيخان والدارمي	تكثير الطعام يوم الخندق	٥٧٧
سلمان الفارسي	البيهقي وابن اسحق	البشارة بالنصر والفتح حين حفر الخندق	٥٧٨
جابـر	البخـاري	صلاة العصربعد غروبالشمسيوم الخندق	٥٨٥
علـي	البخـاري	ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ..	٥٨٥
عبد الله بن مسعود	أحمـــد	تأخير الصلوات حتى العشاء	٥٨٥
عبد الله بن أبي أوفى	الشيخـان	الدعاء بهزيمة الأحزاب	٥٨٥
أبو سعيد الخدري	أحمـــد	الدعاء بالأمن والستر	٥٨٥
جابر وأبو هريرة	الشيخـان	الحرب خدعة	٥٨٦
ابن عباس	الشيخان وأحمد	نصرت بالصبا ..	٥٨٩
سليمان بن صرد	البخاري وأحمد	الآن نغزوهم ولا يغزوننا	٥٨٩
عائشة وابن عمر	الشيخان والبيهقي	لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	٥٩٠
أبو سعيد الخدري	الشيخان وأحمد	قضيت بحكم الله ..	٥٩١
عائشـة	الشيخان وأحمد	موت سعد بن معاذ	٥٩١
البراء بن عازب	البخـاري	مقتل سلّام بن أبي الحقيق	٥٩٣
أبو هريرة	البخـاري	اسلام ثمامة بن أثال الحنفي	٥٩٤
جابـر	الشيخان ومالك	أكل الحوت الذي ألقاه البحر	٥٩٧
أنس	الشيخـان	حد المحاربة	٦٠٠
أنس	مسلـم	سمل أعين العرنيين	٦٠٠
البـراء	البخـاري	عدد أصحاب الحديبية	٦٠١

اسم راوي الحديث	المخـرج	موضوع الحديث	الصفحة
أنس بن مالك	البخاري	مقتل الأمراء	٦٤٢
علي بن أبي طالب	الشيخـان والترمذي وأبو داود والنسائي	كتاب حاطب بن أبي بلتعة	٦٤٦
ابن عباس	البخاري وأحمد والنسائي	افطار المسلمين في كديد	٦٤٨
ابن عباس	أبـو داود	من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ..	٦٤٩
عـروة	البخاري	هذا يوم تعظم فيه الكعبة	٦٥٠
عائشة وعروة	البخاري	دخل النبي مكة من كداء	٦٥١
عبد الله بن مغفل	البخاري	دخل الرسول على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح	٦٥٣
أنس	الحاكـم	تواضـع الرسول حين الفتح	٦٥٤
ابن مسعود	الشيخان	تحطيم الأصنام حول البيت	٦٥٣
ابن عباس	البخاري	قاتلهم الله ما ما استقسما بها قط	٦٥٤
عائشـة	مسلم	ما مست كف رسول الله امرأة قط	٦٥٨
—	مسلم والبيهقي	مبايعة هند للرسول	٦٥٩
ابن عباس	أبو داود والبخاري	اقامة الرسول في مكة بعد فتحها	٦٥٩
سالم عن أبيه : عبد الله ابن عمر	البخاري وأحمد والنسائي	إني أبرأ اليك مما صنع خالد	٦٦٠
—	أحمد والنسائي والبيهقي	استعارة أسلحة صفوان بن أمية	٦٦٢
البـراء	الشيخان وأحمد والنسائي	ثبات الرسول في حنين	٦٦٣
العباس	مسلم	قتال حنين	٦٦٣
ابن عباس	أحمد	حصار الطائف	٦٦٧
عبد الله بن عمر	الشيخان	انتهاء حصار الطائف	٦٦٨
—	الترمذي	اللهم اهد ثقيفاً	٦٦٨
جبير بن مطعم	البخاري	قسمة غنائم هوازن	٦٦٩
عبد الله بن عمرو	أبو داود والنسائي	قسمة الغنائم	٦٦٩
أنس	البخاري	ستجدون أثرة شديدة ..	٦٧٠
المسور بن مخرمة	البخاري وأبو داود	رد سبي هوازن إليهم	٦٧١
أنس وهمام	الشيخان وأبو داود والترمذي	عمرة الرسول في ذي القعدة	٦٧٢
كعب بن مالك	أبو داود	كان الرسول قلما يخرج بغزوة إلا ورى بغيرها ..	٦٧٦
—	أحمد والترمذي والحاكم	ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم	٦٧٦

اسم راوي الحديث	المخرج	موضوع الحديث	الصفحة
سعد بن أبي وقاص	الشيخان	بقاء علي في المدينة حين غزوة تبوك	٦٧٨
عبد الله بن عمر	الشيخان وأحمد	مرور النبي بالحجر ديار ثمود	٦٧٨
عبد الله بن عمر	الشيخان	منع الاستقاء من آبار ثمود	٦٧٩
معاذ بن جبل	مسلم ومالك	يوشك أن ترى ما هنا جناناً	٦٧٩
—	أبو داود	مصالحة ملك دولة الجندل	٦٨٠
أبو سعيد	أحمد	فضل شهادة لا إله إلا الله	٦٨٢
حذيفة وأبو الطفيل	أحمد ومسلم والبيهقي	تآمر المنافقين على رسول الله	٦٨٢
أنس	البخاري	الحرص على الجهاد	٦٨٣
أبو حميد	الشيخان	هذه طابة وهذا أحد ..	٦٨٣
كعب بن مالك	الشيخان	تخلف كعب عن تبوك	٦٨٦
ابن عباس	أبو داود والبيهقي	مصالحة أهل نجران	٦٩٢
حذيفة	الشيخان	أمين هذه الأمة	٦٩٢
أنس	الشيخان وأحمد وأبو داود والنسائي	اسلام ضمام بن ثعلبة	٦٩٤
ابن عباس	أبو داود والترمذي والبخاري	وفد عبد القيس	٦٩٥
أبو سعيد	مسلم وأحمد والبيهقي	حلم الأشج	٦٩٥
ابن عباس	الشيخان وأحمد وأبو داود	أمركم بالايمان بالله	٦٩٦
عبيد الله بن عبد الله	البخاري	مسيلمة الكذاب	٦٩٧
أبو هريرة وابن عباس	البخاري	الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب	٦٩٧
عمر بن الخطاب	الشيخان والترمذي والنسائي	موت عبد الله بن أبي	٧٠١
—	الترمذي	أمر علي بالنداء في الحج بأربع كلمات	٧٠٢
—	النسائي والبيهقي	بعث عمرو بن حزم الى نجران	٧٠٥
أبو بردة	الشيخان	يسرا ولا تعسرا، وبشرا وتنفرا	٧٠٦
ابن عباس	البخاري والجماعة	بعث معاذ الى اليمن	٧٠٦
معاذ بن جبل	أحمد	لا تبك ، إن البكاء من الشيطان	٧٠٧
البراء	البخاري	مر أصحاب خالد من شاء أن يعقب ..	٧٠٧
—	البيهقي	السلام على همدان	٧٠٧
ابن عباس	البخاري	خروج الرسول للحج	٧٠٩
أنس	الشيخان وأحمد وأبو داود والنسائي	مبيت الرسول وصلاته بذي الحليفة	٧٠٩
ابن عباس	مسلم وأحمد	اهلال الرسول بالحج	٧٠٩
أنس	البخاري وأصحاب السنن(١)	اهلال الرسول	٧٠٩
ابن عمر	أحمد	أهل الرسول في مصلاه	٧١٠
أنس	البخاري وأحمد والبزار	أهل الرسول بحج وعمرة	٧١٠
ابن عباس	البخاري	دخول الرسول مكة ونزوله الحجون	٧١٠

١) أصحاب السنن هم : أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

اسم راوي الحديث	المخـرج	موضوع الحديث	الصفحة
طارق بن شهاب	الشيخانوأحمدوالترمذي والنسـائي	إكمال الدين وإتمام النعمة	٧١٢
جابـر	مسلم	خذوا عني مناسككم	٧١٣
جابـر	مسلم	صلاة الظهر بمكة يوم النحر	٧١٣
أبو بكرة	الشيخانوأحمدوأبو داود والنسائي	خطبة يوم النحر	٧١٤
أنس	البخاري	طواف الوداع	٧١٤
ابن عمر	الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي	جهة دخول مكة والخروج منها	٧١٤
ابن عمر	الشيخان والترمذي	فضل أسامة بن زيد وأبيه	٧١٦
عائشـة	الشيخان	مرض رسول الله	٧٢٠
عائشـة	مسلم	فضل الأنصار	٧٢٠
ابن عباس وابو سعيد	مسلم وأحمد والبيهقي	فضل أبي بكر	٧٢١
أبو سعيد	البخاري	فضل أبي بكر	٧٢١
عائشـة	البخاري	ماأزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر	٧٢١
عائشـة	الشيخانوأحمدوالترمذي	صلاة أبي بكر بالناس في مرض الرسول	٧٢٢
أنس	الشيخان والترمذي والنسائي	وفاة الرسول	٧٢٣
عائشـة	مسلموالترمذيوابنماجه	شدة وجع الرسول	٧٢٣
ابن عباس وعائشة	البخاري وأحمد	تحريم اتخاذ القبور مساجد	٧٢٣
أم سلمة	البيهقيوالنسائيوأحمد وابن ماجه	الصلاة وما ملكت أيمانكم	٧٢٣
عائشـة	البخاري	استياك الرسول قبل موته	٧٢٤
عائشـة	البخاري	وفاة الرسول يوم الاثنين	٧٢٤
ابن عباس	أحمد والبيهقي	ولادة الرسول وهجرته ووفاته يوم الاثنين	٧٢٤
عائشـة	الشيخان والترمذي	عمر الرسول	٧٢٥
ابن عباس	مسلم وأحمد والترمذي	مدة الرسالة وعمر الرسول	٧٢٥
ابن عباس	أحمد	غسل الرسول	٧٢٥
عائشـة	الشيخان والبيهقي وأبو داود والنسائي	تكفين الرسول	٧٢٥
ابن عباس	البيهقي والترمذي وأحمد وابن ماجه	دفن الرسول	٧٢٥
أنس	أحمدوالترمذيوابنماجه	الحزن على رسول الله	٧٢٦
البـراء	الشيخان والترمذي	كان النبي مربوعاً ..	٧٢٧
البـراء	الشيخان	كان الرسول أحسن الناس وجهاً	٧٢٧
أبو الطفيل	مسلم وأبو داود	كان أبيض مليح الوجه	٧٢٧
أنس	الشيخان والترمذي	وصف الرسول	٧٢٧
هند بن أبي هاله	الترمذي وأبو نعيم والبيهقي	وصف الرسول	٧٢٨
جابر بن سمرة	مسلم والترمذي	وصف الرسول	٧٢٨

اسم راوي الحديث	المخـرج	موضوع الحديث	الصفحة
عائشـة	البخاري والترمذي	إن شر الناس من تركه الناس اتقاء شره	٧٤٤
مالك بن الحويرث	ابن الجوزي	ارجعوا الى أهليكم فأقيموا فيهم	٧٤٤
أنس بن مالك	البخاري	التجوز في الصلاة لبكاء الطفل	٧٤٥
عائشة	البخاري	الامتناع عن الصلاة ليلا في المسجد لئلا تفرض	٧٤٥
أبو هريرة	الشيخان وأبو داود والترمذي	من لا يرحم لا يرحم	٧٤٥
أنس	مسلم وأحمد	لم يكن احد أرحم بالعيال منه	٧٤٥
أسامة بن زيد	البخاري	حزن الرسول على وفاة ابن بنته	٧٤٥
أنس	الشيخان	حزن الرسول على وفاة ابنه ابراهيم	٧٤٦
أبو سعيد الخدري	الشيخان والترمذي	كان الرسول أشد حياء من العذراء ..	٧٤٧
أنس	الترمذي	كان لا يواجه أحداً بشيء يكرهه	٧٤٧
عائشـة	مسلم والترمذي وابن ماجه	كان يقول : ما بال أقوام يصنعون كذا	٧٤٧
عائشـة	البخاري	ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه!	٧٤٨
سهل بن سعد	البخاري	كان لا يسأل شيئاً فيمنعه	٧٤٨
—	أحمد والبيهقي	اختار أن يكون نبياً عبداً	٧٤٩
عمـر	البخاري والترمذي	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم	٧٤٩
أنس	ابن الجوزي	النهي عن مدح الرسول	٧٤٩
—	أبو داود وابن ماجه	لا تقوموا كما يقوم الأعاجم	٧٤٩
أنس	الترمذي وأحمد	عدم القيام لرسول الله	٧٤٩
الحسن	ابن الجوزي	تواضع الرسول	٧٥٠
أنس	الشيخان وأبو داود والنسائي	التسليم على الصبيان	٧٥٠
عبد الله بن جعفر	مسلم	الإرداف خلف النبي	٧٥٠
أنس	الترمذي	يا أبا عمير ما فعل النغير ؟	٧٥٠
ابن أبي أوفي	الدارمي والبيهقي	قضاء حاجة الأرملة والمسكين	٧٥٠
عائشـة	ابن الجوزي	تلبية الدعوة	٧٥١
أنس	مسلم والترمذي	قضاء حاجة امرأة في عقلها شيء	٧٥١
أنس	أحمد	الذهاب مع الوليدة	٧٥١
أبو هريرة	الطبراني	حمل الرسول متاعه بيده	٧٥١
أنس	أبو يعلي	تفقد الرسول أصحابه	٧٥٢
أنس	البخاري	عيادة غلام يهودي	٧٥٢
—	البيهقي	خدمة الوفد	٧٥٢
عائشـة	الشيخان	الإهـداء لأصحاب خديجة	٧٥٢
عائشـة	الحاكم والبيهقي	حسن العهد من الإيمان	٧٥٣
محمد بن المنكدر	ابن الجوزي	بر النبي بمرضعته	٧٥٣
أبو الطفيل	أبو داود	تكريم النبي لمرضعته	٧٥٣
عمر بن السائب	أبو داود	تكريم الرسول لوالديه وأخيه في الرضاعة	٧٥٣
قتـادة	البيهقي وابن اسحق	تكريم الرسول لأخته الشيماء	٧٥٤
ابن عباس	الشيخان والترمذي	كان النبي أجود الناس بالخير ..	٧٥٥
أبو سعيد	البخاري	عطاء الرسول السائل	٧٥٥

أسم راوي الحديث	المخـرج	موضوع الحديث	الصفحة
جابـر	الشيخان والترمذي	ما سئل رسول الله شيئاً إلا أعطاء	٧٥٥
أنس	مسلم	أعطى النبي رجلا غنماً بين جبلين	٧٥٥
طارق بن رئاب	ابن الجوزي	قسمة سبعة آلاف درهم	٧٥٦
عقبة بن الحارث	البخاري	كراهية بقاء التبر دون قسمته	٧٥٦
ابن مسعود	البيهقي	إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد	٧٥٩
علـي	الترمذي	هيبة الرسول وحسن خلقه	٧٥٩
علـي	أحمد والنسائي	شجاعـة الرسول	٧٦٠
ابن عمر	القاضي عياض	شجاعة وجود الرسول	٧٦٠
البـراء	ابن كثير	شجاعـة الرسول	٧٦٠
جابر وعلي	البخاري والترمذي	إن حواري الزبير بن العوام	٧٦١
أنس	الشيخان والترمذي	نجدة الرسول وشجاعة	٧٦١
عبد الله مسعود	البخاري	عـدل الرسول	٧٦٢
أم سلمة	مالك وأحمد والستة(١)	إنما أنا بشر وانكم تختصمون إلي ..	٧٦٢
النعمان بن بشير	الشيخان	العدل بين الأولاد في العطية	٧٦٢
عائشـة	ابن‌حبان‌والحاكم‌والأربعة	القسمة بين النساء بالعدل	٧٦٣
عبد الله بن أبي بكر	الدارمي	ضرب أعرابي وطيء على رجل رسول الله	٧٦٣
أبو هريرة	الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه	اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً	٧٦٥
عمـر	البخاري وابن ماجه	نوم النبي على حصير	٧٦٦
عبد الله بن مسعود	أحمدوالترمذي‌وابن‌ماجه والبيهقي	إنما أنا والدنيا كراكب‌استظل تحت‌شجرة	٧٦٦
عائشـة	البخاري وابن ماجه	فراش الرسول	٧٦٦
حفصة	الترمذي	فراش الرسول	٧٦٧
أبو بـردة	البخـاري	كساء الرسول	٧٦٧
أنس	أحمد والطبراني	جوع النبـي	٧٦٧
عائشة	الشيخان	ما شبع رسول الله ثلاثة أيام من خبز بر	٧٦٧
أبو هريرة	مسلم وأحمد	ما شبع نبي الله ثلاثة أيام من خبز حنطة	٧٦٧
عائشة	الترمذي	ماشبع‌رسول‌الله من‌خبز شعير يومين‌متتابعين	٧٦٨
ابن عباس	أحمد	كان رسول الله يبيت الليالي طاوياً	٧٦٨
أنس	البخاري	ما أكل النبي خبزاً مرققاً	٧٦٨
عائشة	البخاري	طعـام النبي	٧٦٨
عائشة	الشيخان وابن ماجه	طعام النبي وأهله	٧٦٨
النعمان بن بشير	مسلم والترمذي	جـوع النبـي	٧٦٩
عائشة	البخاري	توفي النبي حين شبعنا من التمر	٧٦٩
أنس	البخاري وابن ماجه	رهن‌النبي‌درعاً عند يهودي وأخذ منه‌شعيراً	٧٦٩
عائشة	الشيخان	رهن درع عند يهودي	٧٧٠
عائشة وابن عباس	الشيخان وأحمد	توفي النبي ودرعه مرهونة	٧٧٠
عائشة	مسلم وأحمد والأربعة	ما ترك رسول الله ديناراً ولا درهماً	٧٧٠

(١) الستة هم الشيخان وأصحاب السنن الاربعة .

اسم راوي الحديث	المخـرج	موضوع الحديث	الصفحة
عمرو بن الحارث	البخاري والترمذي والنسائي	ما ترك رسو لالله ديناراً ولا درهماً ..	٧٧٠
عائشة	الشيخان	كان عمله ديمــة	٧٧١
المغيرة بن شعبة	الشيخان والترمذي والنسائي	صلاة الرسول	٧٧١
عائشة	مسلم	صلاة الرسول	٧٧١
عبد الله بن مسعود	الشيخان	قيام الرسول	٧٧١
حذيفــة	مسلم	قراءة الرسول	٧٧١
حذيفــة	أحمد وأبو داود	كان إذا حز به أمر صلى	٧٧٢
حميــد	البخاري	صيام الرسول	٧٧٢
ابن عباس	البخاري	صيام الرسول	٧٧٢
أبو هريرة	البخاري	استغفار النبــي	٧٧٢
أنس	ابن عساكر	كان النبي من أفكه الناس	٧٧٣
ابن عمر وأنس	الطبراني والخطيب	كان يمزح ولا يقول إلا حقاً	٧٧٣
أنس	الترمذي	مزاح الرسول مع زاهر	٧٧٣
أنس	أبو داود والترمذي	إني حاملك على ولد الناقة	٧٧٣
الحسن	الترمذي	أن الجنة لا تدخلها عجوز	٧٧٤
عبد الله بن الحارث	الترمذي	تبسم الرسول	٧٧٥
عائشة	ابن عساكر	كان الرسول ألين الناس ..	٧٧٥
جابر بن سمرة	أحمدوالترمذيوالحاكم	كان لا يضحك إلا تبسماً	٧٧٥
الحسن بن علي	الترمذي	جل ضحكه التبسم	٧٧٥
عائشة	الشيخانوأبو داودوأحمد	إنما كان يبتسم	٧٧٥
سماك بن حرب	مسلم	تبسم الرسول	٧٧٥
أم معبد	ابن الجوزي	وقار الرسول ومنطقه	٧٧٦
الحسن بن علي	الترمذي	منطق الرسول	٧٧٦
عائشة	الشيخان وأبو داود	حديث النبــي	٧٧٦
عائشة	البخاري والترمذي	ما كان رسول الله يسرد سردكم هذا	٧٧٦
أنس	الترمذي	كان الرسول يعيد الكلمة ثلاثاً ..	٧٧٦
يحي بن يزيد	ابن سعد	أنا أعربكم ولساني لسان بني سعد	٧٧٧
—	السرقسطي	أدبني ربي ونشأت في بني سعد	٧٧٧
أبو هريرة	الشيخان والنسائي	بعثت بجوامع الكلم	٧٧٧
عمــر	أبو نعيم	فصاحة الرسول	٧٧٧
أبو سعيد	الرامهرمزي والعسكري	إياكم وخضراء الدمن	٧٧٧
أبو سعيد الخدري	الشيخان	إن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطاً أو يلم	٧٧٨
أبو هريرة	الشيخان وأحمد وأبو داود وابن ماجه	لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين	٧٧٨
سهل بن سعد	ابن أبي الدنيا	المرء كثير بإخوانه	٧٧٨
أنس	العسكري	إنكم لتقلون عند الطمع ..	٧٧٨
أبو هريرة	مسلم	من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه	٧٧٨
أبو الدرداء	أحمدوأبو داودوالبخاري	حبك الشيء يعمي ويصم	٧٧٨

فهــرس غـزوات الرسول

فهرس السرايا التي بعث بها الرسول

فهـرس الموضوعات جـ ٥ محمد رسول الله

جـدول الخطأ والصواب في المجلد الأول

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
٢٠	١٢	للأنبيــاء	بالأنبياء
٤٩	١٠	سبق سماوات	سبع سموات
٥١	٣	والسماوات السبغ	والسموات السبع
٥٣	١١	لم يؤمن	لن يؤمن
٦٤	١٤	وأفكار	وافكارهم
٦٧	٣	بالواضيغ	بالمواضـع
٦٧	٢ من الحاشية	ويمرى	ويرى
٨٧	١٧	فيُرَجعوا	فَرَجعوا
٨٨	١	ينفكم	ينفعكم
٨٨	٦	يهتدون	يهدون
٩٩	٣ من أسفل الحاشية	السطر بكامله يجب حذفه	
٩١	٩	تعلمون	تعملون
٩٢	١٤	الهتم	آلهتهم
٩٣	٩	وإن	وأن
٩٥	١١	التبرىء	التبرؤ
٩٥	حاشية(١)	التبرىء	التبرؤ
١٠٨	٤	فأخذمها	فأخدمها
١٠٨	١٦	مها	بها
١١٣	٥	مقالوا	فقالوا
١٢٦	٥	والرّكع	والرُكع
١٢٩	حاشية(٢)	حبرون	حَبْرون
١٣٢	حاشية(٣)	أ ي	اي
١٥٥	١	على المكار	على المكاره
١٥٩	٢	مائة وثلاث وثلاثين	مائة وثلاثاً وثلاثين
١٩٢	قبل الأخير	قال « رب	قال رب
١٩٣	٢	وأعطي كل شيء	واعطى كل شيء
١٩٦	١١	على أن لا أقوك	على أن لا أقول

الصفحة	السطر	الخطـا	الصواب
٢٠٤	١٠	فذا هي	فإذا هي
٢٠٧	٥	فانظر كيف	فانظر كيف
٢٠٨	١	وما نحن بمؤمنين	وما نحن لكما بمؤمنين
٢٢٣	١٨	واسكباره	واستكباره
٢٢٧	١٠	مامو فا	مألو فا
٢٢٩	٥	عقول	عقولهم
٢٣٢	١	ينصرون	لا ينصرون
٢٤٥	٧	القبر	البقر
٢٥٧	حاشية(١)	رحمه	رحمه الله
٢٦٩	حاشية(٦)	سَربا : :	سَربا :
٢٧٢	٢	أشدُهما	أشدَّهما
٢٧٣	٩	وإذا قال	وإذ قال
٢٧٦	حاشية(١)	وابن حيان	وابن حبان
٢٨١	حاشية(١)	زوج زوج أخته	زوج أخته
٢٨٩	١٠	وتتهيء	وتتهيأ
٣١٦	١١	أهب لك	لأهب لك
٣١٩	حاشية(٤)	الأنجيل	الإنجيل
٣٢٥	جاشية(٢)	شتموها به به	شتموها به
٣٣١	٩	النبوة	البنوة
٣٣٧	٥	نمحض	نمحص
٣٥١	٦	كنتم تختلفون	كنتم فيه تختلفون
٣٥٢	١١	لآيات مقوم	لآيات لقوم
٣٥٣	١٠	وقولهم(٣) علىمريم بهتاناً عظيما(٢)	وقولهم(٢) علىمريم بهتاناً عظيما(٤)
٣٥٨	١٠	ليؤمنن به ، فقولـه ....والمعنى	«ليؤمنن به قبل موتهم، لان احدا في معنى الجمع وهذا كالتحريض
٣٦٤	حاشية(١)	وعيناه مصيبتان	وعيناه معيبتان
٣٦٦	١٥	مسسوحة	ممسوحة

الخطأ والصواب في فهارس القسم الاول

٢١ الحديث ٤ — الصفحة ٣٤٥ — الصفحة ٣٤٤

٢١ الإحاديث ٥ ــ ١٣ أرقام الصفحات متاخرة صفحتين عما هي عليه
فالحديث ٥ في الصفحة ٣٥٦ بـدلا مـن ٣٥٨
وهكـذا ... ــ ــ

جـدول الخطأ والصواب في المجلد الثاني

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
٣٨١	١٦	(٥) وقد سمي	وقد سمي
٣٨١	٢٠	(٦) تهذيب السيرة	(٥) تهذيب السيرة
٣٨٥	٧	لا يجلس عليها	لا يجلس عليه
٣٨٥	٨	ليؤخروه عنهم	ليؤخروه عنه
٣٩٩	٢	وكان امرءآ	وكان امرأ
٤٠٥	حاشية(٦)	ونلهمك معنا	ونلهمك معناه
٤١٢	١٤	وفي المراسم	وفي المواسم
٤١٣	٢	قابل المشركين	قابل المشركون
٤٣٠	١٤	مَنْتِهَ	مَنْتَه
٤٤٨	٧	وهو محمر	وهو مخمر
٤٥٦	٤	يشكـوا	يشكـو
٤٨٢	حاشية(١)	كان في حجر	كانا في حجر
٤٨٩	٤	نضع له العشاء	نصنع له العشاء
٥٠٥	٩	بناحية الجحفة	بناحية الجحفة
٥١٤	الاخير	وكان الوادي دهسا(١)	وكان الوادي دهسا(٦)
٥١٦	٢من أسفل	كذالك	كذلك
٥٤٠	٩	فحطت	سخطت
٥٦٦	قبل الاخير	يعاقبونه ويأخذو	يعاقبونه ويأخذونه
٥٧١	٦	لعمرَ الله	لعمرُ الله
٥٩١	حاشية(٢)	بني قينيقاع	بني قينقاع
٥٩٤	١٣	فخرج الإليه	فخرج إليه
٥٩٨	١٣	الأصبع بن عمرو	الأصبغ بن عمرو
٦٠١	٨	كراع الغيم	كراع الغميم
٦٠١	٩من الحاشية(١)	عني اطلع	على ما اطلع
٦٠٨	١٤	وفيها الاشارة	وفيها الاشادة
٦١٠	٨	كراع الغيم	كراع الغميم
٦١٣	١٣	فقل اشهدوا	فقولوا اشهدوا
٦١٦	١٤	فقل	فقولوا
٦١٧	٧	من روحه ونفحه	من روحه ونفخه
٦٢٥	١٦	ولا يعيبوا	ولا يغيبوا
٦٤٦	الاخير	كنت امرءآ	كنت امرأ
٦٥٣	٨	بمحجن يدي	بمحجن في يده

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
٦٧٠	٧	أسِنانهم	اسنانهم
٦٧٤	٣ من الاسفل	وايم والله	وايم الله
٦٩٤	١٤	أنشد بالله	انشدك بالله
٦٩٩	١٢	الرهاوي زرعة	الرهاوي رسول زرعة
٧٠١	٢	فقال يصلي عليه	فقام يصلي عليه
٧١٥	٧	وخذ معك الأولاء	وخذ معك الأدلاء
٧٤٤	١٥	فاقمـ	فاقمنا
٧٥٥	٦	كل ليلة رمضان	كل ليلة في رمضان
٦٥٥	٨	حتى ينفذ	حتى ينفد
٧٥٥	١٠	حتى نفذ	حتى نفد
٧٥٥	١٣	ومن يتبصر يبصره الله	ومن يتصبر يصبره الله
٧٥٧	٣	يقوم لقتله	يقدم لقتله
٧٥٨	٢	حزب أبر	حزب أبي
٧٩٣	٧	مفاتيح الغيب المشهتر	مفاتيح الغيب المشتهر
٧٩٦	٦	الروض الأنن	الروض الأنف

اعتــذار وشكــر

كنت أرغب في أن تكون الآيات القرآنيــة موافقة في طباعتها للرسم العثماني للمصحف ، الا أنه تعذر ذلك في بعض الكلمات ، فنعتذر عن هذا .

كمــا نعتذر عن الأخطاء التي وردت في هــذه الطبعة سـواء المذكورة في الجدول السابق أو غيرها مما لم ننتبه اليه .

ونرغب الى القراء الكرام أن يمدونــا بملاحظاتهم وآرائهــم عن الكتاب .

وتتوجه بالشكر اليهم والى الذين قاموا بطباعته ويعملون على توزيعــه .

جعلنا الله هــداة مهتدين ومــن الذيــن يستمعون القــول فيتبعون أحسنه .

هذا الكتاب

في القسم الاول من هذا الكتاب دراسة تاريخية لسيرة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، تبين دعوتهم إلى التوحيد والايمان ، وتزكية النفس والوجدان ، وتوضح رسالتهم وجهودهم للقضاء على الشرك والوثنية .

اما القسم الثاني من الكتاب فهو دراسة دقيقة موجزة لسيرة خاتم المرسلين محمد ﷺ ، تشمل حياته ودعوته ، وغزواته وسراياه ، وصفاته وشمائله . وقد التزم المؤلف في دراسته بالمنهج العلمي ، ونبذ الخرافات والأساطير،وحرص على أن يكون كتابه سهلا في عباراته،مألوفاً في موضوعاته،جديداً في منهجه وطريقته، معززاً بالآيات والاحاديث النبوية ليستفيد منه كل طالب علم ومثقف .